الدكتورة رسمية شمسو

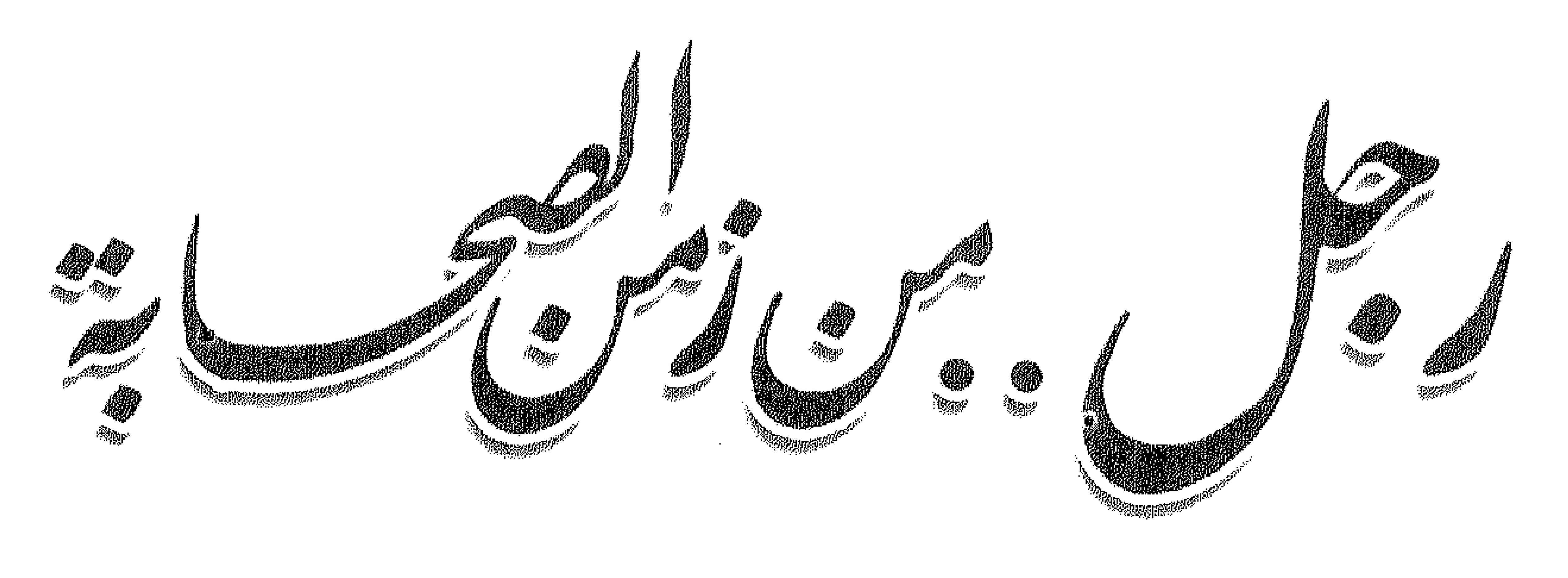
رجل .. من زمن الصحابة

الدكتور عبد الرحمن السميط



دار العصماء

الدكتورة رهمية شمسو



«« الدكتور عبد الرحمن السميط »»

الإهداء

- إلى كل الدعاة إلى الله في أمتي.....
- إلى كل صاحب همة وعزيمة، ورفيق طموح....
- إلى مَنْ عنده روح متوقدة، ونفس متوثبة، وصبر دائم....
- إلى كل من يريد النجاح في الدنيا والآخرة، ليكون مقبولاً عند الله وعند خلقه....
- إلى كل مسلم ومسلمة في أرض الله الواسعة....

د. رسمية شمسو


ومن أحسن قولاً
ممن دعا إلى الله
وعمل صالحًا
وقال إنني من المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد حتى ترضى، و لك الحمد إذا رضيت، و لك الحمد بعد الرضا، الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الإيمان.

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وسهل أخلاقنا بالحلم، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد:

عندما تقدمت إلى كلية الأوزاعي في بيروت للحصول على الماجستير في الدراسات الإسلامية، كان من ضمن مقررات الماجستير كتابة أبحاث في مواضيع إسلامية متنوعة، والحديث عن شخصيات خدمت هذا الدين العظيم.

لقد كنت أسمع عن الطبيب الكويتي الدكتور **عبد الرحمن السميط** كما يسمع البعض منكم، سمعت عن بعض أعماله الخيرية في أفريقيا، وأعجبتني قصته على سبيل الفضول.

وقررت أن تكون دراسة حياته أحد أبحاثي، وراسلته وأخبرته عن رغبتي، فجاءني الرد منه: " **ابنتي الفاضلة / د. رسمية شمسو حفظها الله ورعاها**

سلام أهل الجنة عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

لا أشعر بالراحة حينما يكتب عني أي إنسان وأنا حي أرزق، ولكني استحي من الله أن أردّك".

وبدأت بجمع الأرشيف عن حياته وأعماله، وكان **د.السميط** يمدني بما أحتاج إليه من المعلومات....

وبعد العيش أيام وأيام بين كتبه وأعماله ومقالاته وتضحياته، وجدت نفسي أمام رجل ليس من هذا الزمان..

ترى رجلاً يملك نفساً راضية تحمل بين جنبيها همّاً عظيماً هو هذا الدين..

ترى رجلاً من زمن آخر، مصاباً بالسكري والجلطات القلبية والدماغية ونزيف في العين و...

وفي كل يوم يحتاج إلى عشرة أنواع من الأدوية وإلى خمس حقن أنسولين.. يكسر كل حدود الترف والتأفف وينطلق في ميدان الدعوة إلى الله!

عندما بدأت بجمع الأرشيف عن حياته، وشاهدت صور المعاناة في أفريقيا، تلك الصور الهائلة بعذابها وإنسانيتها وجورها، سألت نفسي عن سبب قلة ظهوره عبر وسائل الإعلام، ولماذا جيلنا لا يعرف عنه إلا القليل؟ ولماذا آثر العمل طيلة أكثر من ربع قرن بعيداً عن الأضواء؟

فهل أفريقيا علمته الصمت والحكمة، وبأن وضع يد على كتف طفل جائع يبقى أكثر فائدة من خطابات واجتماعات وقمم العالم أجمع؟

كم كنت أتساءل عن سكان القمم، أين هم؟ ومن هم؟!

وعندما تعرفت على **د. السميط** علمت أن سكان القمم أناس مثلنا ..قريبون منا... يعيشون على هذه الأرض بأجسامهم.. لكن هممهم وعزائمهم تحلق في السماء.

أي إيمان، وأي عزم، وأي مضاء...!

أي صدق، وأي تواضع، وأي نقاء...!

أي احترام للحياة، وللأحياء....!

رجل وضع نصب عينيه حديث رسول الله ﷺ: "من خاف أدلج.. ومن أدلج بلغ المترل .. ألا أن سلعة الله غالية، ألا أن سلعة الله هي الجنة".[1]

يا سلعة الله لست رخيصة   بل أنت غالية على الثقلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها   في الألف إلا واحدٌ لا اثنان

إن العظمة الباهرة التي سترونها على صفحات هذا الكتاب لهذا الرجل الشاهق، الذي جاءنا ليعيد تاريخ الصحابة، ليست أساطير، وإن بدت من فرط إعجازها كالأساطير!!!

في هذا الكتاب سوف ترون البذل الذي بذل، والهول الذي احتمل، والفوز الذي أحرز...سوف ترون الدور الجليل الذي نهض به لتحرير أفريقيا من وثنية الضمير، وضياع المصير.

ما يقارب من عشرة ملايين من البشر أعلنوا إسلامهم على يد **د.السميط**، بفضل الله ونعمته.

لقد آتاه الله من أنعمه بالقدر الذي يجعله أهلاً لحمل راية هذا الدين بعد أن تخاذل الكثير من المسلمين عن نصرته، وتآمر المتآمرون للقضاء عليه.

إنه إنسان نذر حياته للدعوة إلى الله.

إنسان قضى حياته من الطفولة إلى الشيخوخة في عبادة وعطاء وتضحيات.

(١) رواه الترمذي

تفتح له الدنيا أبوابها، فيركل كل أمجادها الباطلة، ويظل لائذاً بمسلكه وعبادته ورسالته، **هو رجل من الذين:**

في الأرض مجدهم ولكن قلبهم لجنة الفردوس رام رحيلا

إنني لا أطمع في هذا الكتاب، وفي هذه الصفحات القليلة أن أوفي **د. عبد الرحمن السميط** بعض حقه، وإنما هو(بنان) يومئ باستحياء إلى بعض سمات تفوقه وعظمته، التي جعلت أفئدة الناس تهوي إليه...

أجل تلك الغاية...أن نبصر من خلال ضيائه الغامر بعض صفاته وبعض سمات عظمته التي نادت بأعلى صوتها: هذا رجل من زمن الصحابة..

د. رسمية شمسو

حلفَ الزمانُ ليأتينَّ بمثلهم

صدقَ يمينُك يا زمانُ فحدّثِ

تمهيد

كم هو جميل أن يسطع في سماء الدعوة نجم تتطلع إليه الأفئدة قبل العيون، ليترك ذكراه العطرة حياً وميتاً في تاريخ الإسلام، وليقول للدنيا بلسان حاله" أمة الإسلام ولادة "، وإذا خبا منها نجم سطع آخر، وإذا رحل منها أسد قام شبل.

إن الحياة تقاس بعظمة المبدأ وشرف الغاية والنهاية، لقد انطلق هذا العظيم يسمو بنفسه وبالناس يبني ولا يهدم، يجمع ولا يفرق.. يحب: بالحب الذي تتناجى به القلوب، وتتساقط به الذنوب.. الحب الذي جمع بين المهاجرين والأنصار على أعظم ما سجله التاريخ من آيات المجد والفخار.. الحب الذي ألف بين قلوب الأمة.

ترك الطبيب المسلم **عبد الرحمن السميط** حياة الرفاهية والدعة بموطنه الكويت، ليجود بوقته وماله بل وأسرته في سبيل الله، من أجل أن يأتي يوم القيامة بما هو خير من حمر النعم.

فتح **د. السميط** قلبه للمسلمين في أفريقيا، ليجدد لهم دينهم، وكأن الله بعثه **مجدداً** لهؤلاء في هذا القرن.

راح الرجل يجوب الأدغال الأفريقية، لا يبال على أي فراش ينام، أو أي طعام يأكل، أومن أي مستنقع يشرب، ولم يبال بكبر سنه والأمراض التي تلاحقه.

هانت عليه نفسه في الله، فرزقه الله محبة الخلق وتعلق قلوبهم به في بقاع الأرض، وزيادة على ذلك ذاق ثمار النجاح ورآها يانعة أمام عينيه، متمثلة في إسلام عشرات الألوف، بل الملايين على يديه.

إنه إنسان منح دعوته كل نفسه، روحه وراحته، وقته وماله، بل كيانه كله.. لأن هذا هو المطلوب من العاملين للإسلام في كل مكان و زمان، بل هو لسان حال النبيين ومن ساروا على درب الحق من بعدهم: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

إنه مثال شامخ معاصر، ملأت سيرته الدنيا، وذاعت إنجازاته في كل الأمصار، و نُقشت بأجمل الأحبار، حيث غيّر **الدكتور عبد الرحمن السميط** أفريقيا، وقلب موازينها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية، ذلك الطبيب المخلص ذو القلب النابض بالعمل الجاد والنية الصادقة، والتوكل على ملك الملوك سبحانه، صاحب الحلم الكبير.

ذلك الشخص المريض، الذي لم يثنه مرضه عن عمله الجبار، ومشروعه الضخم في تقديم الهداية، ودين الحق، والعيش الكريم، ومشاريع التنمية، لأناس نسيهم العالم خلف الأدغال، فذكرهم **د. عبد الرحمن السميط**.

أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعد التضحية في سبيل الله ربحاً وغنيمة، والجهاد في الحق و الهداية – على توعر طريقهما، وما فيهما من مصاعب ومتاعب – راحة ولذة، لا تحسب ساعة أسعد من تلك التي تنقذ فيها مخلوقاً من هوة الشقاء الأبدي، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة،

وهذا النمط من الناس وحده هو الذي يستطيع أن يخلف أثراً في الأرض، ذلك أنه استعلى على حطام الدنيا وارتفع عنه. أما الناس الآخرون فهم عبيد هذا الحطام وسدنته، ومن ثم فإن أكبر ما يستطيعون فعله أن يغترفوا مما تجود به الأرض عليهم، ثم تحتويهم هم وما يكترون.

وإذا وقفنا أمام شخصية **د. السميط** الفذة، لوجدناه في القمة، وأكثر العاملين في حقل الدعوة الإسلامية هذه الأيام أناس ألفوا العيش في السفح، فاستهونوا مشاربه وسبله، وأعجبوا برضا العيش و رضا النعمة السابغة فأخلدوا إلى الأرض، يتمسكون بها ويغترفون منها في بطونهم ما شاءت لهم الأرض من عطاء، وما ملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

وحين نقول: إن **د. عبد الرحمن السميط** ارتفع عن الدنيا، فليس معنى ذلك أنه ترفع عن عباد الله فيها، بل العكس، فهو الأب الحاني والأخ الوفي والطبيب الذي يدرك أن قومه والبشرية جمعاء بحاجة إليه، فقد حمل عبء الدعوة إلى الله عندما تخلى عنها أغلب الناس. وها هو يمد يده لتتلقف الأيدي العطشى للعمل في سبيل الله، في دعوة عملية للمشاركة بالمستطاع لنشر دين الله في أماكن سبقه إليها المبشرون بعشرات السنين، فلم ينهزم أو يتحطم طموحه، وإنما صبر وصابر حتى اقتنص النجاح من براثن الحياة.

وأعتقد أن أجلّ غاية يجب أن يتطلع الإنسان إليها، وأعظم ربح يربحه أن يحوز رضا الله عنه، فيدخله حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلابيب أنسه، ويزحزحه عن جحيم عذابه، وعذاب غضبه.

إنه كان رجلاً في أمة، أثار فيها معاني الإيمان بعد ركود طويل. فلئن كان جيلنا لم ينصفه، فإن التاريخ سيسجل له المكان اللائق، فضلاً عن أن الرجل ما كان يعمل ليسجل له التاريخ أو الأجيال، وإنما كان يعمل في سبيل الله ولإعلاء كلمته.

إنني أراه نوراً ساطعاً يستنير به الجمع الكثير ويجري في هذا الجم الغفير، وإن كان كنور الشمعة التي تضيء للناس باحتراقها.

نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله، فللّه الحمد من قبل ومن بعد.

د. رسمية شمسو

هذا الرجلُ أمةٌ في رجل

بل أن الأمة يغلبها المفسدون والأشرار

أمّا هو فأمة من المصطفين الأخيار

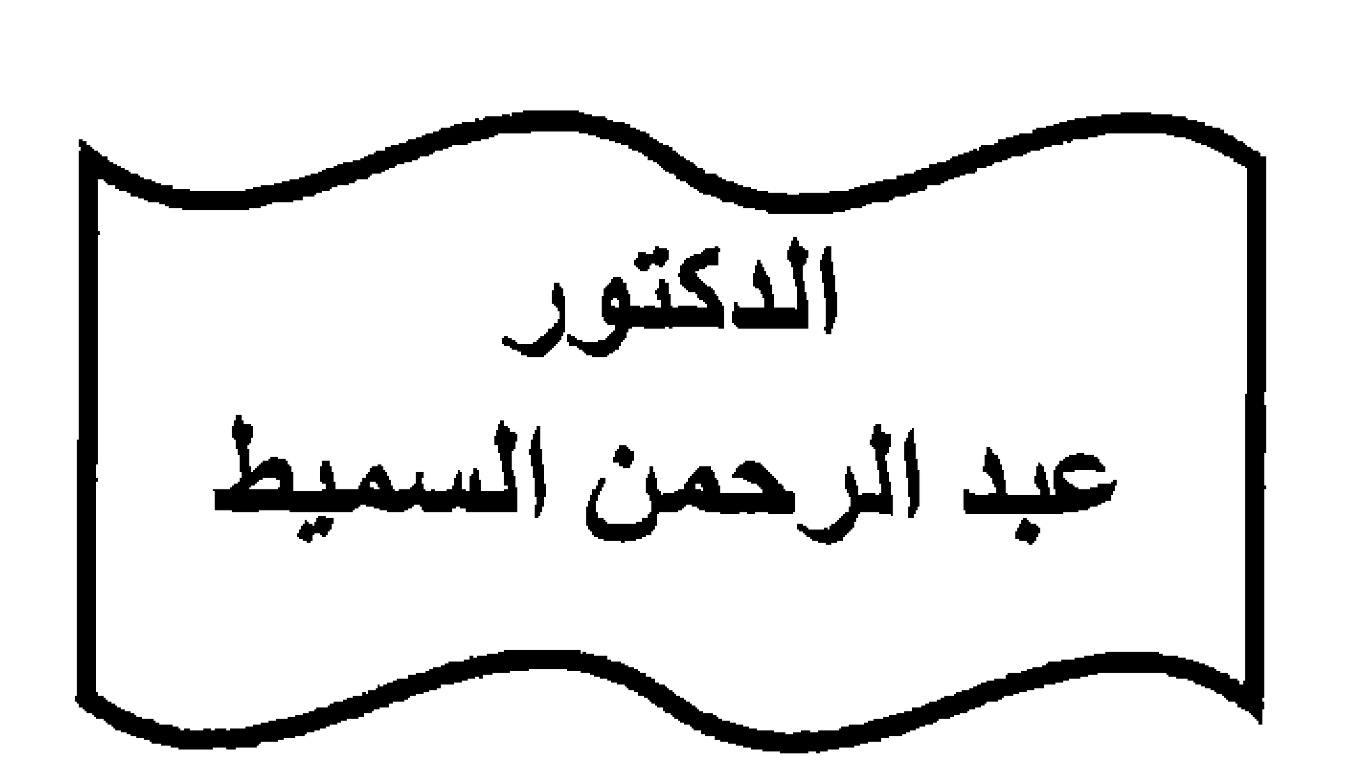
وحين يسمع عنه المرء في الأخبار

أو يراه رؤيا العين والإبصار

يود وصفه فأنه يحتار

هل هذا الرجل من المهاجرين أم من الأنصار





إن الناس جميعاً يموتون، وتختلف الأسباب.
ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في المجد.

❖ مولده ونشأته:

ولد الدكتور **عبد الرحمن حمود السميط** في مدينة الكويت، في ١٥ تشرين الأول عام ١٩٤٧م.

هو من عائلة متوسطة الدخل، كان والده يعمل عملاً حراً، ثم أصبح موظفاً.

كان **د. عبد الرحمن** متديناً بطبعه، وحريصاً على الصلوات، خاصة صلاة الفجر في المسجد منذ كان عمره خمس سنوات، وكان أهل الحي يطلقون عليه اسم (**المطوّع**)، كما أن اشتراكه في الكشافة لمدة سبع سنوات، ترك في حياته بصمات واضحة من حيث التكوين الإسلامي، وتحمل المشاق والصبر على شظف الحياة.

اِلتحق بمدارس الكويت التأهيلية حتى أنهى تعليمه الثانوي، ثم اِلتحق بجامعة بغداد لإتمام تعليمه الجامعي في الطب، وبعد أن تخرج في جامعة بغداد انتقل إلى ليفربول في المملكة المتحدة وانخرط في جامعتها ونال دبلوم أمراض المناطق الحارة سنة ١٩٧٤م.

وواصل دراسته العليا في كندا وتخصص في أمراض الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية، ثم عاد إلى الكويت لتبدأ رحلته المباركة في الدعوة إلى الله.

❖ وعيه الثقافي والعلمي:

أحب **د. السميط** القراءة منذ صغره، حتى أن والده هدده في غير مرة أنه لن يصطحبه إلى السوق، لأنه كان إذا رأى صفحة جريدة أو مجلة ملقاة على الأرض ركض لالتقاطها و قراءتها أثناء المشي، وكثيراً ما كان يصطدم بالناس بسبب عدم الانتباه في الشارع. كان نهمه للقراءة كبيراً لدرجة أنه كان يفضل أن يشتري كتاباً على أن يأكل وجبة طعام.

كما أنه أمضى فترة طويلة يتردد فيها على مكتبة (**حولي**) العامة في الكويت للقراءة، وهذه المكتبة تضم أمهات الكتب. وتستطيع أن تطلق عليه (**دودة الكتب**) حسب التسمية الغربية، بسبب حبه للكتب وارتباطه بها.

هذه القراءة فتحت عينيه على معلومات مهمة لم تكن متاحة لأقرانه، وقراءاته كانت متنوعة حيث شملت العلوم الشرعية والأديان الأخرى والسياسة والاقتصاد وغيرها.

وكان من عادته إذا أمسك بكتاب مهما كانت عدد صفحاته لا يتوقف عن قراءته حتى ينتهي منه. وفي بعض الأحيان كان يذهب إلى مكتبة (**حولي**) قبل موعد الدوام ليكون أول الداخلين إليها، وعندما تغلق أبوابها يكون آخر الخارجين.

وكانت معظم أمواله متجهة إلى شراء الكتب - التي كانت تأتي من مصر- من المكتبات الخاصة.

ويعلل سبب حبه للقراءة وإقباله على مطالعة الفكر المناوئ للإسلام بقوله:

كنت أقرأ بهدف البحث عن الحقيقة وتوسيع مداركي ومعارفي، وكنت كلّما قرأت في النظريات اليسارية والماركسية وغيرها، ترسخت في عقلي ووجداني عظمة و أهمية الإسلام، وازددت فخراً وعزاً بالانتماء إليه، لما في هذه النظريات من أفكار غثة وخرافات وأساطير تصطدم بالفطرة الإنسانية، مما كان يدعوني إلى التمسك بالإسلام و الدعوة إليه

والعمل على نشره، حتى أصبحت من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي والإنساني وغيره.

❖ انتماؤه الفكري:

لقد تقلب **د. السميط** في معظم الجماعات الإسلامية، ويدين بالفضل لهؤلاء جميعاً، فقد أسهموا في تشكيل فكره. وهو يقدّر كل من أسهم في تكوين وصياغة طريقه.

كان يريد جماعة تحفظه من أن يضيع في المجتمع، ولكن لم يكن ينتمي لها بالقلب، وإنما ينتمي لها بالعرفان. لأنها حفظته من الضياع.

ومنذ أربعين سنة تقريباً انقطعت علاقته مع كل الجماعات الإسلامية، وبدأ يمشي في الخط الخيري. ولاسيما بعد أن شعر بلذة ومتعة مساعدة الآخرين الذين هم في أمسِ الحاجة إلى الحد الأدنى من ضروريات الحياة و خاصة المجتمعات المهمشة في أفريقيا.

❖ **حياته العلمية والمهنية:**

تخرج في جامعة بغداد في تموز عام ١٩٧٢م، بعد أن حصل على بكالوريوس في الطب و الجراحة، ثم سافر إلى الغرب لاستكمال الدراسات العليا حيث حصل على دبلوم أمراض المناطق الحارة من جامعة ليفربول عام ١٩٧٤م، ثم واصل الدراسة في جامعة

ماكجل في مونتريال في كندا فحصل على دبلومين في التخصص في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي عامي ١٩٧٤ و١٩٧٨م.

كما قدم أبحاثاً في سرطان الكبد إلى (Kings College) في جامعة لندن عام ١٩٧٩ و١٩٨٠م، و أعد العديد من الأبحاث في العلوم الطبية و أمراض الجهاز الهضمي. وعمل اختصاصياً في مستشفى الصباح في الكويت مابين١٩٨٠م إلى ١٩٨٣م، لكن بسبب حبه للعمل الخيري وتعاطفه مع الحالة المأسوية للمسلمين في

أفريقيا، فقد قرر التفرغ لإغاثتهم من خلال لجنة مسلمي أفريقيا التي عرفت فيما بعد **بجمعية العون المباشر**.

❖ مرضه:

يعاني **د. السميط** من عشرات الأمراض:

أصيب مرتين بالجلطة القلبية، وأصيب بجلطة دماغية مع شلل ولكنه زال بفضل الله، ويعاني من ارتفاع في ضغط الدم، ومن مرض السكري ويحتاج إلى خمس حقن أنسولين يومياً، كما أنه مصاب بجلطات في الساق، وتخشن في الركبة يمنعه من الصلاة دون كرسي، ويعاني من ارتفاع في كولسترول الدم، ومصاب بتريف في العين وغيرها كثير...

من أهم أسباب مرضه هو الإجهاد، حيث تعرض في أوائل التسعينات إلى جلطة قلبية ناجمة عن الإجهاد أثناء عمله في المجاعة في القرن الأفريقي (كينيا والصومال)، وتم نقلة بطائرة عسكرية إلى الرياض لتلقي العلاج.

وهو يتناول الآن أكثر من عشرة أنواع من الأدوية بشكل يومي.

❖ خوفه من الله:

يقول د. السميط:

- آن الأوان أن أتذكر الموت وداره، خاصة وأن العمر قد انقضى في الجري وراء الدنيا، ولا بد لي من صحوة أعود بها إلى الله وأعبده حق العبادة من خلال الدعوة، لهذا قررت أن أعمل لآخرتي، وأتفرغ للدعوة في أفريقيا، وأن أعيش وسط قبيلة أصلها عربي مسلم فَقَدّت هويتها وضاع منها دينها وتحولت إلى الوثنية. لقد نسيهم الدعاة، فنسوا دينهم وعبدوا الأحجار والأشجار.

قررت أن أعيش بينهم في منطقة نائية في مدغشقر ينعدم فيها الكثير من الخدمات، لمساعدتهم على العودة إلى دينهم واستعادة هويتهم.

إن عددهم نصف مليون، وهم بحاجة إلى جهود كبيرة وأموال كثيرة.

- عندي عشرات الأمراض، ولكن مَنْ ينقذني من الحساب يوم يشكوني الناس في أفريقيا بأني لم أسعَ إلى هدايتهم.
- هل أبقى مع أولادي ورسولنا ﷺ يقول: "فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[1]، وأدعو الله أن يكون ذلك الرجل من قبائل (الأنتيمور) ـالتي أعمل وسطها حالياً والتي أسلم فيها عشرات الألوفـ ينقذني من النار ويكون سبباً في دخولي الجنة.
- والذي نفسي بيده .. إني تمنيت لو شققت قلبي لأضع في كل قبيلة جزءاً منه خوفاً من حساب الله يوم القيامة.
- لقد أسلم في أثيوبيا وشمال كينيا خمسون ألفاً من قبيلة (البوران).

وأسلم ثلاثون ألفاً في شمال كينيا من قبائل (الغبرا) و (البرجي).

وأسلم مئات الألوف في رواندا ومثلهم في ملاوي.

و٨٠ ألفاً أسلموا في جنوب تشاد.

وستون ألفاً في جنوب النيجر.

وعشرات الألوف في جنوب السنغال وغينيا وبنين وسيراليون وغيرها... وهذا ما جعلني أشعر بعظم مسؤوليتي أمام الله.

- سألقي عصا الترحال يوم أضمن الجنة، وما دمت دون ذلك فلا مفر من العمل حتى يأتي اليقين فالحساب عسير..
- كان أكثر ما يؤثر في **د. السميط** إلى حد البكاء، حينما يذهب إلى منطقة ويدخل بعض أبنائها في الإسلام، ثم يصرخون ويبكون على آبائهم وأمهاتهم الذين ماتوا على

---

(1) أخرجه مسلم.

غير الإسلام، وهم يسألون: أين أنتم يا مسلمون؟ ولماذا تأخرتم علينا كل هذه السنوات؟

كانت هذه الكلمات تجعله يبكي بمرارة، ويشعر بجزء من المسؤولية تجاه هؤلاء الذين ماتوا على الكفر.

❖ أخلاقه:

لم يحاول **د. السميط** استغلال حاجة أي إنسان سواء كان مسلم أو غير مسلم.

عندما كان يوزع الغذاء لا يفرق بين المسلم وغير المسلم، كان المسيحيون يقولون له: كيف تعطينا وتعرف أننا مسيحيون؟

فيقول: هذا ليس بطولة من عندي، إنه ديني الذي يأمرني بذلك، ديني ذكر لي أن امرأة مومس عاهرة نزلت إلى بئر شربت ماء لما خرجت للأعلى رأت كلباً عطشاناً،

فقالت: والله هذا أصابه مثلما أصابني، فنزلت وملأت خفها بالماء أو حذائها بالماء وصعدت وسقت الكلب فغفر الله لها[1]، رغم أنها مومس.

فإذا كان الله غفر لمومس من أجل كلب فمن باب أولى أن الله سيغفر لي إذا ساعدت إنسان مثلي مثله في الإنسانية من لحم ودم وعقل بغض النظر عن دينه.

- لم يحاول في يوم من الأيام خلال ثلاثين سنة أن يساوم أحداً على دينه مقابل المساعدات نهائياً.
- وبالعكس بعض القرى كان يساعدها قبل أن يسلموا، وعندما يسلمون تقل المساعدات، حتى لا يعتقدون أنه اشتراهم بالمساعدات هذه.

مدارس جمعيته مفتوحة لكل الناس، الآبار التي تحفرها جمعيته مفتوحة للجميع.

---

(١) قال رسول اللهِ ﷺ: غفر لامْرأة مومسة مرَت بكلب على رأس ركيٍّ يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعتْ خفَها فأوثقته بخمارها فنزعتْ له منْ الْماء فغفر لَها بذلكَ .أخرجه البخاري.

- يقول **د. السميط**: إن الذين يصرون على مزج الدين بالمساعدة هم أناس خاسرون، ورأيت هذا في أكثر من مكان.

❖ تواضعه:

أبرز سماته هي: **التواضع اللامتناهي**:

إنه يقدم الشاي والقهوة إلى ضيوفه الجالسين وكأنه خادمهم.

ويجثو على الأرض ويسأل الناس عن حالهم و كأنه ابن أمهم.

حقاً من تواضع لله رفعه!

لا يفتر "**حفظه الله**" عن ترديد قوله:

"إن أرحام المسلمات لم تصب بالعقم حتى تعجز أن تنجب مَنْ هو خير من **عبد الرحمن السميط**، ولقد أنجبت أمهاتنا صحابة رسول الله والتابعين والعلماء الأفذاذ والمجاهدين والمجددين وغيرهم، وكلهم خير ديناً ودنيا من **عبد الرحمن السميط**".

"أنا أبسط من أن أكون داعية فما زلت في بداية الدرب، والدعوة حقيقة أكبر مني".

❖ اِتباعه لسنة رسول الله ﷺ:

- ذهب في إحدى المرات بصحبة رفيق له في رحلة دعوية إلى صحراء شلبي بشمال كينيا بين مجموعة من القرى الفقيرة التي تكاد تنعدم فيها حتى متطلبات العيش الضرورية! فلم يجد فيها دكاناً يشتري منه طعاماً أو مواد غذائية، و لم يعثر فيها على مطعم، ولو كان مطعماً صغيراً لإعداد وجبات بسيطة تسكن لسعات الجوع التي قد يتعرض لها المرء في مثل هذه الظروف والأحوال.

مرّ عليه يومان كاملان من دون طعام، وهو يدعو الناس هناك إلى دين الله، ويشرح لهم عقيدة الإسلام مقتدياً بحبيبنا محمد ﷺ الذي عصب بطنه من شدة الجوع،

وخرج في ذات ليلة فلقي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: " ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ " قالا: "الجوع يا رسول الله!".

قال: "وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما "(١).

كان هذا الهدي النبوي العظيم هو المعين الذي يتزود منه بالصبر الجميل الذي يعينه على تبليغ دعوة الحق في هذه المناطق النائية والأحوال القاسية.

لقد كان منذ الصغر متأثراً بسيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح، ويتمنى لو يعيش حياة تقشف وإيمان مثلهم.

- وفي إحدى الرحلات تعطلت سيارته، فاضطرّ إلى النزول منها، وبدأ السير على الأقدام وسرعان ما انقطعت نعله، وبدأ يسير حافياً على الحجارة الكبيرة التي تنزلق عليها الرجل، ولكنها أرحم مرات كثيرة من الحجارة الصغيرة التي تمزق أقدامه كالأمواس الحادة إذ تدخل في القدم وتخترق الجلد.

لقد تمنى أي تراب أو زرع ولو بحجم صغير يكفي قدمه لترتاح عليه ولو للحظات، ولكن لا أمل. حاول أن يخفف الألم بلبس النعل السليمة التي لم تنقطع، ثم تذكر نهي الرسول ﷺ عن السير بنعل في رجل واحدة، فخلعها، وازداد الألم وهو يسير.

❖ صور من عبادته مع أصدقائه:

لا زال **د.عبد الرحمن** يذكر ذلك الأخ الذي التقى به في غابات أفريقيا بعد غيبة طويلة، فاحتضنه و بدأ يبكي كالطفل، ويذكر أنه يشعر بأقل حالاته الإيمانية منذ عدة أشهر، وأنه يخشى على نفسه من الكفر_والعياذ بالله_ لأنه لا يقوم ليلة بالتهجد، وأنه لم يعد يصوم إلا الإثنين والخميس، وبعض النوافل الأخرى، إضافة إلى رمضان وست من

(١) رواه مسلم .

شوال، وأنه لم يعد يختم القرآن إلا كل أسبوع مرة واحدة، وزاد بكاؤه وهو يذكره بأيام أفضل وأكثر طاعة قضاها معه في سنوات سابقة.

❖ **عبادة الصدّيقين في السجن:**

- عندما سجن ذات مرة قام بتطبيق برنامج تعبدي للمساجين من أجل أن يستفيد الجميع من الوقت: كان النوم الساعة العاشرة مساءً، والاستيقاظ الساعة الثالثة صباحاً، يبدؤون بالقرآن والتهجد ثم الفجر ثم الأدعية المأثورة وتلاوة القرآن.

لم يكن لديهم مصاحف في الزنزانة، ولكن كانوا يعالجون الضباط فيسألونهم: ماذا تريدون؟ فيقولون: أعطونا محارم ورقية، فكانوا يكتبون عليها القرآن.

فكان **د. عبد الرحمن** يكتب ما يحفظه، وصديقه يكتب ما يحفظ، وهكذا حتى كوّنوا قرآناً كاملاً من المحارم الورقية لكي يستطيع كل واحد منهم أن يقرأ الذي لا يحفظه.

- قضى ستة وعشرين يوماً في معتقل ضيق، ولولا عناية الله أولاً، ثم إعداده برنامجاً ثقافياً ودينياً وحتى رياضياً في تلك الزنزانة الصغيرة، لانهارت أعصابه وأعصاب المساجين جميعاً.

- **يقول د.عبد الرحمن:** قضينا الوقت في صلاة لم نذق حلاوة في حياتنا كحلاوة السجود فيها ونحن في الزنزانة، والدموع تنهمر من عيوننا، لا خوفاً على مصيرنا الذي كنا نجهله، ولكن خشية من الله وتقرباً إليه، كانت المحاضرات تتوالى كل يوم، وكان قيام الليل مستمراً.

كتبنا ما نحفظ من القرآن الكريم على مناديل الكلينكس (المحارم الورقية)، وتبادلناه فيما بيننا .. لقد كانت أيام محنة.

❖ صبره وحبه للتحدي:

في عام ١٩٦٣م أنهى الثانوية العامة، وتقدم بطلب انتساب إلى كلية الطب في أمريكا ومصر، فجاءه القبول من الجهتين، سمع بعض الطلبة يقولون: يوجد في بغداد كلية طب لا أحد ينجح فيها_ هو شخص يحب التحدي_ فقال: كلية الطب في بغداد لا ينجح فيها أحد؟ أنا أريد أن أنجح فيها، ذهب إلى بغداد وانتسب إلى كلية الطب فيها وتخرج فيها.

وكما هي العادة الدنيوية والنواميس الكونية للبدايات، ففيها تكون التحديات والصعوبات والأبواب المغلقة، ولكن لا يقطف الورد في النهاية إلاّ من وخز بأشواكه!!

ثلاثة أشهر من العمل الشاق والجاد والتواصل الكبير مع الناس في بلد غني مثل الكويت ومع ذلك لم يستطع **د. السميط** إلاّ أن يجمع ألف دولار فقط من التبرعات الخيرية للفقراء!!

إنها خيبة أمل بالطبع، ومع ذلك لم يرفع العلم الأبيض، ولكن غيّر الإستراتيجية، فتحوّل من مخاطبة الأغنياء والأثرياء إلى مخاطبة الطبقة الوسطى هناك، وتحديداً الشريحة النسوية المراهنة على ما عند الله، وقد كانت كنز **عبد الرحمن السميط** المفقود، حيث فتح الله عليه فتحاً عظيماً بعد ثلاثة أشهر عجاف، وانطلق بكل قوة نحو حلمه في تنمية وتغيير وتطوير القارة السمراء، ذلك المكان الموحش للبعض، ولكنه للأنفس التواقة التي تعشق التحدي والمغامرة وتطلبها فهو الهدف الغالي، وكان ذلك النجاح الرهيب والمدوي بكل المقاييس. أسلم على يديه وعبر جهوده وجهود فريق العمل الطموح الذي يرافقه ما يقارب عشرة ملايين شخص في قارة أفريقية فقط.

● **يقول د.السميط:**

لا نجاح أبداً بدون الفشل، النملة لا تستطيع تسلق الحائط بدون أن تسقط أكثر من مرة، والطريق إلى النجاح يمر دائماً بمحطات من الفشل، ولا خير فيمن يستسلم من المعركة الأولى.

ومَنْ يُرد الراحة الجسدية فليجلس عند زوجته، في بيته، ولا حاجة لله فيه، وطريق الدعوة محفوف بالمشكلات، وكل سنة نفقد حوالي ٨–١٠ من العاملين معنا في الحروب الأهلية التي لا ننسحب منها لأن الحاجة إلى عملنا تكثر.

لقد أصبت مرتين بجلطة في القلب، وأصبت بأمراض كثيرة، ولكن هذا كله يهون إذا عظم الهدف الذي تسعى إليه.

❖ **الحياة العائلية:**

تزوج **الدكتور عبد الرحمن السميط** بعد سنة ونصف من تخرجه في كلية الطب في بغداد، من السيدة الفاضلة الداعية أم صهيب، وهي خريجة كلية التجارة – تخصص محاسبة.

رزقه الله منها **خمسة أبناء:** أسماء، نسيبة، صهيب، سمية، عبد الله.

منذ مدة طويلة وهو يتطلع للهجرة إلى أفريقيا والإقامة في إحدى القرى لكي يتفرغ لتربية أبناء المسلمين، وتقوم زوجته بتربية بناتهم، وتلك كانت أمنية في قلبه وقلب زوجته وهذا ما تحقق بفضل الله....

كان يترك أولاده مع أمهم بين عشرة إلى أحد عشر شهراً في الكويت، ويأتون إليه في أفريقيا في العطلة ويتنقلون معه بين القرى من أجل نشر الدعوة.

ينامون أحياناً في الغابة، وأحياناً في المساجد الطينية، وكلهم درسوا وتخرّجوا من الجامعات، وتزوجوا. لقد رعاهم الله لأنه رعى أيتام المسلمين و فقراءهم.

ابنته الكبرى تزوجت، وهي أستاذة في كلية الهندسة. وابنه صهيب مهندس كهرباء. أما ابنه عبد الله طبيب بيطري تخرج حديثاً، ويريد أن يلتحق معه بالعمل الدعوي.

يذهب **د. السميط** إلى الكويت بين الحين والآخر من أجل علاج نزف في شبكية عينه، وخلال وجوده في الكويت ذات مرة عمل في السوق، فكان يربح يومياً عشرة آلاف ريال، قالت له زوجته: لا تفعل ذلك، لأن الله لم يخلقك من أجل جمع المال، خلقك لتعمل في أفريقيا، سأحضّر حقيبتك ونذهب غداً إلى أفريقيا، فأجابها بأنه يجمع المال من أجل أولاده، فأخبرته بأن لأولاده ربُ يرعاهم، فعلاً ألغى كل مواعيده الطبية الباقية واتجه إلى أفريقيا.

كان رحّال متنقل بين الأدغال والمدن والقرى الأفريقية، إذ يندر أن يبقى أكثر من ثلاثة أيام في مكان واحد، فطبيعة عمله تفرض عليه أن يتنقل من مكان إلى آخر لمتابعة مشاريع الجمعية و دعاته وبرامج مساعدة هذه المجتمعات الفقيرة، ولهذا كان لا يرى أولاده كثيراً، حتى أن ابنه الأصغر كان يهرب منه داخل المترل عندما يعود إلى الكويت، وبعد ذلك بدأ يصطحب أسرته خلال فترة الصيف لكي يتعرفوا على أفريقيا وحياة الفقراء، ولكي يتعرف عليهم ويتعرفوا عليه، كان لا ينظم لهم برنامجاً خاصاً بهم،

بل كان برنامجه الدعوي هو برنامجهم. ينامون معه في الغابات والصحارى، وذات مرة مكثوا خمسة أيام لا يأكلون إلا الموز.

في إحدى زياراتهم لأفريقيا نزلوا في فندق حكومي وكان نظيفاً نسبياً، غير أنه من الناحية الأخلاقية غير نظيف تماماً، وأصرّت زوجته ألا يقيموا لحظة واحدة في هذا الفندق. ولكن كانوا متعبين من السفر حيث قطعوا طريقاً يمتد لأكثر من ١٥٠٠ كيلومتر في طرق وعرة وصعبة، فأخبرها أنه لا بديل لهم إلا النوم في الغابات، فكان ذلك عندها أفضل من النوم في فندق من هذا النوع.

فعلاً ونزولاً عند رغبتها تركوا الفندق، وفي طريقهم وجدوا مسجداً قديماً ومهدماً، قضوا الليل فيه وكانوا ضيوفاً على البعوض بكميات هائلة جداً، وعندما استيقظوا وجدوا وجه ابنهم الرضيع عبد الله متورماً جراء لسعات البعوض، وعلى إثرها أصيب بالملاريا.

وعندما أصيب بجلطة في القلب إبان جولته في الصومال خفّض زياراته إلى سبعة شهور فقط، و أصبح من المعتاد أن تقضي أسرته فصل الصيف معه في أفريقيا.

لم يفرض **د. عبد الرحمن** على زوجته (أم صهيب) رأياً من الآراء، أو مبدأ من المبادئ، كما أنه لا يحب أن يفرض رأيه على الآخرين بمن فيهم أبناؤه.

- وأكثر ما كان يشغله في حياته الأسرية **قضية تحري الحلال والحرام:**

فقد أمضى خمس سنوات في كندا وثلاث سنوات في بريطانيا لم يدخل مطاعمهم، ولم يتناول مأكولاتهم خشية الحرام، حتى الجبن لا يتناوله خاصة بعد أن اكتشفت أنهم يستخدمون في صناعته مادة الرنيت أحياناً ومصدرها الخنزير، أو أبقار لم تُذبح على طريقة الشريعة الإسلامية. وعندما زارهم الشيخ القرضاوي، سأله عن أكل هذه الأجبان فأجازها.

واحتراماً منه لرأي الشيخ وتقديراً لمكانته ذهب إلى السوق واشترى جبناً لأبنائه، لكنه يرفض حتى الآن تناول الأجبان الغربية ومعظم العربية، ويفضل عليها الجبن الذي يصنعه في البيت.

حرص على توريث **قضية الحلال والحرام** لأبنائه، ليس فقط في مجال الطعام والشراب ولكن في جميع مجالات الحياة، حتى أن أغلب أبنائه بقي أكثر من عام دون توظيف لأن البلد ــ مع الأسف ــ لا توظف إلا من خلال الوساطة وليس من قيمه أن يتوسط لأولاده، ولو شعر أولاد أنه توسط لهم لرفضوا ذلك.

- وخير مثال: أن ابنته الكبرى كانت قد تخرجت وحصلت على بكالوريوس هندسة الكمبيوتر، ومكثت لمدة سنة تتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن وظيفة، وكان طلبها

يُرفض رغم كونها من الأوائل. وعندما وافقت إحدى الوزارات على تعيينها بعد أن اطلعوا على أوراقها، قال لها وكيل الوزارة: إن أقل ما نفعله تجاه والدك الذي خدم الإسلام هو أن نعينك. فغضبت في نفسها وسحبت أوراقها و لسان حالها يقول: إذا لم تكن أوراقي كفيلة بتعييني، فأنا أرفض تعييني من أجل أبي، وتركت هذه الوزارة و لم تعد إليها ثانية.

- أيضاً ابنه صهيب عندما تخرج في هندسة الكهرباء بالولايات المتحدة، مكث مدة غير قصيرة من دون الحصول على وظيفة، وكان يحدّث أباه بين الحين و الآخر عن الواسطة وسلبياتها، لكنه لم يطلب منه في يوم من الأيام أن يساعده.
- **يقول د. عبد الرحمن:**

نحن لسنا من التجار أو الأغنياء، ولكن- ولله الحمد- ليس هناك من أبنائي من لا يكفل يتيماً أو داعية أو يتبرع بشكل شهري لأكثر من جمعية خيرية، وهم يلقون تشجيعي للتبرع لجمعيات أخرى غير جمعيتنا، حتى لا يصبح ولاؤهم للجنة مسلمي أفريقيا أو العون المباشر، وإنما ولاؤهم لله عز و جل. وعندما نذهب إلى الجمعيات الخيرية يبادرون إلى وضع نقودهم فيها، وهذا أمر يسعدني ويشرح صدري، وأتمنى أن يستمروا على هذا الولاء لله سبحانه وتعالى، وليس لجماعة أو حزب أو حركة أو غيرها.

- وعندما كان **د. عبد الرحمن السميط** يتحدث في مسجد خلال فترة راحة في صلاة القيام، ويعظ الناس، ذكر موضوعاً تأثر بشدة و هو يتحدث عنه.

فقد تحدث عن مهر ابنته...التي عندما تزوجت، فشرطت على زوجها أن يذهبا مرافقين لوالدها **د. عبد الرحمن السميط** في رحلة عمل خيري في أدغال أفريقيا، فتخلت عن الذهاب و الاستمتاع بشهر العسل لتقضيه بعمل الخير مع والدها.

- **قصة عبد الله (الولد الأصغر):**

عبد الله هو الولد الأصغر **للدكتور عبد الرحمن السميط**، وهو دكتور بيطري، تزوج منذ فترة قصيرة، وذهب ليقضي شهر العسل في غابات أفريقيا.

وفي شرق كينيا سمع عن زعيم قبيلة من القبائل يحب الإسلام، ولكن يرفض أن يسلم، وطلب القوم من عبد الله الذهاب إليه والتحدث معه لعله يسلم، وخاصة أنهم يعتبرون: أن كل عربي هو من مكة وجزء منها.

ذهب عبد الله وزوجته في سيارة بيك آب إلى زعيم القبيلة وتحدث معه، فرد عليه شيخ القبيلة: أنا غير مؤمن بالكنيسة ولا رب الكنيسة، وأحب الإسلام، ولكن الكنيسة أنفقت علي وأنا في الابتدائي، وفي دراستي في الثانوي، وإلى الآن تصرف علي، وأرى من الخيانة وعدم الوفاء التغيير.

فقال عبد الله له: هذا كلام جميل، ولكن لا ينفعك يوم القيامة، فإما جنة وإما نار.

لقد جئت من بلدي إليك لأن أهلي تحدثوا عنك. وتذكر بأنك ستموت وتذهب إلى القبر، فماذا أعددت لهذا القبر.

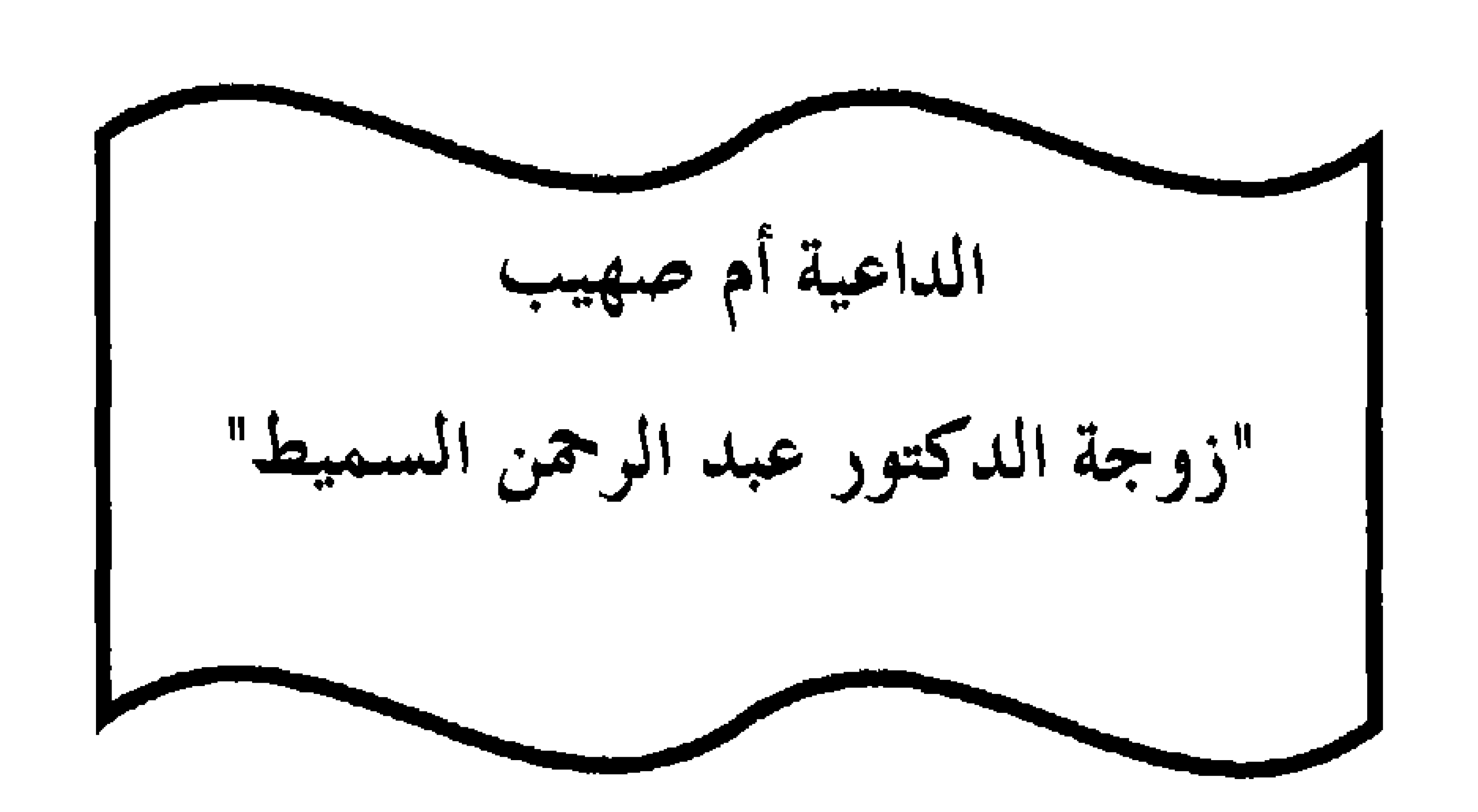
وبانبهار قال الرجل: ها----اتركني ٢٤ ساعة أفكر.

كان ينوي عبد الله أن يسافر، فأجّل سفره من أجل هذا الرجل، وعندما ذهب إليه وقبل أن يترل من السيارة، رأى الرجل يرفع إصبعه ويقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

ولشدة فرح عبد الله أخذ يبحث له عن هدية في السيارة أومن زوجته، فلم يجد، فخلع ثوبه (الكلابية والطاقية) وألبسهما للرجل فرحاً به، وبقي هو بالسروال الأبيض الطويل الداخلي.

وأسلم مع هذا الرجل(شيخ القبيلة) أحد عشر زعيماً لقبائل أخرى تابعة له، وحسن إسلامه، وهو الآن داعية من دعاة الإسلام.



تزوج الدكتور عبد الرحمن السميط من الداعية أم صهيب بعد سنة ونصف من تخرجه في كلية الطب في بغداد.

- وهي خريجة من كلية التجارة – تخصص محاسبة.
- أمٌ لخمسة أبناء: أسماء، نسيبة، صهيب، سمية، عبد الله.

زرع **د. عبد الرحمن السميط** حب العطاء وفن القيادة فيمن حوله، وكان من أبرز من التقط هذا المنهج حرمه أم صهيب التي تبرعت بجميع إرثها -بلا تردد- لصالح العمل الخيري، وهي أيضاً قائدة بارزة في مجالها، فقد أسست الكثير من الأعمال التعليمية والتنموية وتديرها بكل نجاح وتميز، وهي بدعمها ومؤازرتها **للدكتور عبد الرحمن** أحد أسرار نجاحه أيضاً، وهذه أحد تفاعلات النجاح وخلطاته السحرية، فحيث يكون التكامل يكون النجاح الجماعي.

إنها روح واحدة صنعت كل هذه الإنجازات العظيمة في ثاني أكبر قارة في العالم، وتحت أصعب الظروف السياسية والصحية والثقافية، حيث تنتشر الحروب والنزاعات والجهل والتخلف والأمراض، ويغيب الاستقرار والأمن والجهات الداعمة.

- **تقول أم صهيب:**

عندما يكون هناك توافق بين الرجل وزوجته، و وحدة في رؤية الهدف: وهو رضا الله سبحانه، تهون كل المصاعب، عندها يشعر المرء أن الله معه في كل خطوة ولن يخيب رجاءه، وقد تعجبون أن أقول بأنه قد يسّر الله لي تربية خمسة أولاد وبنات حتى تخرّجوا جميعاً من الجامعة.

وكأن الله بتيسيره لتربية الأولاد يقول: ما دام الأب مشغولاً بتربية الأيتام في أفريقيا، فلقد يسرنا لك تربية الأولاد.

وأحمد الله كلهم نشؤوا نشأة إسلامية، وملتزمون في حياتهم الخاصة والعامة.. فلقد غرس زوجي الخير في أفريقيا.. فوجدنا ثماره في الكويت..

كنت أتحدث لأبنائي عن والدهم، وعمله وعظم المهمة التي يقوم بها لخدمة المسلمين في أفريقيا. كما حرصت على غرس معاني البذل والتضحية في نفوس الأبناء، مما عزز قيمة ما يقوم به والدهم من عمل جليل، وربطهم به.

وأحمد الله أن أغلبهم يتبرع بنصف راتبه أو دخله لصالح الأعمال الخيرية، حتى أصغرهم لديه منحة جامعية يتبرع بجزء منها للدعوة.

إذا عاش الفتى أو الفتاة في بيئة جيدة فالتربة تكون مهيأة لتعطي نباتاً طيباً. أنا راضية برضا الله عن عملنا (إن شاء الله).

قد يبخس البعض دور المرأة وأهميتها في صنع الحضارات، ولكنني لن أقول: (ابحث عن المرأة من وراء العظماء)، ولكن أجزم أن كل فاشل لم يكن وراءه امرأة أو كانت وراءه امرأة فاشلة.

تستطيع المرأة أن تساهم بشكل فعّال في نجاح زوجها وأبنائها، وكذلك في فشلهم. وسأتحدث عن تجربتي:

إن مشاركتي لزوجي وأبنائي في السفر إلى أفريقيا، والنوم في الغابات والصحاري والمساجد الطينية، وتحمل بعض الصعوبات في السفر في طرق متعبة، وقلة الأكل، كل هذا أقنعني بأن ما يقوم به أبو صهيب من خدمة لإخوانه المسلمين في أفريقيا هو شرف لنا جميعاً، وأتطلع أنا والأولاد كل سنة للسفر والمشاركة في الدعوة.

إن أي نجاح يحققه في تشرفه بكونه خادماً لإخوانه المحتاجين هناك، هو نجاح لي وللأولاد ومما يسعدني أن نكون سبباً في دخول ٥,٣مليون شخص إلى الإسلام في المناطق التي نعمل فيها في أفريقيا، ولا زلنا نعمل في هذه المناطق منذ خمس وعشرين سنة، فأنا أعتبر نفسي شريكة مع أبي صهيب في كل خطوة يخطوها، وهو ما يؤكده لي دائماً..

- لقد واجه **د. عبد الرحمن** العديد من العقبات في عمله بالجمعية:

من مشاكل صحية، ومحاولات اغتيال، وصعوبات في التنقل وغيرها، والإنسان معرض للمصائب والمشاكل في كل الحالات، فخير لي وله أن يتعرض لها في سبيل الله من أن يتعرض لها في وضع آخر.

وبئس الرجل الذي يصاب في غير طاعة، وأنا والأولاد كلنا رضينا بما يكتب الله لنا ولأبي صهيب من عوارض، ونرجو أن يرضى الله عنا وعنه.

أصيب زوجي بالملاريا مرتين في الكويت، وأعرف أنه مصاب بجلطة قلب في الصومال، وأجريت له عملية في الرياض، وكسرت فخذه وأضلاعه والجمجمة أثناء قيامه بأعمال إغاثة ومساعدة لإخواننا في العراق، أما إطلاق النار فلم يخبرنا به، ولكن قرأتها في الصحف، وأكرر أننا نتقبل كل ما يكتبه الله علينا..

- **الحياة في أفريقيا:**

لقد زرت أفريقيا عدة مرات مع الدكتور بصحبة الأبناء، لقد وجدت فيها البساطة والحياة على الفطرة التي تجعل المرء يعيش على السجية، فيكون ارتباطه بالخالق، واعتقاده

به أقرب فيها مما سواها، بعيداً عن تعقيدات الحياة الحضارية ومعضلاتها.

نقوم عادة بزيارة دور الأيتام ومراكز تدريب المؤمنات ومخيمات اللاجئين والمجاعة وغيرها من المراكز الإسلامية التي تقيمها اللجنة هناك، ونتعلم منهم الزهد والرضا والبساطة بقدر ما نعلمهم مبادئ الإسلام، وقد ألقيت عشرات المحاضرات على النساء في أفريقيا وعقدت عدة دورات لهن، وساهمت في التوعية بالمصاعب التي تواجه المرأة في أفريقيا، وجمعت لها تبرعات.

واستغربت من حرص المرأة الأفريقية على أن يتزوج زوجها بزوجات أخريات، بنفس راضية بل وبإلحاح منها، وهناك كثير من زعماء القبائل الوثنيين أو غيرهم لديهم ٤٠ أو ٥٠ زوجة، أما ملك سوازيلاند فله أكثر من ١٠٠ زوجة.

- **أمنية أم صهيب لأولادها:**

لو لم أتمنى انخراط أحد أبنائي في العمل الدعوي لما عززت عمل والدهم في نفوسهم ولما قبلت اصطحابهم والذهاب معهم إلى أفريقيا، وما فيها من أمراض ومخاطر، ولكني كما أسلفت آمنت مع أبي صهيب بأهمية العمل الخيري التطوعي ونشر الخير.

وأتمنى أن يكون أبنائي الخمسة لبنات جديدة تبني عليها الأمة الإسلامية مستقبلها. ومرحباً بالتضحية بنفسي وبأولادي وبزوجي في سبيل المساهمة في ذلك. أنا أبحث عن السعادة لهم، وأعتقد أنهم سيجدونها في هذا العمل.

وأدعو الله أن يرزقهم وييسر لهم مصدر رزق يعيشون من دخله فلا يحتاجون للوظيفة ويتفرغون لإكمال المسيرة التي بدأها والدهم، ففي ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

إن النوم بين الحيوانات المتوحشة في ظروف بدائية وسلوك طرق صعبة غير معبدة متعب جسدياً خاصة مع قلة النوم والأكل. ولكن.. في ذلك سعادتنا وسرورنا، وكما

ذكر أحد السلف: إننا لفي سعادة ونحن في طاعاتنا لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف ..!!

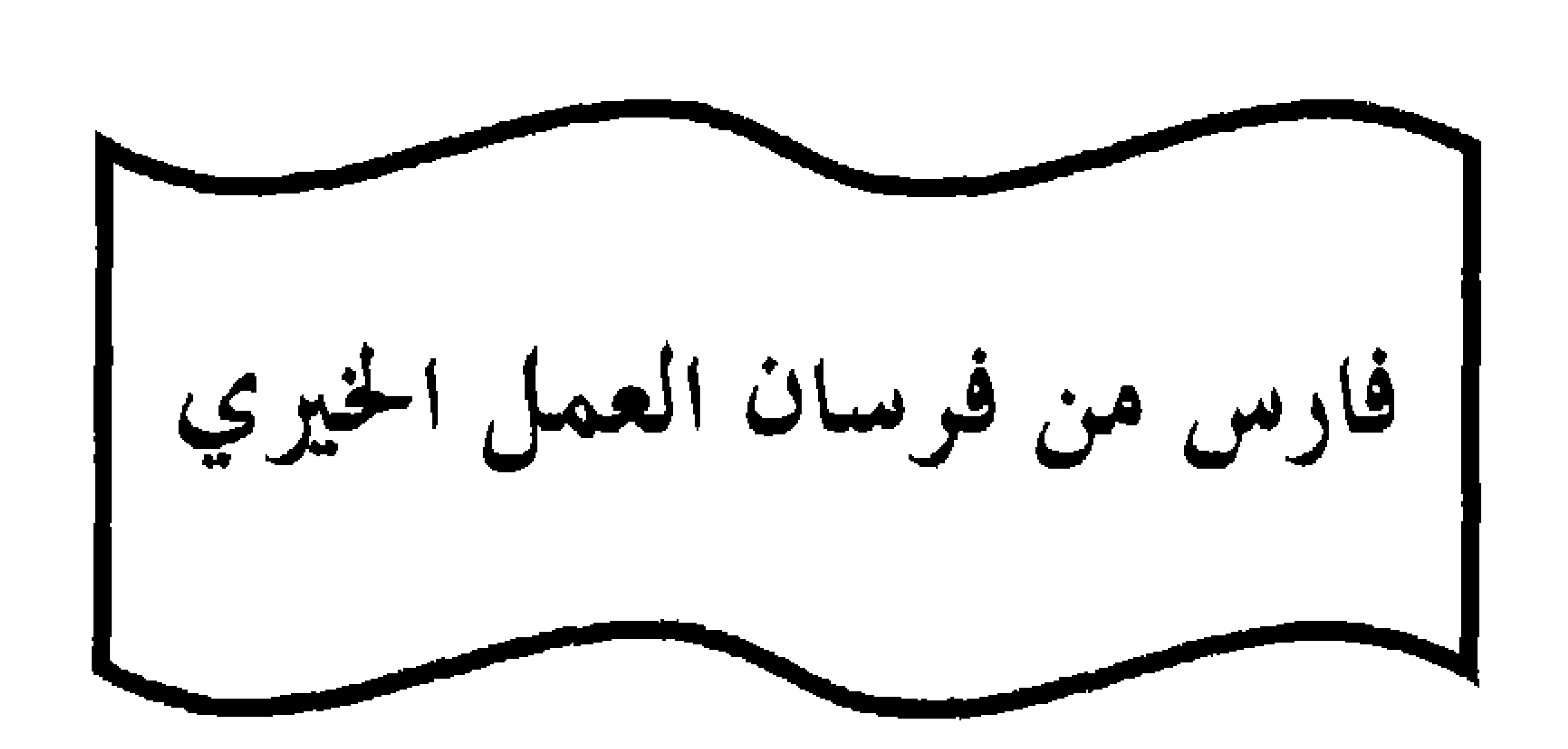
- **قالت لزوجها الدكتور عبد الرحمن ذات مرة:**

"لو قدّر الله لنا أن ندخل الجنة، تُرى هل سنكون أسعد من الآن؟"

- **الغربة وأم صهيب:**

الغربة أياً كانت وفي أي الدول صعبة بفراق الأهل والأحباب، ولكن شغل الإنسان لوقته في غربته بأعمال سامية تهوّن آلام الغربة وتحيلها إلى لذة ونشوة، تتجدد بابتسامة طفل شبع أو دمعات فرح تنزل من عين رجل قد منَّ الله عليه بالإسلام.

السعادة الحقيقية أن ندخل السرور في نفس مسلم في أفريقيا، أو أن تكون الواحدة منا سبباً في دخول امرأة للإسلام، هذه السعادة تنسينا كل ألم.



فارس من فرسان العمل الخيري

عرف **د. عبد الرحمن** منذ صغره أعمال البر والإحسان، وما لها من دور مؤثر في إسعاد الآخرين.

- حينما كان طالباً في المرحلة الثانوية فكّر مع بعض زملائه أن يقوم بعمل تطوعي، فجمعوا مبلغاً من المال من مصروفهم اليومي، واشتروا سيارة، وكانوا يتناوبون على قيادتها بعد نهاية اليوم الدراسي لنقل البسطاء من وإلى بيوتهم دون مقابل.
- أثناء دراسته في جامعة بغداد كان يخصص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكتيبات الإسلامية ليقوم بتوزيعها على المساجد.
- عندما دخل كلية الطب و بالرغم من توفر المال معه، إذ حصل على منحة دراسية قدرها اثنان و أربعون دينارًا، لكنه بعد أن اطلع على أحوال المسلمين الفقراء قرر ألا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم، تضامناً مع فقراء المسلمين.

وكان ينام على الأرض الإسمنتية مرة أو مرتين كل أسبوع، رغم أنه بفضل الله في حالة مادية جيدة آنذاك. وكان يتبرع بمبلغ المال المتبقي معه لصالح الأعمال الخيرية.

كان **د. عبد الرحمن** يستكثر على نفسه أن ينام على سرير رغم أن ثمنه لا يتجاوز دينارين معتبراً ذلك نوعاً من الرفاهية.

- لم يكن طبيباً عادياً بل طبيباً فوق العادة، وعندما سافر إلى الغرب لاستكمال دراسته العليا، كان يجمع من كل طالب دولاراً شهرياً، ثم يقوم بطباعة الكتيبات والرسائل الإسلامية، ويعمل على توصيلها إلى مسلمي جنوب شرق آسيا.
- أثناء عمله الطبي في إحدى مستشفيات الكويت، كان بعد الانتهاء من دوامه الرسمي يتفقد أحوال المرضى في أجنحة المستشفى، ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى جاهداً في قضاء حوائجهم وطمأنتهم على حالتهم الصحية.
- زار بعض السجون أثناء دراسته في الدول الغربية وذلك من أجل الدعوة للإسلام خلال أيام العطل. وعمل في كندا وبريطانيا بعملين:

أولاً: في تخصصه الطبي في الأمراض الهضمية.

ثانياً: عمل في الكنيسة، لأنه كان بين قوسين (قسيس مسلم)، فمدينة مونتريال التي كان يعمل فيها لم يكن فيها أي مسلم ليكون إماماً للمسجد، هناك مسجد واحد دون إمام، كان يذهب إلى السجون، إلى المستشفيات، إلى الجامعات ويلقي المحاضرات.

- تولى منصب أمين عام جمعية مسلمي أفريقيا عام ١٩٨١م، وما زال على رأس الجمعية بعد أن تغير اسمها إلى **جمعية العون المباشر** في ١٩٩٩م.
- وبعد أن وضعت الحرب الأنجلو- أمريكية أوزارها ضد العراق، قام **د. السميط** بمهمة خيرية لإعانة الشعب العراقي، وكانت **جمعية العون المباشر** قد خصصت مليوني دولار لدعم الطلاب العراقيين الفقراء، وإغاثة الأسر المتعففة.
- شارك في تأسيس لجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام١٩٨٠م، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة ١٩٨٧م.

- وهو عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو في جمعية النجاة الخيرية الكويتية، وعضو جمعية الهلال الأحمر الكويتي، وعضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان.
- نال **د. السميط** عدداً من الأوسمة والجوائز و الدروع والشهادات التقديرية، مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، والتي تبرع بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي)، لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة..
- تركز جُلّ نشاط **د. السميط** من خلال لجنة مسلمي أفريقيا، بعد أن وضع خطة عمل خيرية تنطلق في مسارات عدة منها:

من أجل أن تمسح دمعة يتيم مسلم.

من أجل رعاية قرية مسلمة تعليمياً أو صحياً أو اجتماعياً.

من أجل حفر، أو صيانة بئر ماء للشرب.

من أجل بناء أو صيانة مدرسة.

من أجل رعاية الآلاف من المتشردين.

بداياته في أفريقيا

منذ كان عمره خمس سنوات وهو يتصور ويتخيل أنه في أفريقيا وفي الغابات.

كانت عنده عصا يضعها بجانبه مثل العصا الخاصة بالكشافة لصيد الأفاعي، وتعلم كيف يصيد الأفاعي السامة.

عندما عاد **د. عبد الرحمن** إلى الكويت في أعقاب استكمال دراساته العليا، كان مشحوناً بطاقة خيرية هائلة أراد تفجيرها.

ذهب إلى وزارة الأوقاف وعرض على المسؤولين رغبته في التطوع للمشاركة في الأعمال الخيرية، غير أن البيروقراطية الرسمية كادت أن تحبطه وتقتل حماسه.

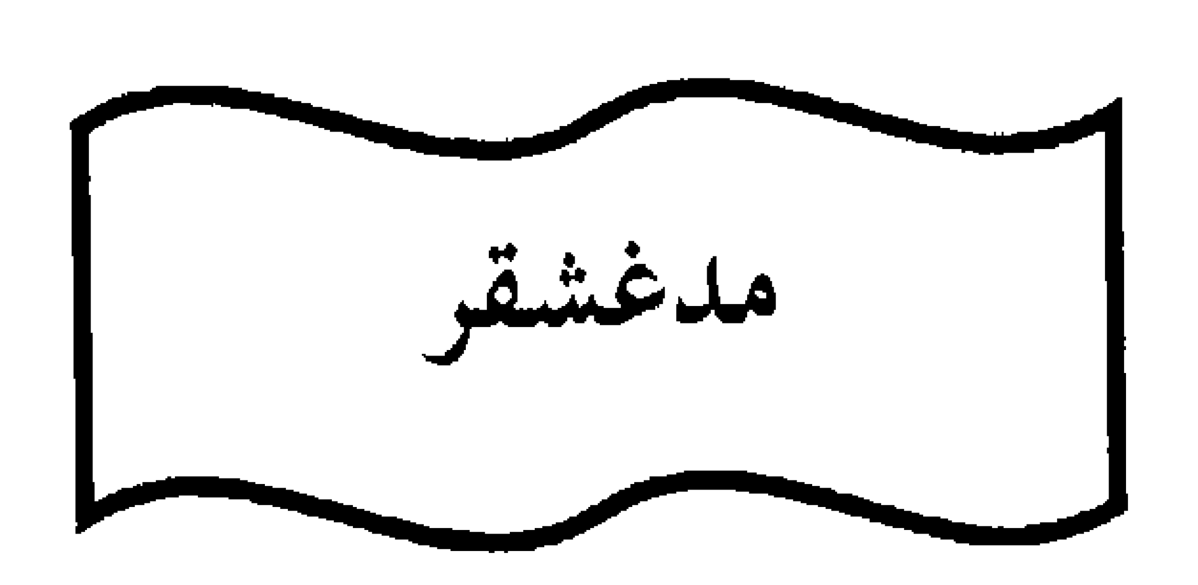
وشاء الله له أن يسافر إلى أفريقيا عام١٩٨٠م، لبناء مسجد لإحدى المحسنات الكويتيات (**أم علي**) في ملاوي.

لقد رأى هناك ملايين البشر، يقتلهم الجوع والفقر والجهل والتخلف والمرض، وشاهد وقوع المسلمين تحت وطأة المنصّرين الذين يقدمون إليهم الفتات والتعليم لأبنائهم في مدارسهم التنصيرية، ومن ثم فقد وقع حب هذه البقعة في قلبه ووجدانه وسيطرت على تفكيره. ومن هنا بدأ اهتمامه بأفريقيا.

ولقد أكدت الدراسات الميدانية: أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا الخرافات والأساطير التي لا أساس لها من الصحة، وبالتالي فأغلبيتهم وخاصة أطفالهم عرضة للتنصير.

وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا ومالاوي، ومدغشقر وجنوب السودان وكينيا والنيجر وغيرها من الدول الأفريقية صاروا ينتسبون إلى النصرانية بينما آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين.

لقد كانت زيارته الأولى صفعة قاسية، كان يعرف أنه يوجد فقر في ملاوي وفي أفريقيا، وكان يعرف أنه يوجد جهل ويوجد مرض، ولكن لم يكن يتصور أنه سيصل إلى هذا الحد الذي رآه هناك.



- **الاسم الرسمي:** جمهورية ملاغاش.

اللغة الرسمية: الفرنسية + المالاغاشية.

العاصمة: تناناريف.

المساحة: ٥٨٧،٤٠١ كم٢.

عدد السكان: ٢٠.٠٤٢.٥٥٢ نسمة.

- **مدغشقر:**

هي رابع أكبر جزيرة في العالم، أطلق عليها اسم ملاغاش غداة استقلالها، نسبة لأكبر القبائل بالجزيرة، تعاقب على احتلال الجزيرة كل من البرتغال وبريطانيا، وفرنسا التي احتلتها نهائياً سنة ١٨٦٨ م.

وظل الاحتلال الفرنسي بها حتى نالت استقلالها في عام ١٩٦٥ م.

❖ **الموقع:**

تقع جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي في جنوب شرقي قارة أفريقيا، ولا يفصلها عن اليابس الأفريقي سوى أربعمائة كيلو متر، وهي في حوزة المنطقة المدارية غير أن موقعها الجزري وسط المحيط الهندي عدل من أحوالها المناخية.

❖ **السكان:**

سكان ملاغاش خليط آسيوي أفريقي، فالعناصرالآسيوية قدمت من الملايو، وأند ونسيا، والعناصر الزنجية من زنوج البانتو، وقد اختلطوا بالعرب في جزر القمر، وعرفوا بالسلالة القمرية، ومنهم قبيلة هوفا.

وإلى جانب العناصر السابقة هجرات عربية ممثلة في قبيلة الأنتيمور، وتعيش الجماعات الأفريقية على السواحل بينما الآسيوية في الوسط والجنوب.

❖ **الاقتصاد:**

تعد الزراعة الحرفة الأساسية لسكان الجزيرة، ويعمل بها حوالي ٧٧،٥٪ من القوة العاملة، يعد الأرز المحصول الأساسي للسكان، ويزرع البن وقصب السكر والموز، إلى جانب تربية المواشي. كما تحتوي الجزيرة على ثروة معدنية هامة مثل الرصاص والذهب.

الإسلام له جذور وتاريخ في هذه القارة، وصل الإسلام إلى جزيرة مدغشقر عن طريق الدعوة التي قام بها التجار والمهاجرون المسلمون إليها من بلاد العرب و فارس وجزر قمر، فالدعوة الإسلامية وصلتها بالسلم.

كان يحكم الجزيرة أربعة شيوخ من المسلمين، وكانت الحروف العربية هي لغة كتابة أهلها.

عندما احتلت فرنسا الجزيرة في سنة ١٨٦٨م، شجعت البعثات التنصيرية الكاثوليكية على العمل في مدغشقر، وفرض حصار على الجزيرة فانقطع الاتصال بين مسلمي مدغشقر وإخوانهم.

ونتج عن هذا الانقطاع عزلهم، وضعفت اللغة العربية وكانت لغة ملوك مدغشقر، كما ضعفت المعرفة بالإسلام نتيجة انعدام الدعاة، ورجال الدين المثقفين.

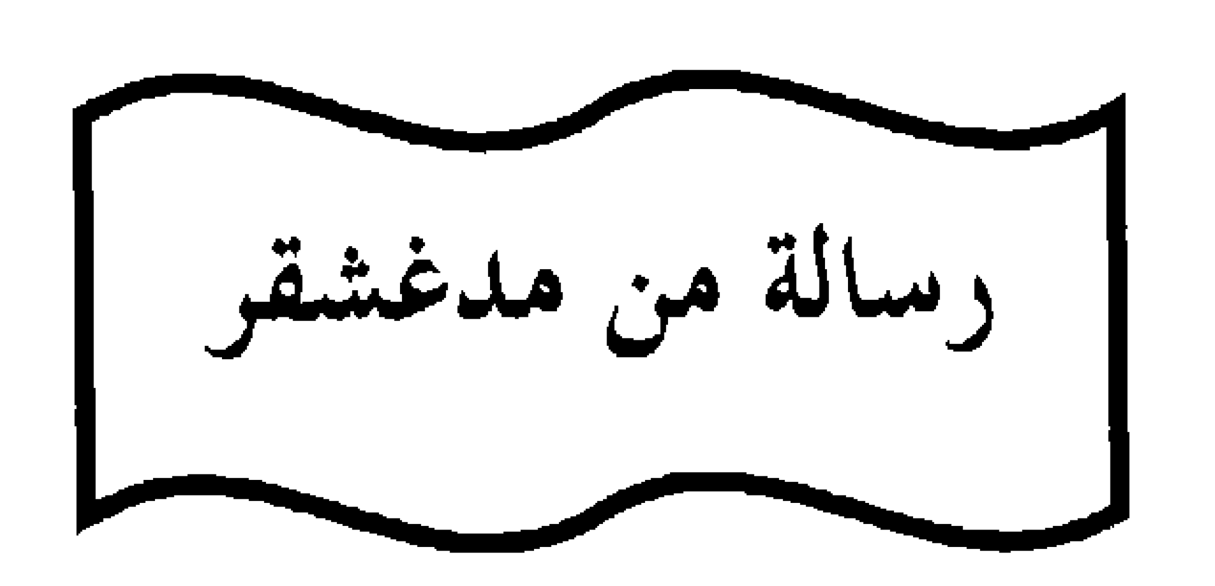
ينقسم المسلمون في مدغشقر إلى قسمين:

١- مسلمون ملاغاشيون ويتكونون من قبائل الأنتيمور (عرب)، والأنتاكاران، والقلاوسى، والصقلابة.

٢- مسلمون مهاجرون ومنهم مسلمون من جزر القمر، ومسلمون هنود ومنهم شيعة اسماعلية، ومسلمون عرب ومسلمون صوماليون.

الآن _مع الأسف_ نسبة المسلمين الحقيقية لا تتجاوز في أي حالة من الأحوال ١٢٪، والكنيسة تقول أن نسبة المسلمين٢٪.

- زار **د. عبد الرحمن** أغلب الأقاليم الست الموجودة هناك وقضى فيها فترات طويلة، وجد أغلب الناس من الوثنيين ثم المسيحيين، والمسيحيون ينقسمون إلى قسمين: كاثوليك وبروتستانت.



رسالة من مدغشقر

❖ في مدغشقر:

حيث الفقر هنا وصل إلى أقصى جوره، وحيث الإنسان هجور للمرض والجوع، بعيداً عن خطابات قادة العالم ومهرجاناقم التي تبشر كذباً بخير سيتدفق على أفريقيا، حمل د. عبد الرحمن السميط ما تيسر له وانتقل مع عائلته لتبدأ قصته الرائعة والصعبة والإنسانية بامتياز في أفريقيا.

- في إحدى زياراته إلى مدغشقر في عام ١٩٩٤م، سمع بقرية عندهم اسمها **مكة**، فشده الشوق للسفر إليها، ولكن مدير مكتبه هناك والدعاة قالوا: إن القضية صعبة، لماذا؟ لأن الطريق وعر، سألهم: هل وصل إليها شخص قبلي؟؟ قالوا: نعم أهل القرية وصلوا إليها قبلك، فقال: إذاً سنصل إليها كما يصل إليها أهل القرية.
- **يقول د. عبد الرحمن:**

سافرنا بطائرة بوينج كبيرة لمدة ساعة ونصف تقريباً إلى مدينة اسمها ماناكارا، في ذلك الوقت لم نجد سيارة نظيفة تنقلنا إلى قرية اسمها بايابينو، فقمنا باستئجار حافلة صغيرة بدون كراسي، وجلسنا على الحديد وكانت السيارة قديمة جداً حتى أنه لم يكن لها مفتاح تشغيل إنما يتم تشغيلها بواسطة الأسلاك الكهربائية نوصلها ببعضها فتعمل السيارة، استغرقت الرحلة إلى قرية بايابينو حوالي الساعة تقريباً، ومن هناك عبرنا نهر كله تماسيح.

مع ملاحظة أن كل الحيوانات في مدغشقر غير مضرة، فلا يوجد أسود ولا نمور، والأفاعي التي هناك تستطيع أن تمسكها بيديك ويقال والله أعلم: أنها لا تضر. والدليل أنني لازلت حياً حتى الآن، وقد اصطدت عدد كبير من الأفاعي بيدي.

أحياناً نجدها في البيت ونقوم بإخراجها خارجه، وفي إحدى المرات دخلنا أحد المساجد، ووجدنا أفعى في أعلى المسجد في السقف فتملكنا الخوف في البداية فضحك علينا الأهالي، وأنا أذكر نفس الحادثة حصلت لنا في شمال كينيا ونفس الشيء ضحك الأهالي وقالوا لا تخافوا .. هذه (حية بيت) أفعى مترلية لا تخافوا منها لأنها لا تضر و تعيش على الحشرات.

وبعد عبور النهر سرنا مدة ربع ساعة أو ثلث ساعة على الأرض وبعدها نزلنا إلى المستنقعات، والمستنقعات قد يصل ماؤها إلى حد الصدر أو ربما الكتفين، وكانت كلها ملوثة بأوساخ الأبقار.

ولمدة أربع ساعات ونحن نخوض في هذه المستنقعات، لأن هذا هو الطريق الوحيد، إلى أن وصلنا إلى قرية مكة.

أذكر أنه قبل دخولنا إلى قرية مكة، كان معي أحد الإخوة أصله من مروشيوس فقال لي: من العيب أن تدخل ورائحتك بهذه الصورة، فانزع ثوبك، فنزعته وقام بغسله ولكن أين غسله؟؟ في الماء المليء بالأوساخ، فكأنه جزاه الله خير رأى في الثوب ١ سم أو ٢ سم لم تتلوث فأراد أن يلوثها حتى تكون الرائحة......

قلت له: يا أخي هم يعيشون وسط هذه البيئة، وقد تعودوا عليها ولا يوجد مشكلة إن شاء الله، ودخلنا بعدها إلى القرية، وكانت أول مرة يرون فيها إنسان عربي يدخل إلى قرية مكة، وسألناهم عن سبب تسميتهم لقريتهم بـــ(مكة)؟؟

فقالوا: ذلك اسم البلد الذي أتينا منه، قلنا لهم: وأين يقع ذلك البلد؟؟

قالوا: في الشمال، لكنهم لم يسمعوا ببلاد العرب و لم يسمعوا بالمملكة العربية السعودية، و لم يسمعوا بالحجاز رغم أنه هناك قرية أخرى اسمها حجاز (في طريقتهم في النطق يسمونها "إيجاز").

وكل ما يعرفونه أن مكة تقع في الشمال، وأنها مكان طيب ومقدس، فسألتهم: وما دينكم؟؟ فقالوا: الحمد لله نحن مسلمون بروتستانت!! قلت: كيف مسلمين بروتستانت؟؟ قالوا: كان أجدادنا يقولون: إننا مسلمون، لكن لا نعرف عن الإسلام شيئاً، وزارنا البروتستانت وأخبرونا بأن الإسلام والبروتستانتية واحد، ولا يوجد فرق بينهما، وعلمونا كيف نصلي، و بنوا لنا هذه الكنيسة التي تروها وأعطونا الإنجيل، فشرحت لهم في البداية (طبعاً لا أستطيع أن أقول لهم إنكم مخطئون لأني أعتقد أن هذا أسلوب خطأ فالمفروض أن نحاول الدخول إلى قلوبهم ثم نقول لهم كل شيء).

قلت لهم: أنا من الكويت والكويت في نفس أرض مكة، وأهلي هناك أرسلوني لكم لأطمئن عليكم وعلى بقركم وعلى زرعكم وعلى نسائكم وأولادكم (وهذه طريقة الترتيب عندهم الزرع والبقر لهم أكثر أهمية من والأولاد والزوجات)، وأعطيتهم هدية ثوب (دشداشه) لرئيس القرية، وقلت له: هذه هدية لك من أهلنا في مكة وفي الكويت.

وفرح الرجل، وشرحت له أن أهلك في مكة يؤمنون بإله واحد وهذا الإله هو الذي يحيينا وهو الذي يميتنا وهو الذي يشفينا وهو الذي يترل المطر من السماء، ليس له مثيل،

لا ولد ولا زوجة، وبعدها قمت بإهدائه تمر وقلت له: هذا طعام أهل مكة، وهذا هدية من أهلكم في الكويت ومكة، ثم طلبت منه الإذن لأخرج، قال: الآن وصلتم فما الذي أعجلكم؟

قلت له: هذا موعد صلاتنا، سأصلي الآن الظهر والعصر، قال لي: إذاً سأصلي معك، قلت له: لكن أنت غير مسلم!! قال: من قال: أنا غير مسلم!؟ أنا مسلم .. وربما أنا مسلم قبلك أنت.

فأصر الرجل جزاه الله خير على أن يتوضأ ويصلي معي، فقلت له: توضأ مثلي، فأتوا لي من ذلك الماء الملوث، فقمت أتوضأ وهو يقلدني في كل شيء، قلت له: أثناء الصلاة لا تلتفت واعمل مثلي تماماً، وعندما قمت للصلاة وقف معي، وصلينا.

وكانت هذه أول مرة يصلي فيها شيخ القرية في حياته صلاة المسلمين، فقد كان سابقاً يذهب إلى الكنيسة و يظن أن ذلك هو الإسلام.

حاولنا بناء مسجد فوجدنا أنه من المستحيل أن نجد أناساً يحملون الإسمنت والحجر في هذه المستنقعات أربع ساعات حتى يوصلوها إلى القرية، فبنينا المسجد من الخشب.

والآن رغم مرور أكثر من اثني عشرة سنة إلا أن المسجد مازال قائماً وكنا نتوقع أن يعيش مدة خمس عشرة سنة فقط، و نتوقع أن يكون عمره الافتراضي عشرون سنة على الأقل على الرغم من أنه مبني من الخشب.

أسلمت القرية بعد هذا بفضل الله تعالى وأرسلنا لها داعية (لكن الدعاة وللأسف الشديد الذين تخرجوا من دول الخليج ولوثوا بحياة المدنية لم يكن عندهم الاستعداد بأن يعيشوا في هذه المناطق)، الغالبية منهم بقوا في العاصمة.

فالكهرباء لا تنقطع في العاصمة، بينما في منطقة هذه القبيلة تنقطع الكهرباء كل يوم، و الماء ينقطع كل يوم، ولا يوجد خدمات وهناك أمور كثيرة تنقص المنطقة بالنسبة لمن جعل الرفاهية هي همه الأول.

هذه القبيلة اسمها **قبيلة الأنتيمور** يدّعون (شفوياً):

أنهم جاءوا من قرية في الشمال اسمها **جدة**، وأنه بقرب جدة يوجد قرية أخرى اسمها **مكة**، فيها رجل طيب اسمه **محمد**، يحبونه ولا يعرفون لماذا يحبونه، ولا يقولون عنه أنه نبي، وأن جدهم را علي مكرارا (را تعني صاحب الفخامة صاحب العظمة، وعلي تعني علي، ومكرارا تعني الكرار).

فصاحب الفخامة علي الكرار هو جدنا، ويقولون أن أمهم رامينا (را — أمينا)، ويقولون أن علي رضوان الله عليه هو ابن محمد ﷺ.

فقضية العقيدة والإسلام غير واضحة لهم، ولكن كثير منهم يخبروني عن أصولهم الإسلامية، فهذا يقول لي: أنا رأيت جدي وكان اسمه عبد الله، أنا اسمي بيير وجدي كان مسلم، فأسأله أين دفنتموه، فيقول: قمنا بدفنه مع الصينيين الوثنين.

وآخر يقول لي: أنا عندي سجلات إلى جدي الرابع كانوا مسلمين، فكثير منهم كانوا مسلمين وضاعوا مع الأسف.

كما ذكرت هناك قرية اسمها مكة، وهناك قرية اسمها إيجاز (حجاز)، وهناك قرية اسمها مشر (مصر)، وهناك قرية اسمها مورو موراك (يقصدون مراكش)، وهكذا..

❖ قبيلة الأنتيمور:

قبيلة الأنتيمور هاجرت قبل حوالي ثمانمائة سنة، طبعاً هناك هجرات قبلها وهناك هجرات بعدها، جاءوا إلى مدغشقر ربما لأسباب سياسية غير مستقرة في المنطقة آنذاك وجاءوا واستقروا فيها، مع مرور الزمن فقدوا هويتهم مع الأسف الشديد وضاعوا.

- الآن هم ليسوا مسلمين ولا يعرفون العربية، لكن وجدت عندهم أشياء كثيرة، مثلاً: يحرمون أكل الخنزير، ويحرمون حتى تربية الخنزير، الكلب لا يحبونه ويعتبرونه نجس، بل أنه لو لمس الكلب أي ملابس يترعوها فوراً، ويتخلصون من أي ملابس لمسها الكلب.
- النساء يحبون الحجاب جداً، بمجرد ما وزعنا عليهم الحجابات حتى غير المسلمات يقولون: أعطونا حجاب، بسهولة جداً يتقبلون الإسلام.
- في لغتهم كلمات عربية كثيرة جداً، منها مثلاً أيام الأسبوع:

سابوتسي (يعني السبت).

أهادى (يعني الأحد).

اسنين (يعني الاثنين).

تلاتا (يعني الثلاثاء).

أربعا (يعني الأربعاء).

كميس (يعني الخميس).

زومعه (يعني الجمعة).

ويوم الجمعة هو اليوم المقدس عندهم.

- يقدسون جهة الشمال ولا يعرفون لماذا، في كل بيت مدخل من جهة الشمال لكن لا يدخلون منه، وإنما يضعونه للبركة، لأن الشمال هو اتجاه القبلة، البيت الملكي دائماً مدخله من الشمال لكن لا يسمحون لأحد أن يدخل من الشمال وإنما من المداخل الشرقية أو الغربية، الميت إذا مات عندهم وكان صالحاً وجهوه نحو الشمال، وإذا كان غير صالح وجهوه في أي اتجاه أخر، يكفنون موتاهم.
- التاريخ الشفوي عندهم يؤكد أصولهم العربية، يستخدمون الحرف العربي في كتابة لغتهم.

عندهم كتاب مقدس اسمه "**السورابي**" أو الكتاب الكبير، فيه شيء من الأذكار والقرآن وكله أخطاء وفيه شيء من الشعوذة وفيه شيء من تاريخهم.

- لازالوا يصنعون الورق بالطريقة العربية القديمة التي أخذها العرب قبل ١٢٠٠سنة من الصينيين، يجمعون أوراق من الغابة،ثم يطبخونها ثم يجففونها جيداً ثم يتم فرشها ثم يكتبون عليها، وهو معروف هناك باسم الورق الأكيموي، وهو في الحقيقة كان الورق الذي أدخله العرب إلى بلادهم، وحافظ عليه الأنتيمور.
- الغالبية العظمى عندهم الآن أصبحوا وثنيين والمثقفون أصبحوا مسيحيين، ، يقاومون ويرفضون الأديان الأخرى، توجد عملات عربية إسلامية قديمة وتوجد آثار إسلامية في كثير من المواقع خاصة في شمال المنطقة.
- يعترف المسيحيون والوثنيون بأن الإسلام هودين أجدادهم.

أذكر أن إسرائيل لما سمعت أن عندهم اسم إبراهيم، ولا يأكلون الخنزير ظنت أنهم يهود، ففكرت في إحضارهم إلى إسرائيل، فأرسلت وفد من معهد اليهود يختص في الأصول اليهودية من باريس وجاءوا ومكثوا عندهم أسبوعاً كاملاً، وبعدها ثبت أنهم ليسوا يهوداً فعاد الوفد أدراجه، غير أننا نحن المسلمين لم نأتي إليهم إلا في الفترة الأخيرة للأسف الشديد.

شعرت أن هذه القبيلة والتي يقدر عدد سكانها بحوالي مليون نسمة بما فيها القبائل الأخرى التي تداخلت مع هذه القبيلة وأصبحت جزءاً منها- عدد أفراد القبيلة نصف مليون والقبائل الأخرى الداخلة في القبيلة نصف مليون- أمانة في أعناقنا، ويجب أن نقدم لهم شيئاً، فبدأنا في برنامج أي خطة عمل لمدة ٢٥سنة، بدأناها في سنة ١٩٩٤م.

العشر السنوات الأولى مرت على خير، طبقنا خطتنا ومازلنا مستمرين حسب إستراتيجيتنا، ثم شعرت أني أطلب من الناس أن يضحوا ويدعموا إخوانهم وأطلب من الدعاة أن يذهبوا إلى أفريقيا، فلماذا لا أذهب أنا وأسكن عندهم انطلاقاً من الحديث النبوي: " من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"(١).

وكذلك حديثه ﷺ في الطبراني وابن ماجة:

"إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير".

فقلت: كما أطلب من الموظفين والدعاة أن يذهبوا لأفريقيا وأن يعيشوا هناك للدعوة وتنفيذ المشاريع فيجب أن أذهب أنا أيضاً وأعيش هناك، وقررت أن أسكن وسطهم لأشرف بنفسي على الخطة.

والخطة الآن دخلت في المرحلة الثانية منها، وتنتهي المرحلة الثانية في عام ٢٠٠٩ م، ونتوقع أن عدد كبير من أبناء القبيلة سيسلمون إن شاء الله قبل ٢٠٠٩م.

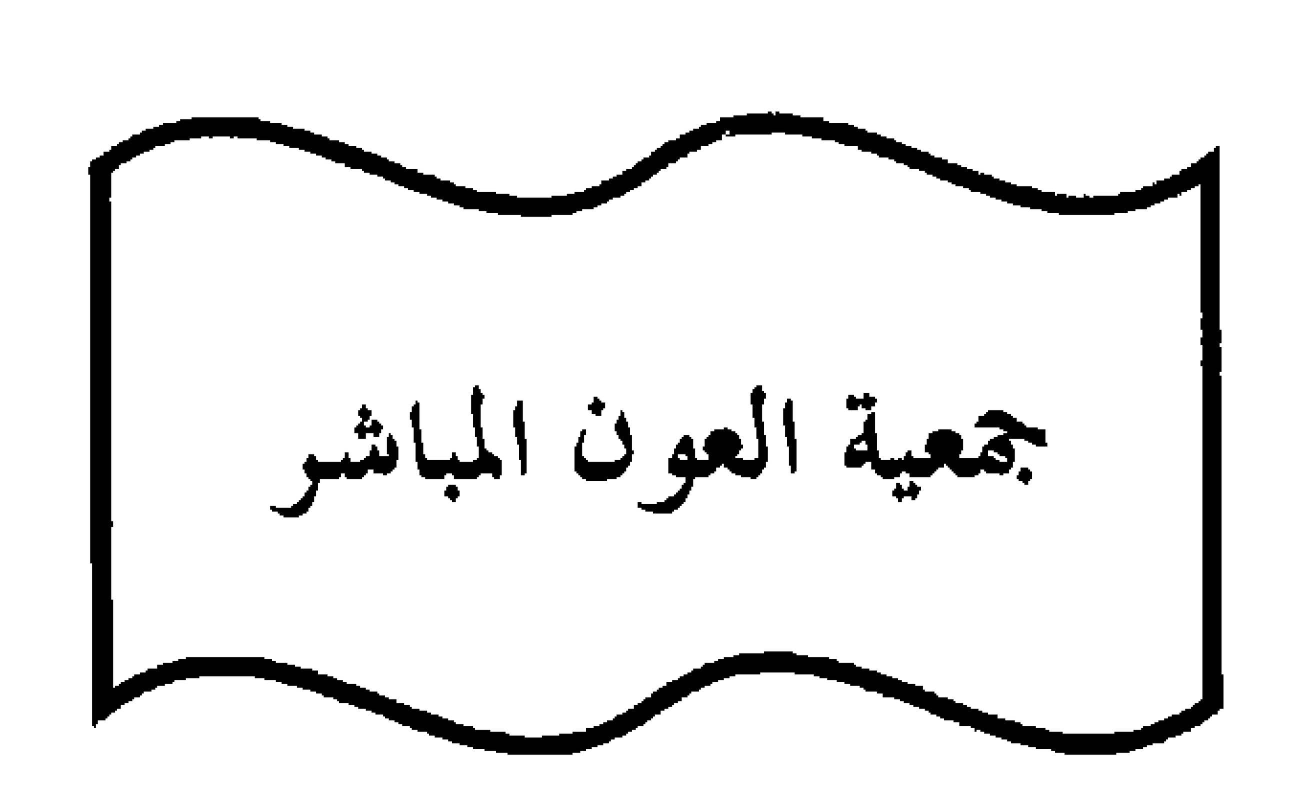
---

(١) أخرجه البخاري.

- معدل الذين يسلمون في الفترة التي قضيتها هناك: مابين ٣ إلى ٥ مسلم جديد يومياً.

عندما نذهب إليهم نعاني من أن وسائل المواصلات ليست ميسرة دائماً، فنحن نستخدم سياراتنا الخاصة، فأنا لدي سيارة بيك أب. ونستخدم كذلك المواصلات العامة وفي الأماكن التي لا يوجد فيها مواصلات عامة، نمشي على أقدامنا ونستخدم القوارب النهرية، ونخوض في المستنقعات حتى نصل إلى هناك.

واستخدمنا الدراجات الهوائية، ويبدوا أني نسيت أني قد كبرت في السن وظننت بأني ذلك الطفل الذي يستطيع قيادة الدراجة، فقبل شهرين أخذ أحد الأخوة سيارتي للدعوة فقررت أن أذهب للعمل بالدراجة فسقطت على الأرض بعد خمسة أمتار فقط، وكانت سقطة كبيرة وجرحت ولزمت الفراش لعدة أيام لأني نسيت كيف أقود الدرجة الهوائية.



سافر **د. عبد الرحمن السميط** إلى أفريقيا أول مرة عام ١٩٨٠م، لبناء المسجد للمرأة المحسنة **أم علي**، و تأثر بأحوال المسلمين الأفارقة وهمومهم، وفور عودته إلى الكويت عام ١٩٨١م، أنشأ مؤسسة خيرية عرفت باسم: " **مسلمي أفريقيا**".

تولى **د. عبد الرحمن** منصب أمين عام هذه الجمعية الخيرية، وما زال على رأس الجمعية بعد أن تغير اسمها إلى: "**جمعية العون المباشر**" في عام (١٩٩٩) م.

هذه الجمعية تعنى بالشأن الأفريقي عبر تقديم الخدمات الصحية والتعليمية و الإغاثية لملايين المسلمين وغير المسلمين، الذين يعيشون ظروفاً مأساوية شديدة القسوة بسبب الفقر والجهل والمرض.

عندما قرر الطبيب **عبد الرحمن السميط** أن ينشئ جمعية خيرية في أوائل الثمانينيات، تدعو إلى الإسلام في أفريقيا، رأى أنه من المستحيل التفكير في دعم الهوية الإسلامية في أفريقيا دون العمل على تنمية تلك المجتمعات.

وبالتالي تغير مفهوم الدعوة من دلالات المصطلح التقليدي إلى فهم شامل للنهوض بالمجتمعات المسلمة في القارة السوداء، ربما لهذا السبب فإن الجمعية مسجلة منذ نشأتها عام ١٩٨١م في الأمم المتحدة كهيئة إغاثية، تعمل في أكثر من ٤٠ دولة أفريقية.

- كانت **جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي أفريقيا سابقاً)**، أول منظمة في العالم كله بدأت إغاثة الصوماليين في المجاعة التي ضربت البلاد عام ١٩٩١م:

حيث بلغ حجم المساعدات التي قدمتها لهم خلال عام واحد فقط (من١٩٩١ إلى١٩٩٢م) نحو ٨.٥مليون دولار عن طريق ١٠٧ مراكز إغاثة لرعاية الأطفال اللاجئين في الصومال، وقدمت ١٥٠ ألف وجبة يوميًا، بالإضافة إلى إنشاء ٨ مستوصفات، كما قامت بحفر ٣٢٢ بئر ماء في مناطق المجاعة بالتعاون مع اليونيسيف ومنظمات دولية أخرى..

وفي شمال كينيا وأثيوبيا، أنشأت الجمعية عددًا من مراكز الإغاثة، يعمل كل مركز منها على إطعام ٥٠٠ طفل، وتقديم ١٠٠ وجبة للنساء الحوامل والمرضعات.

كما بدأت الجمعية في إرسال متطوعين من دول خليجية وأوروبية إلى المناطق المنكوبة في القرن الأفريقي، والإسهام في أعمال الإغاثة الإسلامية هناك.

وقامت الجمعية بإعداد خطة لإعادة تأهيل المناطق المنكوبة تشمل توزيع قطعان من الأغنام والماعز للمربين، وتدريب النساء على الأعمال اليدوية التقليدية، والعمل على إعادة تأهيل بعض نقاط المياه الصالحة للشرب.

- وبشكل عام هناك أكثر من ٥٣ مستوصفًا ومستشفى تابعة للجمعية، بالإضافة إلى كفالة ٩٥٠٠ يتيم وحفر ٧٦٠ بئرًا ارتوازية و١٣٩٦ بئرًا سطحية، وبناء ٢٠٥٠ مسجداً، وبناء وتسيير ١٠٢ مركز متكامل يتكون كل مركز من مدرسة، ودار أيتام، ومسجد، ومركز تدريب نساء، ومستوصف، ومزرعة، وسكن للمدرسين، و٤ معاهد ريفية إسلامية و٦٧ دار أيتام منفصلة، وتنفيذ وتسيير مشاريع زراعية عدة كبرى بمساحة ١٠ ملايين متر مربع و١١٦ مشروعاً زراعياً وحيوانياً، وبناء وتسيير ٤٦ مركزاً مهنياً، وتنفيذ عدد من السدود المائية في المناطق الجافة، وإقامة عدد من المخيمات الطبية لطب العيون للعلاج وإجراء العمليات للمحتاجين مجاناً للتخفيف على الموارد الصحية القليلة الموجودة في أفريقيا، وذلك من خلال واحد وعشرين

مخيماً للعيون بالإضافة إلى مخيمين للطب العام بالتعاون مع مؤسسات أخرى خيرية من أهمها الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- **وبما أن هذه الجمعية تمثل نموذجاً يُحتذى به في الحقل الخيري لما لها من نشاط واسع النطاق في جميع ربوع أفريقيا كان لا بد من التوقف عندها قليلاً.**

❖ يقول د. عبد الرحمن السميط:

قبل أن نبدأ العمل وضعنا إستراتيجية، و أهدافاً يجب أن نسعى لتحقيقها، وضعنا أهدافاً في السنة الأولى، ماذا نريد أن نحقق خلال خمس سنوات، وخلال عشر سنوات وهكذا. فمن بين الأشياء التي خططنا لها، أننا نستهدف الطبقة الوسطى التي من الممكن أن تتبرع: نفرض مقدار التبرعات: عشرين دولار أو ثلاثين دولار أو أربعين دولار كل شهر، وخاصة من النساء اللواتي أعمارهن بين خمس وعشرين وخمسة وأربعين سنة، لأنهم موظفات..هذا في الكويت، وكانت هذه هي البداية.

نحن عندنا ثلث المبلغ وأنا أعتقد: إن هذا هو العمود الفقري لمؤسسة جمعية العون المباشر، وهو من الكويت، ومن هؤلاء المتبرعين.

القسم الثاني من التبرعات: يأتي من الخليج.

القسم الثالث التبرعات: يأتي من منظمات دولية وهذا يشكل٣٠٪، ومن داخل أفريقيا. تستغرب أنه كثير من التجار في أفريقيا ورجال الأعمال يتبرعون لنا سنوياً، والغريب أنه في المدة الأخيرة بدأنا نعتمد عليهم أكثر مما نعتمد على التبرعات من خارج أفريقيا..

- أعرف رجلاً أفريقياً في إحدى الدول الأفريقية في (بوركينا فاسوا)، بنى أربعة وأربعين مسجد.

المنظمات الخيرية الدعوية الأخرى ليس لديها تخطيط منظم مثل إستراتيجيتنا، لذلك نجد أنهم ينفقون مبالغ طائلة دون تحقيق فائدة كبيرة، وذلك أدى إلى أن كثير من المنظمات انتهت وحُلّت.

في المنظمات الأخرى يأتي من يريد توزيع التبرعات في أفريقيا مثلاً يتعرف على بعض الأشخاص المسؤولين عن بعض الأمور الإسلامية هناك، ويسألون كل شخص ماذا يلزمك فيعطونه، بدون متابعة عن كيفية التصرف بهذا المال، ولا يعرف عن هذا الشخص شيئاً، ربما حتى اسمه، وربما يسرقون هذا المال؟ ثم يكون الذي يرضيهم شكله يعطونه أكثر (يلبس عباءة _كلابية_ قصيرة ولحيته أطول و مسواكه أكبر)، يعطونه أكثر من الآخر الذي لحيته أقصر، مع أن الثاني هو أفقر ويلزمه أكثر.

لا يوجد ترشيد: مثلاً طريق طويل نجد فيه كل ٥كم مسجد، مساجد جديدة لم يُصلى فيها أبداً، هذا هو عدم التنظيم.

أثناء دراستي في كندا وبريطانيا،كنت أذهب إلى السجون، إلى المشافي، إلى الجامعات وألقي محاضرات، وهذا أفادني كثيراً من أجل الدعوة من أجل التخطيط والأهداف.

يجب أن يكون لدى الإنسان أهداف واضحة مكتوبة، وذلك حسب الدراسات:

من ليس له هدف هو إنسان ضائع. ليس عيباً أن يكون لك خمسة أو ستة أهداف دنيوية وهدف أخروي.

إذاً: يجب أن يكون هناك هدف للجمعيات. ثم يجب أن يكون هناك إستراتيجية.

- **إستراتيجيتنا في جمعية العون المباشر:**

- **البند الأول**: لا نجعل وسيطاً بيننا وبين المحتاجين، نذهب مباشرة إلى المحتاج ونوصل إليه الإعانة.

مثلاً: أعطينا ثمن الأضاحي ونحن نضحي ونوزع مباشرة، لا نعطي الفقير المال. لأنه قد يسيء استعماله، قد يشتري خمراً أو سجائر، وإنما نعطيه بضاعة جاهزة.

- **البند الثاني:** وجدنا أن المجتمعات في أفريقيا مهمشة ومنسية، كيف القضاء على ذلك، وجدنا أفضل وسيلة هي التعليم. فأخذنا ندفع أكبر قدر ممكن من أبناء المسلمين في سلك التعليم يجب أن يأخذ شهادة، وعندها يحدث انقلاب في البلد، وأول بلد بدأنا فيه: **ملاوي**[1] عام ١٩٨٠ م، لم كن فيها أي خريج مسلم، كان فيها طالب مسلم. طالب يدرس في الجامعة تبنيناه برعاية كبيرة ليتم دراسته، وأرسلناه إلى بريطانيا، وعاد وصار عميد كلية التجارة والحقوق، والآن هو نائب رئيس الجمهورية.

وفي العام الماضي تخرج ٣٠ طالب طبيب مسلم وغيرهم من كليات أخرى.

- **البند الثالث:** من أجل جمع التبرعات يجب أن تضع كرامتك في البيت وتأتي، لأنك تجمع لله، وإذا كنت مهتماً بكرامتك فلن تستطيع أن تجمع شيئاً، لأنك ستلاقي الكثير من الإهانة التي تجعلك تتراجع.
- **البند الرابع:** ممن نجمع؟ الطبقة الغنية لا تعرفني ولن تستمع إلي، وإذا استمعت قد يعطوني مرة و يصدوني عشر مرات، الطبقة الفقيرة ليس معهم.

دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق الدعاة والتجار المسلمين في أيام امبراطورية الزنج الإسلامية كما أسهم العمانيون بجهد كبير في نشر الإسلام أيام دولة آل سعيد في شرقي أفريقيا، وازدهر الإسلام في هذه المنطقة في القرن العاشر الهجري. كما دخل الإسلام بواسطة التجار السواحليين وتزعم هذا المحور (جومبي سالم بن عبد الله في سنة ١٨٤٠ م). كان (ليفنجستون) أول منصر وصل إلى ملاوي في سنة (١٨٥٩ م)، فرض تعليم الدين المسيحي في جميع المدارس في سنة(١٩٢٧ م)، وكان التعليم قبل احتلال ملاوي باللغة العربية والسواحلية، ثم تحولت لغة التعليم إلى الإنجليزية أو اللهجات المحلية بحروف لاتينية.

يصل عدد المسلمين حوالي (٢,٢٢٩,٠٠٠)، لا يوجد إلا القليل النادر من المطبوعات والكتب الإسلامية. كما لا توجد دار للطباعة الإسلامية، ولا توجد صحيفة إسلامية.تحسن وضع المسلمين في ملاوي بعد انعقاد مؤتمر الشباب المسلم في سنة ١٤٠١ هـــ ، مما أدى إلى وصول المعونات من العالم الإسلامي وإنشاء العديد من المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية ، وتم تدريب ٥٦٣ داعية ، وتم إنشاء العديد من مدارس تعليم القرآن ويقوم بهذا العمل أكثر من ٥٠٠ معلم ، ويتلقي التعليم ١٥٠ ألف تلميذ في ٢٠٠ مدرسة قرآنية.

بقيت الطبقة المتوسطة وبالأخص المرأة العاملة لماذا؟ لأن المرأة أكثر حباً للتبرع والعمل الخيري، ثم يجب أن تكون عاملة لتعطيني باستمرار.

عندنا الآن **١٤ ألف امرأة** تتبرع كل شهر لنا، لذلك عندي خطط لمدة ٢٥ سنة.

- **البند الخامس:** لا بد من التخصص، عندما أذهب إلى كينيا مثلاً لنشر الإسلام، لا أنشر الإسلام في كينيا كلها، وإنما آخذ قرية أو قريتين وأعمل فيهما.

هناك مثل انكليزي أثّر كثيراً في حياتي معناه: **إن الإنسان الذي يعمل بكل شيء لا يعمل بشيء.**

لا بد من التخصص، لذلك آخذ جزءاً معيناً من كينيا مثلاً، أُخرج الدول العربية من مخططي لا أعمل فيها.

مثال: أخذنا قبيلة الغبرة قبيلة كبيرة وضعنا لها مخططاً من عام ١٩٩٤م إلى عام ٢٠١٥م، أن تكون كلها مسلمة.

وبدأنا نخطط على هذا الأساس من دورات ومن دعاة ومن رعاية أيتام وبناء مساجد سنوياً، أنا ليس لدي مال ولكن أضع مخططاً وأعمل عليه، ولكن القبيلة سبقتنا، هذا العام وصلنا إلى الحد الذي نريده وهو ٥١٪ منها مسلمين، وتعديناه بكثير، رغم أنه عام ١٩٩٤م كان عدد المسلمين فيها لا يتجاوز عدد أصابع اليدين، عندما وجدنا النسبة تعدت وصارت مرضية بدأنا بقبيلة أخرى.

- **البند السادس:** الخطاب الإعلامي أوجهه إلى النساء، مثلاً عندما أتكلم عن إحياء سنة الوقف، أقول لهن يمكن أن تشاركن في أسهم في وقف وليس فيه كله، مثلاً ١٢٥ ريال سهم في وقف الصدقة الجارية، ١٢٥ ريال وقف طباعة مصاحف أعطني ١٢٥ ريال وأنا أتعهد لك بطباعة مصحف كل شهر، يصل الحد الأعلى للوقف إلى ١٢٥ ألف ريال نفقة إرسال حاج إلى الحج، أنا لا أرسل الناس إلى الحج بشكل

عشوائي، أرسل الناس الذين تكون عبادتهم متعدية إلى غيرهم، إذا حجوا يعودون للعمل في الدعوة.

- **البند السابع**: إن لم تكن مؤمناً بالنجاح فلن تنجح. **"ما لم تقتنع بالنجاح فلن تصادفه"**.

إذاً: يجب أن يكون لدينا: أهداف، قناعة بالنجاح، خطط، إستراتيجية. وهذا مهم لأي إنسان يريد أن ينجح في عمله. ويعتبر هذا أحد أسباب نجاحنا في ظل وجود عشرات الجمعيات الإسلامية التي صرفت مئات الملايين وبعضها آلاف الملايين في أفريقيا و لم تنجح.

❖ لدينا **سبع درجات من الرقابة المالية:**

من أجل الشفافية القصوى حتى لا يقل أحد: أن **عبد الرحمن السميط** يسرق المال، فكل شيء مسجل وبأدق التفاصيل.

الرقابة المالية تبدأ من الميدان هناك ثم المحاسبة الميدانية عندنا في المقر الرئيسي بالكويت ثم المحاسبة العامة ثم التدقيق الداخلي ثم التدقيق الخارجي.

- أذكر في يوم من الأيام حدث لي حادث.. اتصل بي مدقق داخلي، هو موظف صغير اتصل، وقال: أنت صرفت ربع دولار على إصلاح حذائك في السودان، بأي حق أنت صرفت الربع دولار؟ وعندما رأيته وهو أخ مصري قلت له: أنت لا تعرف أني رئيس مجلس الإدارة فكيف تقول لي هذا الكلام؟ قال: والله أنا أطبق القانون، وإذا لم يعجبك القانون فأنت رئيس مجلس الإدارة غيّره، قلت له: أنا القانون ويكفي هذا، فقال: لا هذا ليس صحيح ويجب أن تغيّر القانون.

وحاولت تخويفه والرجل أصر.. فقمت وقبلته، قبلت رأسه وأعطيته راتب شهر كامل من حسابي الخاص، وقلت له: أريدك أن تصر على ذلك لأن هذا فخر لي وفخر لكل واحد أن يكون عنده موظف في هذه الدرجة من الأمانة.

هذا التدقيق المالي الداخلي الذي عندنا لا يوجد في الجمعيات الأخرى، وعدم وجود هذا التدقيق عندهم هو ما يسهل لأعداء العمل الخيري أن يتهموهم.

ملفاتنا من ٢٧ سنة موجودة وليس فيها مآخذ:

- جاءني عام ١٩٩٢م يتيم اسمه **صديق كونان**، لديه سوء تغذية ووزنه ٤٤٪من الوزن الطبيعي، أعلم كأخصائي إغاثة أنه لا أمل في حياته وتركته، ولما خرجت وجدته ملقى على الأرض، ووجهه مليء بالتراب وأمه تبكي، تغلبت علي العاطفة، أخذته ونظفته وصورته، أشفقت عليه وحسبت كلفة إطعامه لسنة، وصرفتها من مالي الخاص خوفاً من أن يحاسبني الله على إضاعة مال التبرعات، بعد ١٢ عام أخبروني أن هذا اليتيم حفظ للقرآن كله دون أن يرى المصحف في حياته، لقد حفظه من الألواح، وهو الأول في صفه، والأول في مدرسته.

لقد أخذنا بالمقاييس الغربية وأدرنا جمعيتنا بالمقاييس الغربية وبالإدارة الغربية، ولذلك عندما جاء الغربيون لم يجدوا مشكلة معنا، لأننا نعمل بالطريقة التي يفهموها، هم لا يفهمون أن شخصاً يحمل كيس رز ويضعه عند باب بيتكم ويدق الباب بالليل ويهرب، هذا لا يفهمونه.

- تذكر إدارة الضرائب الأميركية عن منظمة أميركية من أكبر المنظمات في العالم: أن كل مائة دولار يتبرع فيها المواطن الأميركي لغرض الإغاثة في أفريقيا، يصل منها ثلاثة دولارات فقط. وسبعة وتسعين تذهب في الـــ(Overhead) التكاليف الإدارية الموجودة، بالنسبة لنا العكس.. نحن نصرف ٧،٣٪ على مصاريف السفر وغيره. والدعاة نعطيهم سبعين دولار في الشهر.

بينما جمعيات الأديان المنافسة تعطيهم أربعمائة وخمسين دولار. إلى درجة أن خريجين من بعض كليات الشريعة في عالمنا العربي اشتغلوا مع جمعيات من هذه النوع مع الأسف،

لأنه لا يستطيع العيش بسبعين دولار، وأنا لا أستطيع أن أعطيه راتب أكثر، أتمنى لو كان عندي أوقاف كافية لهؤلاء الدعاة.

❖ **أما سياساتنا:**

عندنا سياسات مكتوبة: بماذا يتكلم كل واحد منا وماذا يقول؟ وماذا ممنوع عليه أن يقول؟

ممنوع أن يتدخل في القضايا القبلية، ممنوع أن يتدخل في قضايا الخلافات بين الأديان، ممنوع أن يتدخل في قضايا الخلافات بين المذاهب الإسلامية، ممنوع أن يتدخل في قضايا سياسية، ممنوع أن يتدخل في الانتخابات.

ولا نرى حرجاً من التعامل مع بعض المنظمات الكنسية، في سبيل تحقيق أهدافنا الاجتماعية والإنسانية، فتعاونتُ مع بعض الرهبان والهيئات الكاثوليكية ذات الأهداف الإنسانية في مدغشقر وشمال مالي، وتوغو، بل إن هذا التعاون كان باباً لاعتناق العديد من القساوسة والنصارى للإسلام، والدليل أن أحد القساوسة في أوغندا جاء محتداً ومندداً بدرس دعوي يلقيه أحد دعاة الجمعية، ودخل في نقاش مع الداعية وما لبث أن اقتنع القس – في آخر الأمر- بأن الإسلام هو طريق النجاة، وأعلن إسلامه، ورجع للكنيسة، وجمع الناس، وأخبرهم بما توصل إليه من قناعة تامة عن الإسلام، وهكذا قذف الله النور في قلبه، وفي يوم واحد أسلم معه في الكنيسة ٦٠ شابًّا ورجلاً!

- نحن لا نبحث عن أعداء ونحاول أن نبني جسوراً قدر الإمكان.

المسيحيون فئات كثيرة، لكن أكبر فئتين البروتستانت والكاثوليك، قررنا أن نبني مع الكاثوليك جسوراً.

بدأنا نزور الكاثوليك نقدم لهم هدايا بين الحين والآخر هدايا رمزية، نقدم لهم بطاقات، نشاركهم بعض الأمور، نعمل معهم مباريات، الكاثوليك الآن يدافعوا عنا دفاع المستميت في كل الاجتماعات التي يعقدونها مع الحكومة أو مع البلدية أو مع غيرها، أنا

أضرب مثال: المدينة التي أسكن فيها منذ خمس سنوات ونحن غير قادرين أن نحصل على أرض نبني عليها مسجداً، حتى بعد شرائنا لأرض المسجد فوجئنا بأنها سُحبت منا، ولكن الكاثوليك تدّخلوا لصالحنا، والآن نحن نبني أول مسجد لنا في المدينة، بنينا أكثر من مائة مسجد في القرى.. فأنا أعتقد أن هدفنا وطريقتنا هي محاولة لبناء جسور مع الآخرين..

❖ **الصعوبات والعقبات:**

لم يكن الطريق معبداً أو مفروشاً بالورود، إذ قابلت الجمعية الكثير من المصاعب والمعوقات، منها ضعف الإمكانيات والتمويل والدعم للجمعية، في ظل الفقر الشديد والمجاعات التي تضرب البلاد الأفريقية باستمرار، إذ تعتمد الجمعية في تمويل أنشطتها على تبرعات المحسنين في دولة الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي ودول أخرى مختلفة، إن هذه التبرعات تصل إلى نحو ٣٠ مليون دولار، وهو مبلغ ضئيل بالنظر إلى الجمعيات الخيرية في الدول الغربية والأجنبية. بالإضافة إلى ما يلاقيه دعاة الجمعية من مخاطر وظروف معيشية سيئة في أدغال أفريقيا.

في مجاعة الصومال عام ١٩٩١م، كان بعض مندوبي الجمعيات الخيرية الغربية لا يأكلون إلا العنب الذي يصلهم بالطائرات من جنوب أفريقيا أو الشمال العربي ولا يشربون إلا مياهاً خاصة كانت تصل إليهم عن طريق الطائرات، بينما كان دعاة الجمعية يشربون مع الجمال ومع الحيوانات من الآبار ومن الحفر الموجودة هناك.

❖ **يقول د. عبد الرحمن:**

قابلت في أيام الحرب في الصومال أحد السويسريين التابعين لإحدى المنظمات الخيرية، في طريقي إلى كينيا، فسألته: أين أنت ذاهب، فعلمت أنه ذاهب إلى تايلاند في إجازة، حيث أن المؤسسة التابع لها تنص على أن يقضي العاملون أسبوعين في الميدان، وأسبوعاً في أي مكان في العالم راحة من العمل!

ورغم أن الجمعية لم تتعرض -إلى الآن- لاتهامات من قبل أمريكا والدول الغربية، فإنها تعاني من معارضة المعادين والرافضين للصبغة الإسلامية التي تصبغ الجمعية!

و لكنهم لا يعلمون أن الإسلام هو كلمة السر في هذا النهر المتدفق بالخير لأكثر من ثلاثين عامًا لم تنقطع فيها المساعدات والمعونات عن شعوب القارة السوداء؟!

- **وبشكل رئيسي توجد عقبتان رئيسيتان في عملنا الدعوي:**
- **العقبة الأولى:** هي عدم وجود أشخاص متخصصين في العالم العربي بالعمل الخيري.

نحن كمسلمين متخلفين جداً في إدارة العمل الخيري، لا نهتم بتدريسه، في بريطانيا يوجد معاهد كاملة لهذه الأمور، مثلاً معهد يعطيك ماجستير في إدارة اللاجئين، معهد لإدارة ما بعد الكوارث، معهد الإغاثة.

هناك جامعات في أوروبا تمنح الدكتوراه في العمل الخيري، في جنوب بريطانيا جامعة تقدم الماجستير و الدكتوراه فقط في البناء بعد المشاكل، بعد الحروب، بعد الكوارث.. يوجد جامعات في الولايات المتحدة كثيرة جداً متخصصة في إدارة العمل الخيري.. عندما بدأت أقرأ عن العمل الإداري تغيرت إدارتي لأولادي، حتى أولادي تحسنوا.

عندي رغبة أن ابتعد عن الدنيا وأجلس لكتابة بعض الخبرات في إدارة العمل الخيري، لكن زوجتي تقول لي: أنت لم يخلقك الله للكتابة أنت خلقت لتعمل في أفريقيا في هداية الناس.

قررت في المدة الأخيرة أن أذهب إلى مدغشقر وأقيم فيها، ذهبت أنا وزوجتي أم صهيب وابني الأصغر عبد الله الذي تخرج من أشهر من السعودية طبيباً بيطرياً.

نذهب كل يوم إلى ٣-٤ قرى، خلال شهرين ٢٧ قرية أسلمت، ١٣٠ ألف شخص دخلوا في الإسلام، هذا أحدث هزة كبيرة في الكنيسة، وكان خطأ استراتيجياً

مني، ليس المفروض أن ارتكبه، فالكنيسة عملت على إثارة الحكومة علينا، وتم طردي وطرد كل الدعاة المسلمين من مدغشقر (ليس مشكلة).

بدأتُ بتجربة جديدة أسميتها: **الدعوة بالخدمات**، ولدي ثلاثون تجربة عمل دعوي، أذهب إلى قرية من القرى أحفر عندهم بئر وأضع عليه لوحة أكتب عليها:

(**هدية من إخوانكم العرب في مكة – لجنة مسلمي أفريقيا– في أمان الله**).

أرجع بعد سنة يستقبلوني استقبال الملوك، وكل القرى التي حفرت فيها بئر يطلبون مني نفس الطلب، أن أبني لهم مسجداً وهم غير مسلمين، قلت: كيف أبني مسجد وأنتم غير مسلمين، قالوا: ابن المسجد ونحن نسلم، فأسلمت عشرات القرى بهذه الصورة.

يقدم الأمريكيون والانكليز طعاماً عالي القدرة الحرورية: بسكويت تكلف الواحدة منها ثلاثة ريالات يأكلها الفقير ولا يشعر بالشبع، أما أنا فأقدم الشوربة التي هي عبارة عن دقيق الذرة وسكر وقليل من الدهن وحليب إن وجد، وجبة ٣٠٠ مل تكلف ١٦ هللة تكفي لإطعام الطفل يوم واحد في المجاعة.

- **العقبة الثانية هي القضية المالية:**

في الوقت الذي أذهب فيه إلى شمال كينيا وأقطع ما بين١٥ ساعة إلى ١٩ ساعة في الطريق، تنكسر سيارتي، تتقطع نعالي، وأمشي حافياً على الصخور، وتجرح رجلي ويسيل الدم، ثم أصل إلى القرية بعد جهد جهيد، أرى القسيس وصلها بالطائرة الصغيرة، هناك منظمات مسيحية مختصة فقط في توفير الطائرات للمنصّرين المسيحيين.

- يذكر الدكتور **ديفد بريت** وهو أستاذ جامعي في الولايات المتحدة في مجلة علمية مختصة بالتبشير أو التنصير: أن ما جُمِع عام٢٠٠٤م: ٣٦٠ مليار دولار.

هذه المبالغ قُدِمت في شمال أميركا وغرب أوروبا لأغراض كنسية، لكن في المقابل هناك سرقات كثيرة كما يذكر دكتور ديفد بريت.

- و يذكر **د. ديفد بريت**: أن عدد المنصّرين العاملين الآن في هيئات ولجان تنصيرية أكثر من ٥١ مليون منصّر، ويبلغ عدد الطوائف النصرانية في العالم اليوم ٣٥ ألف طائفة، ويملك العاملون في هذا المجال ٣٦٥ ألف جهاز كمبيوتر لمتابعة الأعمال التي تقدمها الهيئات التنصيرية ولجانها العاملة.

ويملكون أسطولاً جوياً لا يقل عن ٣٦٠ طائرة تحمل المعونات والمواد التي يوزعونها، والكتب التي تطير إلى مختلف أرجاء المعمورة بمعدل طائرة كل أربع دقائق على مدار الساعة، ويبلغ عدد الإذاعات التي يملكونها وتبث برامجها يومياً أكثر من ٤٠٥٠ إذاعة وتليفزيون، وأن حجم الأموال التي جمعت العام الماضي لأغراض الكنيسة تزيد على ٣٦٥ مليار دولار، وحظ أفريقيا من النشاط التنصيري هو الأوفر ....

- ومن أمثلة تبرعات غير المسلمين للنشاط التنصيري:

إن تبرعات صاحب شركة مايكروسوفت بلغت في عام واحد تقريباً مليار دولار، ورجل أعمال هولندي تبرع بمبلغ ١١٤ مليون دولار دفعة واحدة، وقيل إن هذا المبلغ كان كل ما يملكه، وفي أحد الاحتفالات التي أقامها أحد داعمي العمل التنصيري في نيويورك، قرر أن يوزع نسخة من الإنجيل على كل بيت في العالم وكانت تكلفة فكرته ٣٠٠ مليون دولار حتى ينفذها، ولم تمر ليلة واحدة حتى كان حصيلة ما جمعه أكثر من ٤١ مليون دولار.

ومع أننا لا نحلم بوجود واحد بالعشرة آلاف من هذه الإمكانيات ورغم ذلك يأبى الله تعالى إلا أن ينصر دينه.

مع العلم أن زكاة أموال أثرياء العرب تكفي لسد حاجة ٢٥٠ مليون مسلم، إذ يبلغ حجم الأموال المستثمرة داخل وخارج البلاد العربية ٢٢٧٥ مليار دولار أمريكي، ولو أخرج هؤلاء الأغنياء الزكاة عن أموالهم لبلغت ٨٧٥،٥٦ مليار دولار، ولو افترضنا أن

عدد فقراء المسلمين في العالم كله يبلغ ٢٥٠ مليون فقير لكان نصيب كل فقير منهم ٢٢٧ دولاراً، وهو مبلغ كاف لبدء الفقير في عمل منتج يمكن أن يعيش من دخله.

❖ أعود وأكرر:

إن سبب نجاحنا هو: تقوية الأسلوب العلمي، وتقوية الرابطة بيننا وبين الله عز و جل عن طريق (تزكية النفس).

- إننا لم نمنع في يوم من الأيام محتاجاً واحداً في الإغاثة أو في المدارس أو في المستوصفات أو الآبار التي نحفرها مهما كان دينه من أن يستفيد من مساعداتنا، وهذا السبب الرئيسي لدخول الملايين من الناس إلى الإسلام.
- إن عدد النساء اللواتي تحجبن في الكويت نتيجة إطلاعهم على أعمالنا في أفريقيا أكثر من عدد النساء اللواتي تحجبن نتيجة عمل المؤسسات الدعوية.
- لدينا أكثر من ٦٠ مركزاً للإغاثة وكلما جاءنا متبرع جديد افتتحنا مركزاً جديداً، نطبخ كل يوم الطعام في هذه المراكز وهو عبارة عن حليب ودقيق ودهن وسكر ونعطيهم ما يشبه الشوربة فيه كل العناصر الغذائية المهمة.
- إن منظمة الرؤية العالمية (world vision): وهي من أكبر المنظمات النصرانية التي تعمل في تنصير المسلمين، تبلغ ميزانيتها ١٢٠ مليون دولار، وقد أقامت عدداً من المخيمات لإغاثة اللاجئين، وكان في مخيمهم ٣٠ طفل يغذونهم تغذية مركزية (أي يعمل الغذاء بشكل خليط قابل للحقن الوريدي ويعطى عن طريق الوريد)، وكان عدد الموظفين ٣٣ موظف للعناية بثلاثين شخص.

أما نحن ومخيمنا يبعد ١ كم عنهم كان فيه ٦ موظفين بما فيهم حارسان، ونحن نطعم ٧٠٠ شخص (أطفال – نساء –حوامل– مرضعات).

جاء وفد من استراليا من منظمة الرؤية العالمية وزاروا مخيمهم ثم زاروا مخيمنا، وصعقوا عندما رأوا أن عندهم ٣ سيارات، ونحن ليس عندنا إلا سيارة واحدة تخدم ١٧ مركزاً للإغاثة من بينهم هذا المركز، والسيارة قديمة تحتاج كل مرة إلى دفعها لتعمل وعمرها (١٩) عام، تأثر الاستراليون وقالوا لمرافقهم من المنظمة: إذا أردنا أن نتبرع ستتبرع للجنة مسلمي أفريقيا وليس لكم لأنهم أكثر كفاءة منكم.

- إن مراكزنا أكثر المراكز الإغاثية تنظيماً، وعندما جاء بعض السفراء لزيارة مراكز الإغاثة لم يأخذوه إلا إلى مراكز لجنة مسلمي أفريقيا، لأنها الأكثر نظاماً وترتيباً، كذلك الأهالي عندهم ثقة كبيرة بطعام المسلمين لأن فيه بركة، فيهربون من طعام الفرنسيين والأمريكيين ويأتون إلينا.
- **إن منظمة لجنة مسلمي أفريقيا أكبر منظمة في العالم كله في العمل الإغاثي من ناحية الإطعام.**

❖ للدعوة أنماط و وسائل:

لقد تعلم د. **عبد الرحمن** من خلال مكابدة الظروف الصعبة، وأحياناً الخطرة جداً، أن أوضاع المسلمين تتباين كثيراً من منطقة إلى أخرى، وأنه إذا لم يراع هذا التنوع، فسيجد نفسه معزولاً عن الواقع، أو أنه سيبذل جهوداً كبيرة، وإمكانات مادية وبشرية ومالية كبيرة بدون أن يحصل على نتائج تذكر...

❖ وبشكل عام، يمكن أن نصنف أساليب الدعوة من واقع تجربة الثلاثين سنة الماضية للدكتور عبد الرحمن كما يلي:

١ – دعوة الجماعات قبل الأفراد:

فبرامج الدعوة توجه إلى الجماعات وقبائل بأكملها وليس للأفراد، طبقاً لمخططات الجمعية على مدى عشر أو عشرين سنة ضمن برامج فرعية متكاملة وممتدة في المكان

والزمان، حيث تتطور المشاريع والخدمات (في التعليم والمياه والصحة والطفولة وتأهيل النساء والتدريب المهني والحرفي والإغاثة) مع البرامج الدعوية ويلازم أحدها الآخر.

❖ مثال: برنامج شمال موزمبيق:

لقد اكتشف **د. عبد الرحمن** أن بلاد الواق واق ليست خيالاً شعبياً، بل هي منطقة تقع شمال موزمبيق.

وقد سجل المستكشفون البرتغاليون هذا الاسم على خرائطهم منذ القرن السادس عشر... وبعيداً عن الطرائف، وعودة إلى الواقع المؤلم للمسلمين في هذا البلد الذي دخله الإسلام منذ قرون عدة كامتداد طبيعي لانتشار الإسلام على امتداد السواحل الشرقية حتى وصل وانتشر في عموم شمال موزمبيق التي تقع في أقصى جنوب شرق القارة، فإن موزمبيق تصنف حسب معايير الأمم المتحدة واحدة من أفقر بلدان العالم، واكتشف منذ أواسط الثمانينات عندما ذهب للتعرف على هذا البلد، إن أفقر المناطق في موزمبيق هي مناطق المسلمين في الشمال!

وعلى هذا الأساس، تم إعداد خطة بعيدة المدى منذ سنة ١٩٨٧ م، بحيث تم بناء وتسيير عدة مراكز في بمبا و ناكالا على المحيط الهندي في أقصى الشمال الشرقي، ثم في نامبولا في وسط الشمال ثم في لاشينغا في أقصى الشمال الغربي قريباً من بحيرة ملاوي ..هذا البرنامج شمل بناء العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية و مستوصفات ودور أيتام وتم حفر مئات الآبار.

وكل هذه المشاريع تتم إدارتها مباشرة من طرف " العون المباشر ــ لجنة مسلمي أفريقيا"، فضلاً عن برامج موسمية للأضاحي، و الإفطارات سنوياً، وبرامج إغاثية مكثفة. وأما البرامج الدعوية فهي تشتمل سنوياً على برامج فرعية لتأهيل الدعاة والأئمة، ومخيمات للشباب ودورات للنساء، فضلاً عن دعم مستمر للخلاوي القرآنية فيها، بشكل مكافآت لتشجيع القائمين عليها للاستمرار في خدمة كتاب الله تعالى وتحفيظه لأبناء

المسلمين.

وعلى هذا النمط تعمل البرامج الموجهة للمجموعات في كل البلدان الأفريقية التي تعمل فيها اللجنة. في كينيا وفي مدغشقر وفي أثيوبيا وفي السودان وفي تشاد وفي السنغال وفي غينيا وفي غانا، توغو، بنين.

٢- دعاة المستقبل:

لدى **د. عبد الرحمن** قناعة راسخة منذ سنوات عديدة، بأن مستقبل المسلمين في أفريقيا لن تبنيه " المساعدات " التي تقدمها بعض الدول الغنية، التي تأخذ بالشمال أضعافاً مضاعفة لما تقدمه باليمين.. وإنما سيبنيه أبناؤها بأنفسهم.

والناظر إلى الأحوال الدينية للمجتمعات المسلمة في أفريقيا سيصاب بالرضا والأسى معاً: فالمسلمون الأفارقة معروفون بحبهم العارم للإسلام، ولكنهم في نفس الوقت ورثوا أنواعاً من التدين الذي قد ينفع أصحابه كأفراد، ولكنه لا يؤهلهم لبناء مجتمعاتهم في المستقبل على أسس الإسلام الصحيح، أما أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية فهي مأساوية و مؤلمة.

انطلاقاً من هذه الوضع كان لجمعية " **العون المباشر**" تصورات بعيدة المدى لإعداد "**دعاة المستقبل**"، ثم أعقبت هذا التصورات تطبيقات عملية لتنفيذ إستراتيجية خاصة لهؤلاء الدعاة المستقبليين.

والفكرة في جوهرها بسيطة لكنها في التطبيق تطلبت جهوداً وإمكانيات كبيرة:

فهي تقوم على أساس اختيار أيتام وأطفال من القبائل المختلفة، ثم إيوائهم في مراكز "**العون المباشر**" والدراسة في مدارسها والاستفادة من الخدمات التي تقدمها المراكز (غذائية وصحية وتربوية إسلامية وغيرها من الخدمات)، على أساس إعداد هؤلاء الأيتام والأطفال من الصغر تعليمياً ودينياً واجتماعياً، مع إشراكهم في مرحلة معينة في البرامج

الدعوية ومشاركتهم الفعلية في القوافل الدعوية والتنقل (أحياناً على الأرجل)، تدريباً لهم وإعداداً لتحمل أعباء الدعوة، وللمساهمة في قيادة مجتمعاتهم مستقبلاً بعون الله، ثم بإعداد المتميزين منهم لمراحل التعليم المختلفة، وبفضل من الله ونعمة يتم تطبيق هذا الإستراتيجية في ٣٢ بلد أفريقي.

٣-الدعوة بالكتاب المترجم:

أدرك **د. عبد الرحمن** من البدايات الأولى للعمل أن هناك فراغاً مخيفاً فيما يتعلق بالكتاب الإسلامي في الساحة الأفريقية، وأدرك كذلك أن دور الكتاب في الدعوة جوهري لنشر وترسيخ الثقافة الإسلامية.

وكان لزاماً عليه كذلك التركيز على ترجمة الكتب الإسلامية إلى لغات الجماعات والقبائل، فضلاً عن اللغات الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية وهي اللغات الرسمية في كل البلدان الأفريقية تقريباً.

ومرّ هذا النشاط من الدعوة بمرحلتين رئيستين:

المرحلة الأولى: استغرقت السنوات العشر الأولى (أي طوال الثمانينات)، كان التركيز فيها على ترجمة ونشر كتب صغيرة الحجم تدور كل مواضيعها تقريباً حول أساسيات الدين: العقيدة وفقه الصلاة والصوم وبعض الموضوعات الأخرى ذات العلاقة بأساسيات الدين.

أما المرحلة الثانية (عقد التسعينات): فقد توسعت فيها مجالات الترجمة والنشر لتشمل طائفة متنوعة من الموضوعات المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ وسير الصحابة والصحابيات وبقضايا ثقافية وفكرية إسلامية معاصرة منها: الحوار مع المسيحية، وقضايا المرأة في الإسلام على سبيل المثال.

٤- التعليم.. والبعد عن السياسة:

رأت الجمعية: أن التعليم هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الدعوة في أفريقيا، فتركز الاهتمام بالتعليم منذ البدايات، لأن **د. عبد الرحمن** تألم جداً وبكى عندما علم أنه ليس هناك خريج مسلم واحد في كل ملاوي، لذلك كان لا يلوم الوثنيين والغربيين عندما كانوا يسمون المسلم في ملاوي (ألاسالي).

والألاسالي معناها: الرجل المتخلف فأصبح ديننا هو دين التخلف فأول شيء قاموا به: هو الاهتمام بالتعليم ...

فقرر **د. عبد الرحمن** مع إخوانه العاملين في الجمعية أن يكون مفتاح التغيير للمجتمع في أفريقيا هي **المدرسة**.

وفى فترة من الفترات كانوا يدفعون رسوم الدراسة عن ٩٥ ألف طفل سنوياً عندما كانت الدراسة هناك بالمال، الآن مجاناً.

والآن يدرس في منشآت الجمعية التعليمية أكثر من **نصف مليون** طالب، وتمتلك الجمعية أكثر من أربع جامعات.

أما في الجو الأفريقي القبلي المليء بالمشاحنات والاختلافات الداخلية، كان لا بد لضمان الاستمرار أن تبتعد الأعمال الخيرية عن السياسة.

وهو ما أعلنه والتزم به القائمون على الجمعية منذ البداية، حيث اقتصرت أعمالها على الأعمال الخيرية، حتى أنها عندما بدأت في كانون أول ٢٠٠٢م إنشاء مشروع للإذاعات يضم نحو ٩٧ إذاعة، أعلن القائمون على الجمعية أن الإذاعات سوف تقتصر على نشر الإسلام ومبادئه وتفسير الأحاديث النبوية من دون الدخول في القضايا السياسية والخلافات الداخلية أو النزاعات القبلية، وربما هذا ما أبعد الجمعية عن نظر الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تصنفها ضمن الجمعيات الخيرية التي تدعم الإرهاب بعد أحداث ١١ أيلول.

بل وظفت الجمعية هذا الاختلاف القبلي في صالح مهمتها الدعوية، حيث كانت تختار الدعاة من نفس القبائل والمناطق التي ينتمون إليها، فكان المدير العربي يساعده العديد من الدعاة من أهالي المنطقة يقومون بالمتابعة اليومية لبرامج الدعوة الإسلامية، مثلما حدث بالنسبة لقبائل الغبرا في شمال كينيا، حيث أسلم معظم أفراد القبيلة، وتم بناء عشرات المساجد والمدارس و حفر الآبار ورعاية الأيتام وتوزيع الكتب الإسلامية وإفطار الصائم والأضاحي وتوزيع الملابس المستعملة وغيرها.

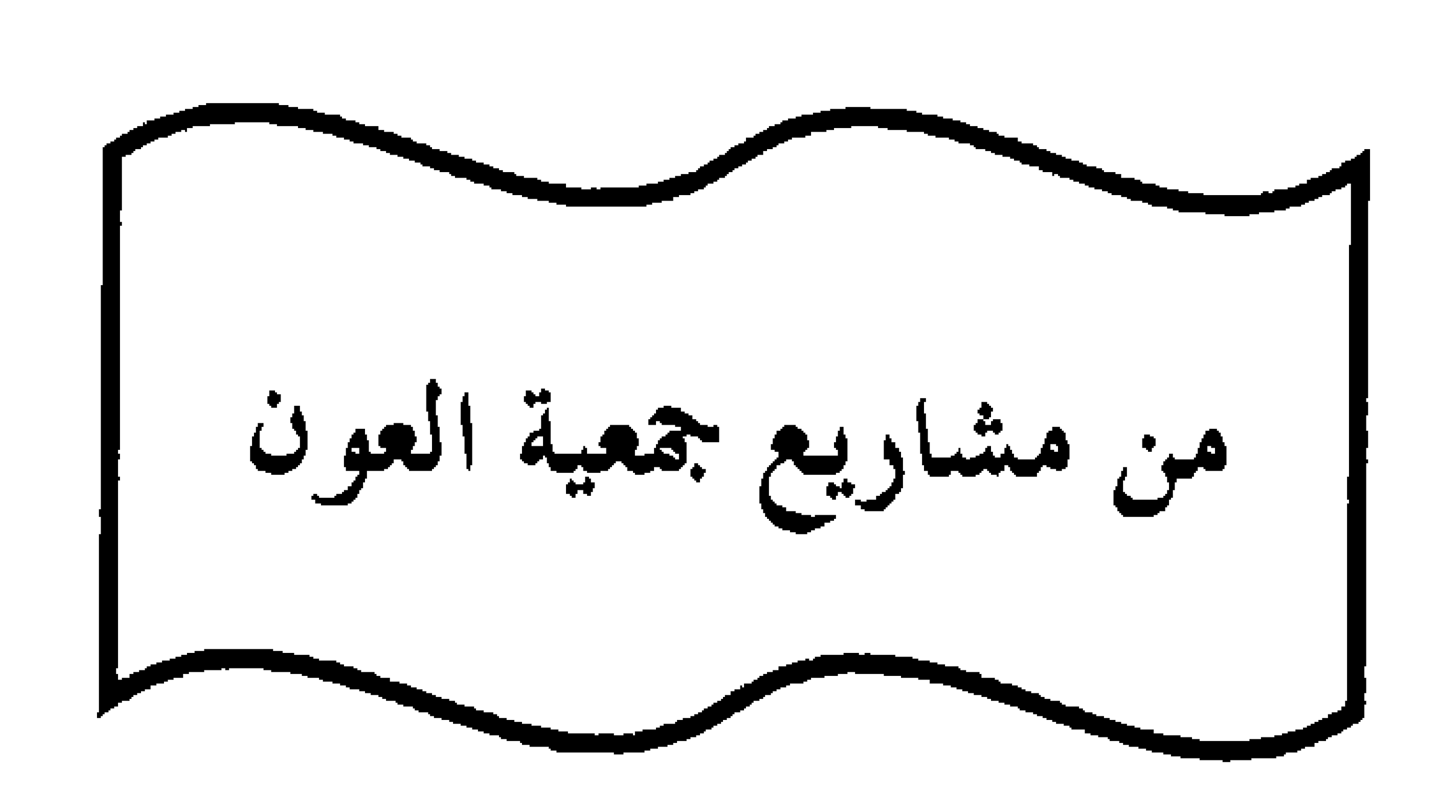
وأيضا قبائل الأنتيمور في جنوب شرق مدغشقر، فبعد صعوبات جمة في السنوات الثلاث الأولى تحققت نجاحات باهرة:

تم بناء ٦٠ مسجداً، وكفالة عشرات الطلبة من أبناء القبيلة، وبناء عدة مراكز، والعمل جار لبناء معهد شرعي لتخريج الكوادر المتوسطة في الدعوة.

٥- الدعوة المباشرة:

وتبنت اللجنة سياسة الدعوة المباشرة، حيث دأبت على إرسال عشرات القوافل الدعوية إلى البلدان الأفريقية لنشر الإسلام لدعم الهوية الإسلامية، ودعمتها بالكتب والنشرات الدينية، ومن أشهر قوافلها قافلة (**سعد بن معاذ**)، التي استمرت مدة خمسة أيام في بوركينا فاسو، واعتنق بسببها ٦٠ شخصاً الإسلام.

كما نجحت اللجنة في إنشاء العديد من المعاهد الدينية لتربية النشء والأطفال خاصة اليتامى، لتأهيلهم للإمساك بزمام الدعوة في المناطق التي ينتمون إليها، وقد تم تنفيذ ذلك في ٣٢ دولة حتى الآن، كما قامت بترجمة الكتب الدينية إلى اللغات المحلية لهذه البلدان فترجمت نحو ٦,٥ ملايين كتيب إلى ١٨ لغة، و وزعت أكثر من ٥,٥ ملايين نسخة من القرآن الكريم.



❖ مشروع مخيمات النور

عاشوا في الظلام سنين طويلة تشرق الشمس على الدنيا فتملؤها نوراً وضياءً ، وهم لا يعرفون طعماً للضياء أو النور، لم يروا الأهل والأحباب والإخوة والأصحاب حتى تداركتهم رحمة الله سبحانه وتعالى حين أبصروا النور في مخيمات النور.

تجربة فريدة قامت بها جمعية العون المباشر في القارة الأفريقية، أسفر عنها إسلام الكثيرين:

- في أفريقيا خمسة ملايين مريض مصابين بالماء الأبيض (الساد العيني).
- ٨٠٪ من الحالات الموجودة في أفريقيا من العمى يمكن علاجها إما بالطب (دوائياً) أو بالجراحة.
- تبلغ كلفة المخيم حوالي ١٢ ألف دينار كويتي أو ٤٠ ألف دولار أمريكي.
- حتى الآن أنشأنا ما يزيد عن خمسين مخيم لعلاج أمراض العيون في أفريقيا.
- ونعالج في كل مخيم ما بين ستة آلاف إلى ثمانية آلاف مريض.
- نجري ما بين ٣٠٠-٥٠٠ عملية في كل مخيم.

المخيم يستمر مدة أسبوع:

في اليوم الأول: إيواء الوفد الطبي من المطار.

في اليوم الثاني: فتح الطرود وإخراج المعدات ورؤية مجموعة كبيرة من المرضى لاختيار من هو قابل للعملية.

اليوم الثالث والرابع والخامس: عمليات من الساعة ٦ صباحاً وحتى ١٢ ليلاً بدون توقف إلا للطعام والصلاة وبعض الراحة إذا تعبوا، وأحياناً يأكلون في غرفة العمليات لأنهم إذا أرادوا أن يخرجوا ويعودوا يجب عليهم أن يغيروا ملابسهم ويعيدوا التعقيم.

ونتيجة الخبرة الواسعة عند بعض أطباء الجمعية حيث أن بعضهم أجرى أكثر من ٢٠٠ ألف عملية ساد خلال حياته العملية، وكثير منهم لديه درجة أستاذ جامعي أو بروفسور لذلك يقومون بهذه العمليات خلال ٣ أيام فقط.

اليوم السادس: رفع الشاش عن أعين المرضى ويخرجون إلى بيوتهم.

اليوم السابع: توديع الأطباء في المطار.

نتائج العمليات ممتازة ليس ذلك براعة من الأطباء فقط، وإنما بركة من الله سبحانه، كما أن نسبة الالتهاب بعد العملية هي٠ ٪ ،بينما في بعض البلدان الأخرى قالوا: إن نسبة الالتهاب(١-٥.١٪) ، وحتى في البلاد المتقدمة يوجد نسبة التهاب بعد العملية.

مكان العمل ليس في مشفى عادية، بل في دار أيتام أو مدرسة، يأخذون منها غرفة أو مطبخ، ينظفونه ويعقمونه ثم يقومون بإجراء العمليات فيه.

في أحد المخيمات تأخرت الإضاءة وكان هناك شخص قد اشترى أقماع بلاستيكية ونكسها وأدخل فيها سلك ووصله إلى لمبة وبطنها من الداخل بورق القصدير حتى يعكس وأصبحت هذه هي الإضاءة التي يحتاج إليها الجراح.

إن كلفة المخيم حوالي ١٢ ألف دينار كويتي أو٤٠ ألف دولار أمريكي، يعني أن كلفة العملية ٣٠ دينار كويتي أو ١٠٠ دولار أمريكي، يوجد في كل مخيم ٦ آلاف إلى ٨ آلاف مريض (مسلمين — مسيحيين - وثنيين).

❖ **يقول د. عبد الرحمن السميط:**

نحن نعالج جميع الفئات الدينية، لكن ليس بسبب الرحمة التي عندنا وإنما تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ الذي قال: (وفي كل ذات كبد رطبة أجر)[1].

وكذلك أخبرنا عن امرأة زانية رأت كلباً عطشاً فملأت خفها ماء من البئر وسقته فغفر الله لها ذنبها. رغم أنها كانت ترتكب كبيرة من الكبائر، وهذا ما يجعل كثير من الناس يسلمون بسبب المعاملة الحسنة وبسبب أننا لا نحاول أن نشتريهم لأننا أصحاب فضل عليهم.

حتى الآن أنشأنا ما يزيد عن ٥٠ مخيم لعلاج أمراض العيون في أفريقيا وفي دول كثيرة مثل: (زنجبار، كينيا، تشاد، النيجر، جنوب السودان، بوركينا فاسو، السنغال، مالي). **نحن نقيم حوالي ٤ مخيمات كل سنة.**

كذلك نعمل برامج دعوية للمسلمين قبل رفع الشاش عن أعينهم، يأتي مشايخ من عندهم يكلمونهم باللغة المحلية، يذكرونهم بنعمة الله عليهم، وبواجبهم نحو الله دون أن نفرض عليهم رأينا وتوجهنا، وهذا كان سبب لدخول العشرات من غير المسلمين في الإسلام في كل مخيم من المخيمات.

بعضهم قد لا يسلم مباشرة، أذكر شخص جاء بعد سنة وأسلم، و مزارع في توغو عاد بعد شهر ليعلن إسلامه، أنا أحترم هذا المزارع لأنه لم يسلم إلا بعد تفكير ونقاش مع زوجته وأولاده لأنه سيغير في حياته تغييراً كاملاً.

وهذا مشجع أكثر من الذي يسلم مباشرة، لأنها قد تكون عاطفة حماس مؤقتة.

- إحدى القصص التي أثرت في قلبي: في جنوب السودان في جبال النوبة أقمنا مخيماً وعالجنا خياطاً، كان لديه ٩ أفراد يعيلهم، فبدأ بالتسول عندما فقد بصره، زرته

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

بعد ثلاثة أشهر من إجراء العملية في بلدته، رأيته يدخل الخيط في الإبرة. لقد عاد إلى مهنته بفضل الله، فرأيت ذلك أعظم هدية قُدمت لي.

- قصة أخرى: أجرينا عملية لأحد شيوخ الدين وبعد رفع الشاش وعندما رأى الناس حمد الله وسجد سجود الشكر، رغم أن الأطباء قد منعوه من السجود في الست ساعات الأولى، فقال: إني أنذر لله تعالى أمامكم جميعاً أن أقضي ما تبقى من عمري في تدريس القرآن وتعليمه لوجه الله دون أن آخذ أجراً على عملي.
- في ذات مرة جاءنا إمام مسجد كبير بالسن، قال: إنه قيل له أن العملية تكلفه ١٣٠٠ريال سعودي، وهو ليس معه هذا المبلغ ولا يحلم به فتعذرت عليه إجراء العملية فلما سمع بمخيمنا جاءنا وأجرينا له العملية في العين اليسرى، وبعد سنتين وفي مخيم آخر أجرينا له عملية في العين اليمنى، فرح فرحاً شديداً ورغم أن عمره ٨٥ سنة أقسم أنه سيبقى مادام حياً داعية لله سبحانه وتعالى، ولن يبقى في مكان واحد وإنما سيتنقل من قرية إلى قرية، وحاولنا أن نبين له أنه شخص معذور وعمره كبير، فقال: أنا أقبل منكم إذا أعطيتموني ضمان أن أدخل الجنة، وباعتبار ليس عندنا ضمان تركناه ورغبته، ليس عنده دراجة وليس عنده أي وسيلة مواصلات، فكان يتنقل من قرية إلى قرية مشياً على الأقدام وكان أحياناً يستغرق معه المشي يوماً كاملاً.
- في مدينة (مانغو) غرب أفريقيا جاءنا مريض أعمى وأجرينا له عملية، فبعد أن رأى أحب أن يشكرنا بطريقة غريبة: أستأجر الإذاعة المحلية ساعة كاملة بتكلفة أكثر من تكلفة العملية لو دفع مالاً، وبدأ يتكلم عن الإسلام وعما حصل له وعن نعمة الله تعالى عليه وعلى غيره، و أنه يجب أن نحمد الله بأن ندعو إليه. ثم ختم كلامه فقال: إن العرب يصنعون المعجزات من جراء العمليات التي يقومون بها.

- في إحدى المرات أجرينا العملية لعجوز مسيحية، تأثرت باهتمام الناس بها، وكلمت أحد أقاربها الذي تبين أنه من القيادات المسيحية في البلد وسألنا: كم تتقاضون من الأجور من دولة السعودية أو الكويت على هذا العمل، فقال له الداعية: نحن لا نأخذ سوى رواتبنا ومنا من يعمل تطوعاً، فصعق الرجل وقال: أنا فخور بكم. نحن ليس عندنا مثل هذا، ورغم أني سأفقد الكثير من امتيازاتي الدنيوية ولكني سأسلم.
- إحدى المرات جاء قسيس أفريقي غاضباً جداً، أراد أن يكسر أجهزتنا. وقال: أنتم أيها العرب المسلمون تريدون أن تضحكوا علينا وتتدربوا فينا، وتصيبوننا بالأمراض، وكان معه حوالي ٣٠ رجل بنفس غضبه، هدأناهم قليلاً وكلمنا القسيس لوحده، وكان الذي يكلمه الطبيب فلاحظ أن لديه ساد في عينه، فقال له: إنك تعاني من عينك أليس كذلك، دعني أفحصك، ففحصه فوجد عنده ساد في عينه مع فقد نهائي للرؤية فيها، فعرض عليه أن يجري له العملية، فرفض القسيس وقال: أنتم تريدون إيذائي، فسأله الطبيب: بم نؤذيك وأنت لا ترى في عينك أصلاً، فوافق وأجرى له العملية فوراً وخرج إلى قومه و الضماد على عينه فاستغربوا منه كثيراً، وعندما فوجئ أنه يرى لم يصدق، وقال: كم سأدفع، فقلنا له: لن تدفع شيئاً أنت مثل غيرك لم نأخذ من أحد شيئاً، فأسلم القسيس وقال: دعنيّ أكفّر عن أخطائي التي ارتكبتها في السابق، عندما كنت أعمل قسيساً استطعت أن أجلب عدداً من الناس إلى المسيحية، فسأحاول أن أدعوهم إلى الإسلام، ومازال الرجل إلى الآن يعمل من أجل الدعوة.

❖ مشروع الأضاحي

قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

أجهدهم الفقر حتى استوى عيدهم مع غيره من الأيام، فغدا العيد ذكرى مؤلمة تحل عليهم عاماً بعد عام، وببارقة من الأمل امتدت إليهم أيادي كريمة تدخل البهجة والفرحة في القلوب، في تجربة مؤثرة قامت بها الجمعية في القارة الأفريقية:

بدأت الجمعية هذا البرنامج عام ١٩٨٢م، وهو ليس مجرد توزيع للأضاحي فقط، ولكن هناك برامج دعوية يقومون بها مستغلين هذه الفرصة، كذلك يستغلون هذه الفرصة لحل الخلافات بين القرى في كل سنة، يطيّبون خواطر الأيتام والأرامل والمحتاجين، ويقومون بتقوية الروابط مع المسلمين ويعززون إيمانهم بدينهم، ويزورون المساكين.

والمرضى بهذه المناسبة، وكم تتأجج في هذه المناسبة من المشاعر عندما يرى الناس أن هذه الأضاحي أتت لهم من إخوانهم العرب الذين لم يروهم فيتأثرون تأثراً كبيراً، كما أنهم يعتبرون هذه الأضاحي مقدسة لأنها من عند أحفاد النبي ﷺ.

هم يذبحون الأبقار أكثر من الخراف لأن سُبع البقرة فيها لحم أكثر من الخروف.

❖ يتحدث د.عبد الرحمن عن هذا المشروع قائلاً:

- نذبح ٣٧ ألف أضحية سنوياً.
- أحياناً نوزع الأضاحي على الفئات المهمشة: معوقين، مرضى في المشافي، مساجين حتى يشاركوننا فرحة العيد.
- أحيانا يشاركنا بعض التجار: حيث يقومون بتخفيض سعر الأضاحي لنا، أو القصابين فمنهم من يساعدنا بالذبح دون أجر.

- لا نرمي شيء من الأضحية أبداً، حتى الأمعاء (الكرشة)، والأقدام، والرأس كله يستعمل ويوزع، حتى إن الناس ينظفون المكان تماماً من أي قطعة لحم مهما كانت صغيرة. أحياناً نستعمل بعض أجزاء الأضحية كهدية في مسابقة مثلاً.
- قال أحدهم: عجيب أمر إخواننا العرب، نحن نربي الأبقار ونهتم بها سنين حتى نبيعها، وهم يشترونها ثم يقدمون لحمها هدية لنا، كيف نجزيهم على ذلك.
- أسلم سلطان إحدى القرى لما سمع خطبة العيد التي تحدث فيها الخطيب عن طاعة سيدنا إبراهيم لربه عندما أمره أن يذبح ابنه.
- لا يزال إلى الآن هناك أناس يدخلون في الإسلام من نتائج مشروع أضاحي حدث في سنوات سابقة.
- لا تظن أنك أديت شعيرة بذبحك الأضحية فقط، أنت ساهمت بنشر الدعوة وبتعميق مفاهيم الإسلام في نفوس الناس، وبإحياء سنة الرسول ﷺ باجتماع الناس في العيد، إنهم لأول مرة يصلون العيد في حياتهم عندما اجتمعوا للأضاحي، نوزع عليهم أحياناً حجابات و(كلابيات).
- مرة أردنا أن نعطي أحد الموجودين من لحم الأضاحي فقال: أنا غير محتاج أعطوه لمن هو أحوج مني. فقط أريد أن أنظر إلى هذا العمل الجميل.
- في إحدى القرى غرب أفريقيا أسلم ١١٠ أشخاص بهذه المناسبة.
- في زامبيا: عندما يكون لديهم انتخابات يقوم المعنيون بالذبح وتقديم الطعام للناس، فلما رأونا نوزع الأضاحي، قال لنا أحدهم: كيف تأتون بهذه المساعدات وليس الآن وقت انتخابات، فأخبرناه أننا لا ننتمي لأي حزب سياسي ولا نطلب منهم إلا أن يتمسكوا بدينهم، وهي مساعدة من إخوانهم العرب، فرفع يديه إلى السماء يدعو للمتبرعين.

- في إحدى القرى الوثنية التي أسلمت كانت الأضحية بالصدفة بقرة سوداء، والوثنيون يحرمون على أنفسهم أكل لحم البقر الأسود، فلما أكلوا منها ورأوا أهم لم يصابوا بأذى سعدوا بذلك. وقالوا: نحن نحمد الله ليس فقط على اللحم ولكن لأنه كان سبباً في سماعنا محاضرتكم، وسبب في دخولنا هذا الدين العظيم، وسبب في انفكاكنا من عبودية الوثنية.
- في إحدى القرى ذبحنا بقرة ففوجئنا بأن أهل القرى المجاورة أتوا ويريدون حصة من الأضاحي، وكانوا كثر بحيث لما أردنا أن نوقف مركبنا على شاطئ الجزيرة وجدنا كل شواطئ الجزيرة مملوءة بالسفن والقوارب التي أتت من الجزر المجاورة من أجل الأضاحي، ماذا نفعل الأضاحي لا تكفي للجميع؟ لكن مسلمي الجزيرة تنازلوا عن جزء كبير من نصيبهم لإعطاء مسلمي الجزر المجاورة.
- حتى النصارى لم يصدقوا أن توزيع اللحم يتم مجاناً، وأعطينا بعضهم من الأضاحي فأسلموا، لأهم رأوا أن الإسلام لا يفرق بين المسلمين وغيرهم في الاستفادة من الأضاحي، بينما يمنع المسيحيون المسلمين من الاستفادة من خدماهم.
- في الخرطوم امرأة عجوز انتظرت كثيراً و لم تحصل على لحم، فأعطيناها من الاحتياطي الذي عندنا و لم تدري ما تفعل أحياناً تبكي وأحياناً تزغرد.
- في إحدى القرى كان هناك ممرضة كبيرة بالسن قالت: أسلم أحد أولادي، وعندما ذبحنا بقرة في القرية في عيد الأضحى وأعطيناها قطعة لحم بكت وقالت: والله نحن من سنوات لم نأكل اللحم، وقسمت قطعة اللحم إلى شرائح عديدة، تدخل الشريحة في القدر وتخرجها بسرعة لتبقى أكبر فترة ممكنة،أعطيناها ٣ كغ لحم، قالت: هذا اللحم ربما يبقى عندي ستة أشهر بهذه الطريقة بأن أضعه في الماء قليلاً ثم أخرجه ثم في اليوم التالي كذلك وهكذا ...

- قال مسؤول في الخرطوم: أنتم قدمتم لطلبتنا درساً عملياً عن التكافل الاجتماعي بين المسلمين.
- في إحدى المشافي وزعنا من لحم الأضاحي على المرضى، فأخذ المسلمون يكبرون، وإذا بغير المسلمين يكبرون أيضاً.
- وزعنا الأضاحي في إحدى المرات في النيجر على ٥ آلاف أسرة، فكان نصيب الأسرة الواحدة ¼ أو ½ كيلو، وهناك من الناس من لا يأكل اللحم إلا في العيد عندما نوزع عليهم الأضاحي.
- جاءت امرأة مسيحية إلى بيت أحد الدعاة بعد انتهاء توزيع الأضاحي تطلب منه لحماً، فأعطاها حصته الخاصة. فتعجبت كثيراً من سماحة المسلمين وبدأت تحدث النساء المسيحيات والوثنيات عن ذلك وأسلمت.

- بعضهم يمشي مسافات طويلة ٧٠ كم حوالي ٩ ساعات ويعودون مشياً ليتباركوا بقطعة لحم من أحفاد النبي ﷺ.

- مرة أردنا أن نترل الثور من الميناء فإذا بالناس يترلونه على أربع كراسي كأنه عريس وهم يصرخون لحم لحم لحم.
- في جزر القمر لا يوجد حيوانات أبداً، بسبب طبيعتها.فنقوم بشحن الحيوانات لهم من مدغشقر، وأحياناً تمنعنا حكومة مدغشقر من ذلك بحجة قلة الأبقار.
- أحياناً نضطر أن نأتي بالأضاحي بالطائرة، لأن الأرض مملوءة بالألغام وهذا يرفع كلفةِ الأضحية كثيراً.

❖ مشروع تفطير الصائمين

ومن خلال مشروع "**فطر صائماً ولو بشق تمرة**"، الذي نفذته الجمعية خلال عامي ٢٠٠٠- ٢٠٠١م، استطاعت توزيع ٥٥٠ ألف وجبة إفطار. استفاد منها قرابة ثلاثة أرباع مليون أفريقي صائم في٤٠ دولة أفريقية، واستغلت الجمعية هذا المشروع في افتتاح المساجد، وتوزيع الملابس والكتب الإسلامية، والمصاحف، والمسابقات القرآنية، وإقامة القوافل الدعوية، وبالفعل أثمر المشروع وأدى إلى دخول الآلاف في الإسلام.

- ففي إحدى القرى في تشاد استغرب الأهالي الوثنيون، وتأثروا كثيرًا من تواصل العرب بإخوالهم المسلمين في إرسال الإفطارات لهم _عن طريق الجمعية_ وازداد تأثرهم حينما رأوا من العرب من يحضر بشخصه ليطعمهم، ويحادثهم ، ويفطر معهم، لا لشيء إلا بدافع العقيدة، وعلى إثر ذلك أسلم عدد كبير منهم تأثرًا بهذه المواقف.
- لم يقتصر التأثر فقط على غير المسلمين، فقد تسابق الكثير من المسلمين تأثراً بموقف تنفيذ الجمعية لمشروع الإفطارات، في محاولة للسبق والتميز بشيء ما، حتى أن هناك من أمر بدهان المساجد التي نقدم فيها الإفطارات على حسابه الخاص، لكي تكون في أبهى مظهر، كإسهام منه وإقتداء بأهل الخير والإحسان العرب.
- وهذا شيخ يبلغ من العمر ٨٠ سنة في غينيا بيساو يتأثر بهذا التواصل العربي الأفريقي في هذا الشهر الكريم، فيوقف جميع الحاضرين لموائد الإفطار، ويطلب منهم التأمل: من أين وصلت إليهم هذه الإفطارات الرمضانية؟ ولماذا؟ ويعقّب مجيبًا: بأنها من إخوانهم العرب الذين لم يقصّروا في إرسال الأغذية لهم، برغم بعد المسافات.. وحينها أجهش الجميع بالبكاء تأثرًا بذلك!

- مرّ رجل في طريقه بمسجد في أحد أيام شهر رمضان، فرأى مئات من المسلمين يتناولون طعام الإفطار، بينما تعاني البلاد من ويلات المجاعة، فدخل ليسأل عن الموضوع، ومن أين هذا الكم الهائل من الطعام، وعندما علم أنهم إحدى اللجان الخيرية التي تقوم بتجهيز وجبات لآلاف المسلمين الصائمين بشكل مجاني لمعاونتهم على الصيام، أثّر الموقف فيه كثيرًا وهالته روح التكافل برغم اختلاف الجنسيات والألوان، فذهب ليسأل عن هذا الدين الذي يضع هذه الأسس الاجتماعية الرائعة، وما كان منه إلا أنه ذهب إلى مقر اللجنة وأشهر إسلامه.
- تكرر المشهد في قرية شيباتا في زامبيا، عندما أعلنت مجموعة من الأهالي اعتناقهم الإسلام تأثرًا بمشروع "إفطار الصائم"، ولما سُئلوا عن ذلك، أجابوا بأنهم عندما علموا بأن هذه المساعدات من المسلمين العرب، لا لشيء سوى تلبية لنداء دينهم الإسلام من أجل إعانة إخوانهم، أيقنوا أن هذا الدين عظيم، ومن ثم اتبعوه.
- **تقدم جمعية العون سنوياً ثلاثة أرباع مليون وجبة جاهزة للأكل في رمضان**، وذلك يكون له تأثير بالغ على الناس هناك، يشعرون بمشاعر عجيبة، كيف أن إخوانهم العرب يرسلون إليهم الطعام دون أن يعرفوهم.
- في أوغندة احتج قسيس وندد بدروسنا الدعوية التي نلقيها قبل الإفطار، فحاورناه بالحكمة وبالتي هي أحسن فأسلم وأسلم معه في يوم واحد ٦٠ شخص في الكنيسة.
- شارك زعيم كنسي بروتستانتي في ولائم الإفطار، وحاول أن يخدم معنا في توزيع الطعام. رحبنا به من باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي ليلة ٢٧ رمضان عرف هذا الزعيم أنها ليلة مباركة، ففوجئنا به إذ وقف وسط الحاضرين

وقال: لقد اقتنعت الآن من أعماق قلبي أن الإسلام من بين جميع الأديان هو الدين الحق وارتضيته لنفسي، وأعز الله الإسلام في هذه القرية بدخوله فيه.

- قال أحد الفقراء المسلمين: مجرد رؤيتي لوجبات الإفطار أنسى كل ما عانيته من جوع وعطش وإرهاق في هذا الشهر، لأنه ليس عندي ما أشتري به سحور أو إفطار، ولقد رأيت مئات المرات من يفطر على الماء عدة أيام.
- امرأة حامل شاركت في الإفطار وجاءها المخاض في هذه الأثناء، وأنجبت طفل: أسمته "**رمضان**".
- مدير أحد السجون الذي وزعنا عندهم طعام الإفطار شكرنا، وقال: إن الناس تتحسن تصرفاتهم بعد أن يسلموا، وسمعنا هذا الكلام من أكثر من مكان.
- في السجن قال أحد السجناء: أنا أعلن ندمي عما ارتكبته من جرائم وهي كثيرة بعضها تعرفها الحكومة وبعضها لا تعرفها، فأنا أتوب من ذلك وإذا خرجت من السجن سأصوم عشرة أيام، وسأكون حمامة المسجد، كل ذلك بسبب الدروس التي ترافق وجبات الإفطار، ونتبعها بدروس لتقوية إيمانهم وتزكية نفوسهم.
- في مراكز المعوقين حاولوا المساهمة في تحضير وجبات الإفطار، رأينا أحدهم يده مبتورة من الساعد، ومع ذلك يعلق كيس البصل على كتفه والكيس الآخر بيده الأخرى، قلنا له: احمل كيساً واحداً، قال: أنا لا أستطيع أن أشارك بالمال ولكن أريد أن أبذل كل جهدي للمشاركة بالعمل وأنا أريد أن آخذ أجراً أكبر.
- في أوغندة كان هناك حرب على الإسلام، ويقولون: إننا إرهابيون، وبتقديم وجبات الإفطار أثبتنا لهم العكس.

- كثير من وسائل الإعلام كتبت عن مشروعنا (تفطير الصائم).
- في غانا رأيت بعضهم يأكل كمية قليلة من حصته، ويأخذ الباقي معه لأهله لأنهم لم يذوقوا اللحم منذ سنين.
- في قرى جنوب السنغال قال أحد المنصرين الأمريكيين لأحد دعاتنا:

أنتم دائماً تفشلون مشاريعنا، قلنا كيف؟ قال: بنينا كنيسة بنيتم مسجداً، والآن أحضرتم طعاماً تريدون جذب الباقي إليكم، فصرخ في وجهه رجل و قال: نعم هؤلاء المسلمون يستحقون أن يلتحق بهم كل الناس، لأنهم يعطون أشياء كثيرة بدون مقابل أو شروط، أما أنتم فتضعون شروطاً كثيرة لمن تقدمون له شيء، جاؤوا بالطعام و لم يحددوا نوعية الناس الذين يريدون أن يأكلوا بل قالوا لكل الناس، وأنتم لا تعطون إلا المسيحيين الذين من نفس طائفتكم حتى الطوائف الأخرى لا تقدمون لهم شيء، أليس من الحق أن نتبع دينهم ونترك دينكم.

- نحن نقدم الإفطار في مساجد الشرطة، في مساجد الجيش، في المشافي، في السجون....
- في إحدى القرى تكلم دعاتنا عن عيسى عليه السلام وتأثر القسيس لأنه كان يعتقد أننا لا نعترف بسيدنا عيسى، فقلنا له: إن هناك سور في القرآن تتحدث عن السيدة مريم وعيسى وآل عمران، فأسلم تأثراً بذلك.
- قال أحدهم: إن من محبة الله للعرب أن يسّر لهم أن يقدموا الإفطار لنا، ونحن بأمس الحاجة إليه.
- إن وجبة الإفطار تكلف نصف دينار كويتي أو خمسة ريالات سعودي.

- في إحدى المرات ثار رجال الكنيسة وقالوا: إن المسلمين يشترون الناس بالمال بما يقدمونه لهم، وإن هذا المال من جيوب الدعاة حتى يهزوا نصرانية المنطقة ووصل الأمر إلى الشرطة وحققوا بالموضوع، فلما رأوا كذب الإدعاء وبّخ رجال الشرطة رجال الكنيسة مع أن رجال الشرطة غير مسلمين.
- مع وجبات الإفطار نقوم ببرامج كثيرة جداً، نستفد فيها من كل طاقات الدعاة لدينا، يشارك ٣٢٠٠ داعية بهذا البرنامج، نحفر الآبار، نبني المساجد، نوزع ملابس، ونوزع كتب إسلامية بعد ترجمتها إلى اللغات المحلية، نوزع مصاحف، نحاول رفع التزام الناس بالإسلام، حلقات لتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، مسابقات في حفظ القرآن، برامج إذاعية وتلفزيونية، نحيي سنة التراويح، نقيم قوافل دعوية لتبليغ الدعوة إلى كثير من الناس، ونخطط لهذا البرنامج قبل رمضان بأشهر.
- نحن لا نشتري الناس بالأكل، ولكن بتقديم الطعام نفتح قلوبهم ونتركهم دون أن نساومهم على شيء.

❖ مشروع إرسال قادة المجتمعات إلى الحج

بدأت الجمعية برئاسة **د. عبد الرحمن** البرنامج منذ سنوات طويلة بإرسال قادة المجتمعات إلى الحج، لأن هدايتهم متعدية إلى من خلفهم بإذن الله.

❖ يقول د. عبد الرحمن:

الحج بالنسبة لنا رحلة إيمانية، ولكن بالنسبة لهم تغيير منهج حياة كامل، عندما يعود ويبدأ يقص ما رأى من عظمة هذا الدين يبدأ يسلم على يديه الآخرين.

- أحد سلاطين جنوب تشاد ذهب إلى الحج اسمه سليمان تنكاري، السلطان بشكل عام لديه صلاحية لفعل أي شيء ما عدا حكم الإعدام.

يستطيع أن يخرجك من بيتك يأخذ نقودك........ والحكومة تقرهم على ذلك لأنها لا تستطيع أن تفعل شيء بدون السلطان، على الغالب السلطان لا يظلم لأن المعاملة الحسنة تجعله يستمر.

السلطان سليمان:

كان قسيساً، وفي إحدى رحلاتنا الدعوية أسلم وعلمناه مبادئ الإسلام، وأرسلناه إلى الحج، وعندما رجع قرر أن يصبح داعية وذهب إلى مدرسة اسمها الخلوة القرآنية في الغابة يعيش فيها المتعلمون بحياة صعبة جداً. يفترشون التراب ليس لديهم وسائد، لا يستطيعون أن يأكلوا أكثر من وجبة واحدة في اليوم، بقي هذا السلطان معهم ودرس عندهم وخلال الثلاث سنوات الأولى أسلمت على يده ١٤ قرية، أسس مكتب للمهتدين الجدد، يدربهم ويعلمهم، وصار يرسل مسلمين للدعوة في القرى المجاورة.

- في جنوب شرق أفريقية الوسطى، كان هناك شخصية بارزة من قبائل الأقزام اسمه **مختار** (الأقزام يصل طولهم إلى أكتافنا أو أقل). هم وثنيون يعبدون الأرواح لا يعرفون النقود وإنما يتعاملون بالتبادل التجاري.

كان مختار من أوائل الذين أسلموا من قبائل الأقزام وكان عوناً لنا في قبيلته. أرسلنا مختار إلى الحج، لم يصدق الذي رآه، كل الناس يلبسون نفس الثياب، قال: خفت أن يزعجوني بنظراتهم لأني قزم، لكن الكل كان مشغولاً بأداء شعائره، رأيت اختلاف أشكال الناس، لمّا رأيت الكعبة بكيت كثيراً، ودعوت لمن كان سبباً في إرسالي إلى الحج، ودعوت بالهداية للأقزام كلهم، وصرت أحدّث قومي عما رأيت من غرائب وعجائب بالنسبة لهم وصار يستمع إلي المسلم وغير المسلم.

- قصة تأثرت بها:

أحد السلاطين كان من أوائل من دخل في الكنيسة الكاثوليكية، لاحظ مساعداتنا للفقراء والمساكين فأثر ذلك فيه، وبدأ يتقرب إلينا وقرر أن يسلم، ولكن قال: لا أسلم حتى تبنوا لي مسجداً، بنت له إحدى المحسنات مسجداً، فأصر أن يذهب إلى الكويت وينطق بالشهادة أمامها، وفي الليلة التي أسلم فيها رفض أن ينام حتى يحفظ الفاتحة وسورة الإخلاص، بعد إسلامه أرسلناه إلى الحج.

أسلم على يده في السنة الأولى ٦٠ ألف شخص منهم سبع سلاطين، أرسلنا له ٣٢ داعية ليساعدوه في نشر الإسلام.

- **خالد قاسم**، رجل من كبار الدعاة في موزمبيق، وموزمبيق فيها مشكلة، ألا و هي: اختلاط السحر و الشعوذة مع الإسلام.

فلا تعرف دينك من الشعوذة والسحر، أردنا مرة أن نوزع عليهم شباك صيد فرفضوا أخذها، وقالوا: أنتم تريدون أن تصيدونا بهذه الشباك وتدخلونا في الإسلام، و لم يقتنعوا إلا بعد جهد.

لديهم مشكلة أيضاً: أن من لا يصلي الظهر بعد الجمعة يعتبرونه كافراً، حذرنا دعاتنا من أن يناقشوهم في هذه المسألة، ولكن زلق لسان أحدهم وأخبرهم أن هذا التكفير شيء محدث غير موجود في الدين، انتشر الخبر بين الجميع: أن دعاة لجنة مسلمي أفريقيا لا

يصلون الظهر بعد الجمعة، آذونا كثيراً، ومنعونا من أن ندخل مساجدهم لأننا كفار، وسحبوا طلابهم من عندنا.

رأينا أن نرسل أقدم داعية عندهم إلى الحج وهو خالد قاسم، كانوا يخافون من الذهاب إلى الحج، لأنهم يعتقدون أن مكة في الجنة وأن من يذهب إليها لا يعود.

يقول خالد قاسم: ترددت كثيراً في الذهاب، ولكني قررت أن أذهب، وقسمت أموالي بين أولادي على أساس أني لن أرجع، وعندما ركبت الطائرة ورأيت الغيم تحتي فقلت: صدق أهل قريتي من يذهب إلى الحج يذهب إلى الجنة، وها أنا ذا قد خرجت من الأرض، وعندما وصلت إلى مطار جدة رأيت الناس يلبسون البياض فقلت: ما شاء الله دخلت الجنة؟ ولما ذهبت إلى مكة رأيتها كلها جبال ليس فيها شجر، قلت: كيف جنة بدون شجر ؟ الجنة فيها شجر؟ كيف سنأكل؟ وعندما وضعوا لنا الطعام ورأيته، كان طعاماً لم أشاهد مثله في حياتي، قلت: سبحان الله هذه الجبال الصخرية فيها كل هذا الطعام؟

عندما عاد إلى المطار كان هناك ٣٠ ألف شخص يستقبلونه، وبقي الناس يذهبون لرؤيته مدة ثلاثة أشهر، لأنهم لا يصدقون أنه حي، وحتى بعد سنة لا زال بعض الناس يأتي إليه.

ولقد سأله الناس عن أهل مكة: هل يصلون الظهر بعد الجمعة؟ _لأن فعل أهل مكة عندهم هو الأساس_ فلما قال لهم: لا، عادوا لاستقبالنا ومساعدتنا في نشر الإسلام.

❖ مشروع كفالة اليتيم

بما أن اليتامى هم أكثر الفئات الاجتماعية عرضة لتأثيرات ظروف الفقر والجهل والمرض والجوع والخوف التي تجتاح المجتمعات الأفريقية، فقد حازوا على اهتمام الجمعية، حيث تكفل الجمعية (إحصائية آخر عام٢٠٠٢م) نحو ١٠ آلاف يتيم ينتمون إلى ٢٩ دولة أفريقية، وتخصص الجمعية نسبة تتراوح بين ١٥-٢٠٪ من إجمالي مواردها المالية سنوياً لرعاية الأيتام.

وقد بدأت الجمعية برنامجها لكفالة اليتيم على إثر زيارة ميدانية قاموا بها إلى ممباسا في كينيا، بعد عام واحد من نشأةَ الجمعية، حيث وجدوا: أن معظم الشبان الذين يبيعون القات، أو الذين تلقي السلطات القبض عليهم في قضايا الاتجار في المخدرات هم من أيتام المسلمين.

واقتصرت المساعدات التي قدمتها الجمعية لهؤلاء الأيتام في البداية على مبالغ نقدية كانت تقوم بتحويلها إلى حوالي ٥٠ يتيمًا عن طريق المؤسسات الخيرية الكينية التي كانت تقوم بتوصيلها إليهم، ولكن بعد ذلك عمدت الجمعية إلى تبني مفهوم الكفالة الشاملة لليتيم من مختلف النواحي التربوية والتعليمية والصحية، فقامت ببناء سلسلة من دور الأيتام

جعلتها ملحقة بمراكزها، حتى وصل عدد هذه الدور إلى ١٤٠ داراً للجنة، ووصل عدد الأطفال الذين تكفلهم إلى حوالي ١٠,٠٠٠ طفل، ٤٥٪ منهم يتلقون الرعاية داخل هذه الدور، بينما يتلقى الباقون ٥٥٪ الرعاية مع أسرهم وعائلتهم. وكانت رعاية اليتيم تبدأ في سن مبكرة لا تزيد عن العاشرة من عمره، وتستمر إلى حين تخرجه من الجامعة في بعض الحالات، أو تأهله مهنياً في أحد مراكز التدريب المهني في حالات أخرى .

وتمثلت أهم خدمات اللجنة للأيتام:

في الخدمة التعليمية، والخدمة الصحية والعلاجية، التي كانت تتم غالباً عن طريق المدارس و المستوصفات والعيادات التابعة لها، إضافة إلى توفير الكساء الملائم لهم، وبخاصة في المواسم والأعياد.

كما تقوم الجمعية بصرف ثلاث وجبات لليتيم، بالإضافة إلى توفير ملابس كاملة للخروج لكل يتيم، وملابس للنوم تتفق مع تقاليد الزي لأهل كل بلد، كما يصرف لكل يتيم ملابس مدرسية كاملة مع بداية السنة الدراسية وحذاء، ويصرف لكل يتيم فراش وغطاء خاص به، ولا يسمح بنوم أكثر من يتيم في فراش واحد.

اهتمت اللجنة بإشراك الأيتام في الأنشطة اليومية عن طريق تقسيمهم إلى فرق تختص كل منها بعمل معين، مثل فرقة الصحافة، وفرقة الإسعافات الأولية، وفرقة الخدمات العامة، حيث يتم تغيير الأعضاء وإعادة توزيعهم على النشاطات المختلفة كل ستة أشهر، وبذلك تتاح لليتيم فرصة المشاركة في أكبر عدد ممكن من الفرق التي تنمي مواهبه، وتغرس في نفسه روح التعاون والعمل الجماعي.

❖ ماذا يمكن أن يقدمه المسلم للدعوة في أفريقيا؟

لا يخفى على الجميع أن الدعم المادي المباشر على أهميتهِ ليس هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقدمه المسلم للدعوة إلى الله وسط هذه القبائل أو للعمل الخيري في أفريقيا.

فهناك الكثير الذي يصعب حصره في هذه العجالة يمكن أن يساهم به كل واحدٍ منا في هذا المجال **وأهمها على الإطلاق: الدعاء الصالح.**

فكم من دعوةٍ صالحةٍ فتحت أبواباً مغلقة، وعبدت طرقاً وعرة، وحطمت جبالاً من العقبات والمصاعب.

❖ **يقول د. عبد الرحمن:**

ولو سردت بعض الحوادث التي تعرضنا فيها للخطر أو تعرض لها بعض إخواننا العاملين في العمل الخيري لطال بنا المقام، ولكنني لا أ شك أن الله عز وجل يسّرها لنا بسبب دعاء مكروب تم تنفيس كربته، أو بسبب دعاء أخٍ صالحٍ في جوف الليل وجدت باباً مفتوحاً فقّبلت فلا تبخل علينا أيها الأخ الكريم بدعائك الصالح.

حصيلة المشاريع التي نفذت في أفريقيا

❖ حصيلة المشاريع التي نفذت في أفريقيا – كما يذكر د. السميط – حتى أواخر عام ٢٠٠٢م:

رأت الجمعية أن التعليم هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الدعوة في أفريقيا:

- فأسست ٨٤٠ مدرسة يدرس بها أكثر من نصف مليون طالب أفريقي.
- كما دفعت اللجنة رسومًا دراسية عن ٩٥ ألف طالب أفريقي.
- بالإضافة إلى ترجمة وطباعة ٦.٥ ملايين كتيب بـ ١٨ لغة.
- كما قدمت أكثر من ٢٠٠ منحة دراسية ما بعد الجامعة للدراسات العليا في الدول الغربية لدراسة الطب والهندسة والتكنولوجيا والعلوم.
- وهناك أيضًا عشرات رياض الأطفال و٤ مراكز ثقافية اجتماعية و٨ مراكز كمقر للجنة و١٣ سكناً للمدرسين والطلاب و٢٤ مبنى آخر.
- بدأت في كانون أول ٢٠٠٢ م إنشاء مشروع للإذاعات يضم نحو ٩٧ إذاعة.

أعلن القائمون على الجمعية أن الإذاعات سوف تقتصر على نشر الإسلام ومبادئه وتفسير الأحاديث النبوية من دون الدخول إلى القضايا السياسية والخلافات الداخلية أو النزاعات القبلية.

- بناء ١٢٠٠ مسجد.

دفع رواتب ٣٢٨٨ داعية ومعلماً شهرياً.

- رعاية ٩٥٠٠ يتيم.
- حفر ٢٧٥٠ بئراً ارتوازية ومئات الآبار السطحية في مناطق الجفاف التي يسكنها المسلمون.
- بناء ١٢٤ مستشفى ومستوصفاً.
- توزيع ١٦٠ ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس.
- توزيع أكثر من ٥١ مليون نسخة من المصحف، طبع وتوزيع ٦٠٥ مليون كتيب إسلامي بلغات أفريقية مختلفة.
- بناء وتشغيل ١٠٢ مركز إسلامي متكامل.
- عقد ١٤٥٠ دورة للمعلمين وأئمة المساجد.
- تنفيذ وتسيير عدة مشاريع زراعية على مساحة ١٠ ملايين متر مربع.
- بناء وتشغيل ٢٠٠ مركز لتدريب النساء.
- تنفيذ عدد من السدود المائية في مناطق الجفاف.
- إقامة عدد من المخيمات الطبية ومخيمات العيون للمحتاجين مجاناً للتخفيف على الموارد الصحية القليلة في إطار برنامج مكافحة العمى.

❖ وما زالت الطموحات مستمرة:

وأشار **د.السميط** إلى أن طموحات جمعية العون المباشر في أفريقيا لا تتوقف عند حد معين، فالجهود مستمرة لإعداد الدراسات اللازمة لإنشاء كلية لتدريب المعلمين في

ملاوي،لأن الحاجة هناك ماسة جداً لتخريج معلمين مسلمين، بالإضافة إلى إنشاء محطات إذاعية للقرآن الكريم، وقد بدؤوا بإنشاء محطة في جمهورية توجو، وهناك مائة محطة يجري العمل في مراحل تنفيذها المختلفة بمناطق مختلفة من أفريقيا.ولو كان الأمر يعود إليه لأقام جامعة في كل بلد أفريقي سنوياً.

مجلة الكوثر

مجلة الكوثر عمرها الآن ١١سنة، وهدفها تقريب العقلية العربية لمعرفة أفريقيا.

قام بتأسيسها **د.عبد الرحمن السميط** من حسابه الخاص منذ حوالي ١١سنة، وهو رئيس تحريرها.

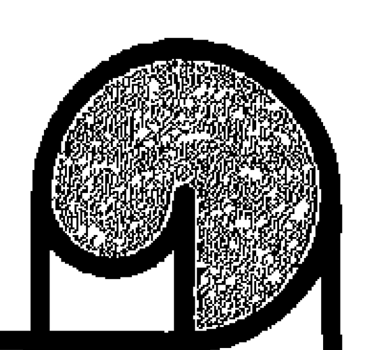
هي: مجلة شهرية ثقافية تربوية متنوعة حول قارة أفريقيا وشعوبها، بدءً بتقاليد القبائل وعاداتها الغريبة إلى الطبيعة الخلابة لهذه القارة وذلك في عرض لا يخلو من الطرافة والغرابة والألم أحياناً.

وتحفل المجلة كذلك بمواد أخرى طبية وعلمية وتاريخية وتغطية لأهم الأنشطة الدعوية وأحوال المسلمين في العديد من الدول الأفريقية.

وقد حافظت المجلة على تخصصها وبرعت فيه مما أكسبها تميزاً في الساحة الإعلامية.

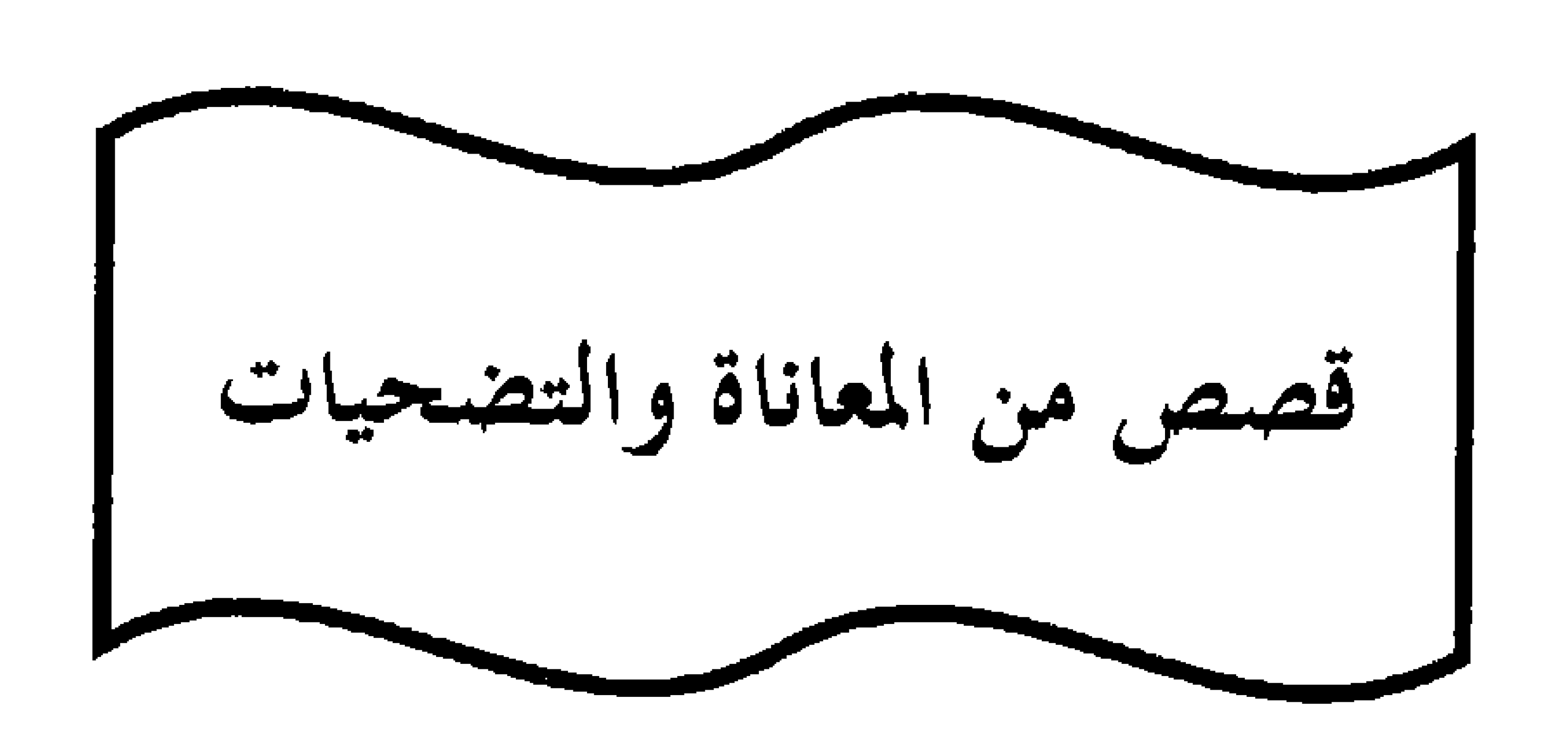
مجلة الكوثر: يصدرها **د.عبد الرحمن السميط** وليست اللجنة، وهو يتحمل المسؤولية المالية عنها.

مقرها الرئيسي: في الكويت، ولها عدة مكاتب في الوطن العربي مثل: الإمارات والبحرين وسلطنة عمان و الدمام.



قالوا عليل فابتسمـــــــت و رحت أمعن في الجراح
والعزم فوق ذ ر ى النجوم تروده همم صحاح
أنا في صراع الدهر أطلب للعلا ما لا يتاح
أنا للصغير و للكبير إرادة الخير و الصلاح
الصبر ديدن مذهبي والصبر مفتاح الفلاح
أحدو القوافل لا أبالي بالعواثر و النباح
قلبي يهش مدى الحياة فإن رأى شراً أشاح

- من لم يكن له في بدايته احتراق لم يكن له في نهايته إشراق.
- إن الذي يعيش لنفسه، قد يعيش مستريحاً، ولكن يعيش صغيراً ويموت صغيراً، وأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير، فما له والنوم، وماله والراحة، وماله والفراش الدافئ والعيش الهادئ والمتاع المريح.
- قيل لأبي مسلم الخراساني:مالك لا تنام؟ قال: همة عارمة، وعزيمة ماضية، ونفس لا تقبل الضيم.
- جُمِعَ من براية أقلام ابن الجوزي ما أُدفِئ به ماءُ غسله عند الموت.
- وجُمِعَ الغبارُ من عمامة صلاح الدين فجعل لبنة تحت رأسه في القبر.
- النجاح لايقاس بالموقع الذي يتبوأه المرء في حياته ..بقدر ما يقاس بالصعاب التي يتغلب عليها



❖ الطريق غير مفروش بالزهور:

أطلق عليه النار عشرات المرات، فُجّر فيه لغم، وتعرض في أفريقيا للاغتيال مرات عديدة من قبل المليشيات المسلحة، بسبب حضوره الطاغي في أوساط الفقراء والمحتاجين، كما حاصرته أفعى الكوبرا في موزمبيق وكينيا وملاوي أكثر من مرة لكن نجاه الله عز وجل. كما نام مرات كثيرة في مناطق دون أن يعلم أن هناك أسد على بعد عدة أمتار منه.

❖ في السجن:

سجن **د. السميط** عام١٩٧٠م، وعُذب وأُخذ من لحم يديه ورجليه ووجهه، وضُرب أكثر من سبعمائة سوط بكبل هاتف، وفي عام ١٩٩٠م سجن في الكويت ٢٦ يوم، بعض الأشخاص الذين لم يعتادوا على السجون أخذوا يبكون، فقال لهم **د. السميط**: إن البكاء لن يغير من المستقبل، فقاموا بتنفيذ برنامج تعبدي، كما قاموا بكتابة محاضرات في المنظمات الدولية، في الهندسة المدنية في طب-الأسنان،كل حسب اختصاصه، وخلال هذه الفترة، وبسبب ضيق الزنزانة حدث لديه خشونة في المفصل (التهاب مفاصل تنكسي)، بسببها لم يعد يستطع أن يصلي إلا على الكرسي، ولا يستطيع أن يجلس على الأرض.

❖ جريمته استحقت إطلاق النار عليه!

تحدث المجاعات غالباً في مناطق النزاعات الأهلية في أفريقيا، والأمثلة متعددة من سيراليون إلى الصومال إلى أثيوبيا إلى أنغولا وصولاً إلى جنوب السودان عدا العديد من المناطق الأخرى، والعمل على إنقاذ المحتاجين هناك لا يمر من دون مخاطر الأمر الذي يضطر أعضاء الجمعية إلى استئجار مسلحين من رجال الشرطة أومن المليشيات لحمايتهم، ولكن هذا و إن كان يمنحهم شيئاً من الطمأنينة إلا أنه لا يحميهم من رصاصة تطلق عليهم من دون سبب أحياناً، فكثير من المسلحين في مناطق الحروب لا يحتاجون إلى مبرر للضغط على الزناد بدون التفكير في النتائج.

فأحياناً يصرون على اتهامهم بأنهم جواسيس ولكن على ماذا يتجسسون؟ وأحياناً يتهمونهم بالعمل لحساب الطرف الآخر، ولكن الأغرب من ذلك أن بعض المسلحين الصوماليين عندما رأوا **د.السميط** يصور مقر إحدى المنظمات التنصيرية التي رفعت عدة أعلام رسمت عليها صلبان بأحجام كبيرة وجهوا بنادقهم نحوه وأطلق أحدهم رصاصة لم تبعد كثيراً عن رأس الدكتور، وما كان من الدكتور إلا أن صرخ وانبطح أرضاً. وعندما سأله: لماذا يطلق الرصاص؟ كان جوابه المفحم: ولماذا تصور؟ فأخبره بأنه لم يصوّره و لم يصوّر أي مسلح، إنما صوّر مكاتب المنظمة الغربية، ولكن يبدو أن الأخ اعتبر أن ذلك جريمة تستحق إطلاق النار على الدكتور، و لم ينقذه إلا الاعتذار والأسف لهذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه.

ومع ذلك لا يزال الدكتور ومن معه يعاودون الذهاب إلى هذه الأماكن مرات عدة إذ لا خيار أمامهم عندما تكون هناك مجاعات أو نكبات.

❖ في الصومال هدده بالقتل لعدم استشارته:

ذهب **د.عبد الرحمن** إلى شمال كينيا ومن هناك عبر الحدود إلى الصومال بصحبة عائلته وأولاده وخلال الطريق شاهدوا عشرات الحيوانات البرية والمتوحشة مما خفف من حدة إرهاق السفر.

وبسبب الحروب الأهلية لم تكن هناك حكومة مركزية. كما أن حياة الصحراء عودت الصوماليين على التعامل بالشدة والخشونة، وخلال ذلك صادف موقفين لا ينساهما:

الأول: كان قد حفر في هذه المنطقة التي يزورها خمس آبار، بعد استشارة شيوخ القبائل وكبار السن، وخلال زيارته لها فوجئ بشخص يحمل بندقية أوتوماتيكية يهدده ويتهجم عليه بألفاظ نابية، لأنه لم يستشيره قبل حفر الآبار، ويبدو أنه رئيس لإحدى العصابات المسلحة، اعتذر **د.السميط** له و قرر ألا يحفر أي بئر في المنطقة مستقبلاً.

والموقف الثاني: جاءت امرأة تحمل طفلاً وتطلب المساعدة من أم صهيب، الغريب أنها كانت تحمل حجراً وتهدد بتحطيم سيارتهم إذا لم يعطوها، مثل هذه المواقف تجبر الإنسان على ترك المكان إلى مناطق أكثر احتياجاً ولديها الاستعداد للتعاون.

❖ الغوص في المستنقعات:

في رحلته إلى قرية مكة،ذهب في الطائرة ثم ركب سيارة قديمة ثم سار ساعتين مشياً على الأقدام ثم مرّ في مستنقع، ومشى فيه أربع ساعات وسط الأرواث والتماسيح، أربع ساعات متواصلة في مستنقعات يصل فيها الماء أحياناً إلى أعلى الصدر كلها روث بهائم،

كلها أوساخ، وهو مصاب بالسكري، ليس معه نقطة ماء للشرب، فاضطر أن يشرب من ماء المستنقع الملوث بروث البهائم.

❖ النوم في الصحاري والغابات:

كان ينام وسط الحيوانات المتوحشة، وكان ينام تحت الأشجار..

في يوم من الأيام كان هو وعائلته في حالة تعب شديدة، فقد كانوا في السيارة منذ ٢٤ ساعة، ومعه أطفال ويحتاجون إلى الراحة، فطلب من المرافق معه - وهو أفريقي من الدعاة الأفارقة — أن يسمح لهم بالنوم.. فرفض المرافق لأن المكان مليء بالحيوانات متوحشة، ولاسيما البحيرة ففيها الكثير من التماسيح، فرد عليه **د.السميط** من شدة تعبه: يا أخي فليأتي التمساح ويأكلنا لكن قد تعبنا، معي أطفال يصعب عليهم أن يناموا في السيارة، السيارة قديمة جدًّا، وليس عندنا إمكانية أن نشتري سيارات جديدة كما عند الأوربيين.

كان ينام مع عائلته وأولاده في صحارى كلها لصوص مسلحين بالكلاشنكوفات وبغيرها.

والحقيقة تفاصيل المتاعب التي كان يجابهها في المستنقعات جمة، والنوم في الأكواخ المفروشة بروث البهائم والسير على الأرجل مسافات طويلة حتى تتورم الأقدام، من دون طعام أو شراب وسط الأهوال والمخاطر..

❖ منطقة هادئة ودغلاً من الأشجار في مالاوي:

كان هناك منطقة جميلة وهادئة وكلما مرّ **الدكتور السميط** بهذه المنطقة في طريقه للدعوة أو للإشراف على مشاريع الجمعية وأيتامها توقف وتوضأ وصلى ركعتين لأن المكان هادئ وجميل يغري الإنسان بالابتعاد ولو لدقائق عن هذه الدنيا، وفي آخر مرة توقف كعادته ورأى ما يشبه الحجر في الماء، فقرر أن يضع أحد قدميه على الحجر،ولكن سرعان ما كشر التمساح عن أنيابه..لقد كان ما ظنه حجراً تمساحاً وكانت مفاجئة غير سارة له.

❖ **ديدان مدغشقر تنبت في الأقدام!**

لاحظ **د.عبد الرحمن** خلال زيارته إلى جنوب شرق مدغشقر لمتابعة مشاريع جمعيته هناك في فترة هطول الأمطار أن أغلب الناس في هذه المنطقة يمشون حفاة بسبب الفقر، بل إن بعضهم لا يعرف الحذاء ولا النعال، ولاحظ أن هناك الديدان تعيش في أصابع أقدامهم في المنطقة الواقعة تحت ظفر الإبهام، وعادة ما تنتقل إليهم من الطين. وذات مرة زحلقت قدمه في الطين عدة مرات ووقع فيه وتلطخت به ثيابه، لكن والحمد لله أنه لم يصب بهذه الديدان.

والمؤلم أنه لا علاج لهذه الديدان لديهم، إلا أن يستخرجوها بإبرة خياطة أو دبوس، وهي عملية مؤلمة جداً.

ومن جملة المخاطر الصحية التي تعرض لها في أفريقيا، عندما كان ذات مرة في زيارة لبعض مشاريع الجمعية في منطقة نائية بإحدى دول شرق أفريقيا، وقضى ليلة في أحد مراكز الجمعية حيث لا ماء نقي ولا كهرباء، والماء المتوفر ملوث إلى أقصى درجات التلوث، ولا خيار أمامه سواه، فكان مضطر إلى الشرب منه. وبعد يومين أو ثلاثة أيام، بدأ يظهر على ساقه ويديه قروح، وتفاقم عفنها إلى درجة أن ديداناً أصبحت تخرج منها.لكن سرعان ما اختفت هذه القروح بدون علاج.

والغريب أنها لم تسبب أي ألم أو ارتفاع في درجة الحرارة.

ومن ناحية أخرى كان يخشى **د.عبد الرحمن** أن يصاب بالملاريا بعد كل زيارة لهذه المنطقة، إلا أن البعوض كانت رؤوفاً به، والحمد لله أنه لم يصب بالملاريا رغم لسعاته المتواصلة لجسده طوال الليل.

❖ حكايته مع الأفاعي الأفريقية:

بما أن عمله مرتبط إلى حد كبير بالأسفار والتنقل بين الأماكن والمناطق المتنوعة في هذه القارة المليئة بالأفاعي، فلابد أن يكون له نصيب من القصص والمغامرات مع بعض أنواع الحيّات.

لكن أغلب تلك الحكايات كانت مع الكوبرا التي صادفها مرات عدة في أحراش موزمبيق أو في أدغال شرق كينيا (في ماليندي بالخصوص) أو في مالاوي ٠٠، إلى درجة أنه وقع في موقف خطير ذات مرة، عندما حاصرته إحداها في مأزق محرج فنفثت في عينيه سماً قوياً، ولولا عناية الله ثم النظارات التي كان يضعها، لكان في عداد العميان أو الموتى ...

وكان هناك حدثاً مثيراً وقع في عبّارة كانت تقل أكثر من مائتي مسافر لعبور أحد الأنهار الواقعة في شرق كينيا، فإذا بأحدهم يصيح بأعلى صوته: أفعى.. أفعى.. فهاج الركاب وتدافعوا هنا وهناك، فلما علم **د. عبد الرحمن** أنها لدغت مسافرين اثنين، قفز إلى النهر ليقطع بقية المسافة التي لم تكن بعيدة كثيراً عن شاطئه سباحة. والحمد لله أنه لم تكن هناك تماسيح في هذا الجزء من النهر الذي يمتلئ عادة بها.

صحيح أن أفريقيا تمتلئ بأنواع الأفاعي القاتلة، لكن الأمر الذي يدعو إلى الغرابة أن المستشفيات في كثير من المناطق لم تستقبل خلال عقد ونصف من الزمن أية حالة إصابة من هذا القبيل. وسبب ذلك أن الملدوغ إما أن يلقى حتفه في الحال، وإما أن يعالج عن طريق الطب الشعبي، ونذكر في سياق الحديث عن طريق العلاج التقليدي أن الأفاعي كانت إحدى الموجودات التي أثارت خوف الإنسان فعبدها ونظر إليها نظرة مقدّسة، و لم تخل قارة أفريقيا من هذا اللون من العبادات.

ولقد سبق **للدكتور عبد الرحمن** أن زار معبداً للأفاعي يقع على مقربة من عاصمة جمهورية بنين يعبد الناس فيه الأصلة (أو البايثون).

❖ **لقاء مع أفعى الكوبرا:**

كان **د.السميط** مع أولاده في طريقهم لزيارة بعض المشاريع في إحدى الدول الأفريقية، فرأى **د.السميط** طريقاً ترابياً حديثاً فسأل السائق عنه، فقال: إنه يؤدي إلى مقهى على البحيرة، فطلب منه أن يأخذه إليه ليرتاحوا، خاصة أنهم في السيارة منذ حوالي ١٠ ساعات، عندما ترجلوا دخل الدكتور ومعه ابنه صهيب في مكان ضيق ليكتشف أنه مسدود وعندما أرادوا العودة فوجئوا بأفعى من نوع الكوبرا وقد رفعت نصف جسمها عن الأرض... وأغلقت طريق خروجهم.

قام الدكتور بما يأمر به الشرع من إنذار الأفعى ثلاثاً فلم تستجب، طلب من ولده صهيب أن يختفي ورائه خاصة وأن الكوبرا تبصق سمها على أي شيء يلمع وبما أنه يلبس نظارة فالخطر أقل نسبياً ..! . من حسن الحظ أنه كان هناك أحجار من مخلفات البناء كانت قرب قدمه، بدأ بضربها وبدأ الناس يتجمهرون في الجهة الأخرى، الغريب أن معظمهم لم يفعل شيئاً واكتفى بالفرجة على معركة بينه وبين الأفعى. طلب من أحدهم أن يحضر له عصا أو غصن شجرة، وفعلاً أتى وبدأ يضربها حتى كسر عظام ظهرها، وحاولت الاختفاء سحبها من ذيلها قبل أن تختفي بين الأحجار ثم قتلها.

❖ **" كماشة " البعوض والمطر:**

ومن تشاد كذلك أثناء عودته إلى العاصمة من زيارة لبعض القرى قبل حوالي عشر سنوات، قرر سائق السيارة التي تقله أن يسلك طريقاً ترابياً أقصر مسافة، اختصاراً للوقت، وحتى يدركوا موعد الإفطار في العاصمة فقد كانوا حينها في شهر رمضان.

وما كادت السيارة تغادر الطريق المرصوف، حتى غرزت عجلاتها في التراب، فقد كانت تربة الطريق ناعمة جداً حاولوا بكل الطرق تحريكها، إلا أنها أبت، وتشبثت بالأرض ومما زاد الأمر سوءً هطول المطر الذي تدفق بغزارة لم تعرف لها المنطقة مثيلاً من

قبل، وتجمعت حولهم أعداد هائلة من البعوض الذي أعجبه مذاق دمائهم، فانكب عليهم يهاجمهم من كل حدب وصوب.

وأسقط في أيديهم وهم ضائعون بين المطر والبعوض، وعجزوا عن تحريك السيارة لفت حالهم انتباه عدد من شبان إحدى القرى المجاورة، فهرع إليهم حوالي عشرين منهم، يبدو عليهم أنهم من الجنوب، فجميعهم عمالقة الأجسام، حاولوا انتشال السيارة من الطين، ولكنها استعصت حتى على أولئك العمالقة.

بعد أن استنفذوا كل الحيل، اتجه أحدهم إلى شجرة وقطع جذعها بفأسه، وسحبوه إلى المكان الذي فيه السيارة، فأدخلوا الجذع أسفل السيارة، وبعد محاولات استمرت ست ساعات تمكن الشبان من تحريكها من مكانها وشكروهم، وأخبروهم بأنهم مسلمون، يؤمنون بإله واحد ليس له ولد ولا زوجة ولا مثيل، وإله قادر على كل شيء، وهو الذي يحيي ويميت، وينزل المطر من السحاب، ثم وزعوا عليهم (قمصان) تحمل شعار " لجنة مسلمي أفريقيا " وحدثوهم عن الإسلام ودعوهم إليه. وبعد هذا اللقاء جاءوا لزيارة مكتب الجمعية، وكل الظن أنهم قد دخلوا الإسلام.

❖ معضلة الماء التي تتفاقم:

إن نعمة الحصول على الماء النظيف الصالح للشرب لا تضاهيها نعمة، فالماء أساس الحياة، ولذا نحن نعيش في نعمة قد لا نشعر بها، خصوصاً أن الحصول عليه في عصرنا الحاضر لا يكلفنا سوى فتح الصنبور لينزل الماء زلالاً سائغاً للشاربين.

كانت هناك مأساة في قرية تقع شمال كينيا اسمها (توربي)، يعيش أهلها على رعي الإبل والماعز، تعرضت للجفاف لمدة ست سنوات متوالية،الأمر الذي اضطر أهلها، وخصوصاً النساء منهم إلى قطع مسافة تصل إلى عشر ساعات مشياً على الأقدام من أجل الحصول على كالون سعته عشرون لتراً من الماء .. وما يزيد النفس ألماً أن النسوة اللاتي

لديهن أطفال صغار يلجأن إلى حملهم على ظهورهن لمسافة لا تقل عن أربعين كيلو متراً، وقد يظل هؤلاء الأطفال من دون طعام طوال هذه الرحلة.

وقد أدى هذا الضغط على طلب مياه الشرب إلى تعطل الآبار العاملة في المنطقة مع عدم القدرة على حفر آبار جديدة بسبب كلفتها العالية، لأن الوصول إلى الماء في البئر يتطلب الحفر إلى عمق ألف قدم من سطح الأرض، يضاف إلى هذا الوضع المزري تلك المشاجرات التي تحدث بين البدو حول هذه الآبار في تسابق لسقي مواشيهم وإطفاء ظمئِهم.

وعندما زار **الدكتور عبد الرحمن** هذه المنطقة قبل عدة سنوات وأقام فيها مدة قليلة، لم يكن أمامه من خيار سوى الشرب من مياه الأمطار الملوثة – التي يجمعها الأهالي في حفر طينية، أسوة بطلاب معهده الشرعي الذين يشربونها، ويكفي أن تعرفوا أن هذه المياه تتحول مع مرور الأيام إلى موطن للديدان المتنوعة.

❖ حليب مع الذباب:

لكن أكثر اللحظات العصيبة التي مرت به كانت أثناء زيارته إلى قبيلة بدائية في وسط كينيا لدعوة زعمائها وأبنائها للإسلام، حيث قدموا له حليباً تعبيراً عن كرم الضيافة، في إناء لم ير أقذر منه في حياته، يحوم حوله الذباب وهم ينظرون إليه بدون أدنى حركة لإبعاده، لدرجة أن بعضه يسقط في الإناء فمنه من يسبح فيه، ومنه من لقي حتفه! وكان عليه التزاماً بآداب الضيافة أن يلبي الدعوة، وهو طبيب سابق ويجب عليه أن يشرب من إناء الحليب من غير أن يظهر أي اشمئزاز أو هرب من الموقف، حتى لا تكون دعوته إياهم إلى الإسلام محل اعتراض، مستفيداً مما سمعه عن مجموعة من المنصّرين الأمريكيين الذين زاروا إحدى القرى الأفريقية لدعوة أهاليها إلى النصرانية. فعندما عافوا الطعام الذي قدم إليهم ترحيباً بهم، رفض أهل القرية الاستجابة لدعوتهم والدخول في ملتهم.

لكنه عندما قام بزيارة إلى هذه القرية نفسها، ودعا أهالها إلى دين الله الحق فدخلوا فيه، حتى إذا عرف سبيلاً إلى نفوسهم طفق يبين لهم أن النظافة من الإيمان. نظافة البدن و المكان والملبس والطعام، والحمد لله الذي هداهم للإسلام. نعم، إن الدعوة إلى الله تعالى ليست بالأمر الهين في جميع الأحوال، لكن التحلي بالحكمة والرزانة وحسن التصرف في المواقف الصعبة كفيلة بتذليل الصعاب وتجاوز العقبات.

❖ اللحم المشوي المتبّل بالغبار:

عندما اجتاحت مجاعة شديدة تشاد ، قام **د.عبد الرحمن** بجولة في منطقة تقع شرقها، تستوطنها قبائل عربية منذ مئات السنين: كبني خزام وبني سليم وقبائل الرشايدة التي يسمونها: بني راشد.

لم تكن الطرق إلى هذه المناطق أو داخلها معبدة، ولكم أن تتخيلوا سحب الغبار الناعم التي تتكون بسبب حركة المرور.

كان سائق السيارة ملثماً كعادته، غير آبه بالحالة التي كان عليها **د.عبد الرحمن**، وهو يصارع الغبار الذي يداعب أجفانه ويستقر في أنفه خلال أسبوع كامل، و لم يكن طعامه غير اللحم المشوي المتبل بالغبار الناعم.هذا نوع من اللحوم المطبوخة أو المشوية المضاف إليها توابل(غبار) غير التوابل المألوفة! بعد هذا الأسبوع الحافل. استمتع بالاستحمام في حمام بسيط جداً، ليزيل ما علق بجسمه من الغبار الذي صار وحلاً.

أما الملابس فلم يكن يملك غير نفضها لأن كمية الماء كانت قليلة. والواقع أنه شعر بنعمة الماء والاستحمام في هذا الوقت من الشدة. النعمتان اللتان قد لا يشعر المرء بمتعتهما الحقيقية في وقت الرخاء!

❖ الشاي الملوث الشهي:

عندما حدثت مجاعة العام ١٩٨٤م في القرن الأفريقي ودول الصحراء الكبرى، كانت منطقة غرب السودان من أكثر المناطق تأثراً، وكان الوصول إليها إما باستئجار طائرة صغيرة تكلف حوالي ٢٠٠٠-٣٠٠٠ دولار أمريكي في الرحلة وإما بالسيارات، وبما أن الطريق غير معبد ومزعج لكثرة ما فيه من مجاري السيول والرمال والصخور، لذا فلا تسير فيه إلا الشاحنات الكبيرة التي تنقل البضائع والحيوانات والبشر جنباً إلى جنب، وتستغرق الرحلة أكثر من أسبوع وأحياناً أسبوعين، تشبع خلالها من الغبار الذي يغطيك ويحولك إلى شبح، وفي الطريق تتوقف للصلاة ويُمنح الإنسان فرصة لتناول شاي مصنوع من ماء ملوث، لكن من يشربه سوف يتلذذ به كأحسن شاي، والنوم غالباً يكون على الرمل وأحياناً في المقاهي التي قد توفر لك سريراً محلياً بدون فراش.

❖ رجموه بالحجارة ثم أنشدوا "طلع البدر علينا":

قام **د. السميط** بزيارة أحد مخيمات اللاجئين في الصومال أثناء فترة المجاعة، وهو في لباسه الخليجي. وعند وصوله نزل من السيارة ليجمع معلومات عن حجم المجاعة في المناطق المهجورة، تمهيداً لتقديم المساعدة. ولكن شيخ القبيلة استقبله بصورة تنقصها اللباقة، وكال له الشتائم لأنه على حد قوله، إن جاء **د.السميط** ليتفرج عليهم، لا لتقديم المساعدة لهم، بل اتهمه بأنه يجمع المال باسمهم، دون أن يعطيهم منه شيئاً، ثم طرده من منطقته شر طردة، ولحق به الأطفال والأيتام بالحجارة والشتائم، فلجأ إلى السيارة بحثاً عن الأمان، ولكنها لم تسلم هي الأخرى من الرجم، فطلب من السائق الإسراع بالفرار قبل أن يكسر زجاجها، كما حدث في مرات عدة في مواقف مشابهة.

بعد عصر ذلك اليوم، اشترى **د.السميط** حيوانين سمينين، وطلب من بعض دعاته أن ينحروهما بحضرة شيخ القبيلة أمام كوخه، ويوزعوا لحمهما على الفقراء والمساكين.

وعندما زارهم في اليوم التالي، فوجئ بالأطفال، يتوسطهم الشيخ، يستقبلونه بترحاب كبير، وهم ينشدون قصيدة: طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع .. والحقيقة أن عمل الخير يغير الكثير في النفوس، وأن للهدية أثراً سحرياً في توطيد أواصر المحبة وتآلف القلوب. وقد صدق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حينما **قال: "تهادوا، تحابوا"** (١).

❖ مطبخ دار الأيتام غرفة عمليات:

تخصص جمعية العون برئاسة **د.عبد الرحمن** كل سنة أسبوعاً لإجراء عمليات لمرضى العيون من المسلمين الفقراء بالتعاون مع الإخوة في مؤسسة البصر في الدول الأفريقية.

تُجرى العمليات تحت ظروف صعبة في فصل دراسي أو دار أيتام أوفي مكتب حيث لا توجد غرف عمليات. ورغم ذلك تكون النتائج مذهلة من حيث قلة أو انعدام التهابات العين بعد إجراء العملية. وبلغت مهارة أطباء الجمعية المتخصصين أنهم يجرون عملية إزالة **الماء الأبيض (الكتاركت)** من العين المصابة في ٨ دقائق فقط.

ذات مرة لم تشحن الخطوط الجوية المكلفة بنقل أدوات العمليات إلى النيجر طرداً فيه معدات إضاءة للعمليات الجراحية، فاضطروا لشراء قمع بلاستيكي وأدخلوا في قناته سلكاً كهربائياً وعلقوه في السقف مقلوباً، ليجروا بواسطته ٥٠٠ عملية جراحية.

مع العلم أن غرفة العمليات كانت مطبخاً في دار الأيتام. وحينها زارهم وزير الصحة، رفضوا دخوله (غرفة العمليات) إلا بعد أن يترع ملابسه ويلبس ملابس العمليات حفاظاً على التعقيم.

---

(١) موطأ الإمام مالك

ومن الطريف يومها أنهم لم يجدوا مكاناً مناسباً لقياس قوة الإبصار، فاستخدموا مرحاضاً غربياً ككرسي يجلس عليه المريض، ووضعوا خلفه لوحة فيها الحروف وأمامه مرآة.. وعلى هذا الأساس كانت تُصرف النظارات الطبية .! .

❖ العذاب صديق الرحلات

❖ السفر في الشاحنات:

لم يكن يتوقع **د. عبد الرحمن** أن يسافر مع مجموعة من الأبقار على متن شاحنة تجاوز عمرها ثلاثين سنة في رحلة دامت عشرة أيام عبر طريق ترابي.. لكنه كان "مسروراً" بألسنة رفيقات السفر اللواتي كن يلحسن رأسه من حين لآخر، كلما تراكم فوقه شيء من الغبار المتطاير من تحت عجلات الشاحنة " المريحة" ذلك أن البقر يحب في العادة أن يلحس الغبار الغني بالأملاح.

ولو كانت الشاحنات تتكلم لشهدت الشاحنات التي تبرعت بها إحدى الجهات لمكتبهم في موزمبيق على العبث الذي لقيته على أيدي المتمردين خلال سبعة عشر عاماً من خدمتها، فقد تم حرقها مرتين بصورة كاملة، وفي كل مرة كانوا يعيدون إصلاحها من جديد، ولازالت في الخدمة!

أما الشاحنة التي كانت محملة بالإسمنت لبناء أحد المشاريع فأحرقها العتاة الضالون من المتمردين ونجا بأعجوبة كل من سائقها وداعية مسلم ليواصلا سيرهما بسلام إلى المدينة، بعد اجتياز مسافة ثمانين كيلو متر سيراً على الأقدام.

و لم يحزن **د. عبد الرحمن** على الإسمنت أو الجوازات والوثائق الضائعة، وبقدر حزنه على كيس من السكر كان أمله أن يقدمه في مشروع إفطار الصائم لبعض الأهالي الذين لم يذوقوا طعم السكر منذ ثماني سنوات!

❖ السيارة العجيبة يحملونها وتحملهم:

كان د. السميط مع بعض الإخوة من جنوب أفريقيا في زيارة لمالاوي، وكانت سيارتهم ـارة عن حافلة من الحجم الصغير قديمة ومستهلكة.

اشتروها لأنهم لا يملكون قيمة سيارة جديدة. كان من عادتها أن تتوقف كل ٥٠ كيلو ر لتزويدها بزيت المحرك. وفي كثير من الأحيان ترفض عبور الأودية الصغيرة أو جداول الماء، ضطرون إلى حملها ورفعها والسير بها لاجتياز هذه العقبات.

وذات مرة سافر بها في رحلة طولها أكثر من ٢٥٠٠ كيلو متر وكان معه أولاده، فتوقفت عشرات المرات، إلا أنه لم ينسى فعلتها تلك بعد منتصف الليل في طريق يفصل مالاوي عن موزمبيق حيث كانت تدور حرب أهلية، ولا يجرؤ أي إنسان على السير في مثل هذه الفترة المرعبة من الليل بسبب العصابات المسلحة في هذا الطريق. ولهذا كانت العديد من الوحوش هي الكائنات الحية الوحيدة التي يصادفها في الطريق.

كلما توقفت السيارة لتزويدها بالزيت، يطلب من ولده صهيب أن يقف خلفها لمراقبة أي مسلح قادم ، أو خطر داهم.

بينما يقف هو في الأمام ومعه قطعة من الحديد. لكن الله تعالى أحاطهم بحفظه ورعايته، فوصلوا إلى هدفهم سالمين، والحمد لله رب العالمين.

❖ السفر إلى الأقاليم التشادية:

كان **د. عبد الرحمن** في زيارة إلى أقاليم – شرق ووسط – تشاد حيث وصلت تقارير عن مجاعة في بعض الأقاليم فالعشرون كيلو متر الأولى من طريقه إلى هناك كانت معبدة، ولكن سرعان ما ودع هذه الرفاهية التي يسميها الناس الطرق المعبدة، حيث بدأ السير في طرق ترابية رديئة للغاية تخترقها بعض مجاري السيول، وتغطيها أتربة ناعمة للغاية تدخل عينيه وأنفه، وإذا تثاءب أو فتح فم امتلأ بها.

كان **د.السميط** يستغرب كيف كان السائق يقود السيارة، فلا أثر للطريق و لم يكن يرى شيئاً عن اليمين ولا عن الشمال إلا إذا كانت هناك شجرة على بعد متر منهم. لم يستطيعوا أن يروا حتى السماء – وبقيت هذه الحالة عدة ساعات، لا يقطعها إلا التوقف للصلاة أو الطعام في قرية من القرى وأفضل طعام تجده عندهم اللحم المشوي الذي تكسوه الأتربة، وإذا أردوا شرب الماء كان لزاماً عليهم ألا ينظروا إلى لونه – كان الله في عون أهالي هذه القرى – وإذا أقبل الليل كانوا يفترشون حصيراً لكنهم كانوا يختفون تحته، وينامون على الأرض الخشنة ويجعلون الحصير غطاء بسبب البرد رغم الخوف من الأفاعي والعقارب.

❖ رحلة إلى جنوب مدغشقر:

وفي إحدى المرات حيث كان من الضروري أن يزور **د. عبد الرحمن** منطقة نائية في جنوب مدغشقر للإطلاع على مشاريع المحسنين والتأكد من حسن تنفيذها، وعقد دورات للدعاة والمسلمين الجدد.

سافر بالطائرة، وكان السفر مزعجاً، حيث تم تغيير رحلتها الداخلية، وانتقل إلى طائرة أخرى عبر مطارات بدائية، لكن الأدهى أن منطقة ماناكارا كانت مليئة بالبعوض الذي أبدى إعجابه بالدم الكويتي فحرص على أن لا يفارقه لحظة واحدة في الليل وخاصة مناطق الجسم المكشوفة مثل الساقين واليدين والوجه.

أمّا في النهار، فالأمطار حولت الطريق إلى أوحال جعلت مرور السيارة أصعب من مرور الراجلين مشياً، حيث تنزلق إلى اليمين فإذا حاول ضبط اتجاهها انزلقت إلى اليسار وهكذا.

و في طريقه إلى القرى النائية، لم تكن هناك مطاعم ولا دكاكين ولا مواد غذائية تُباع، وكان يبقى في حالة جوع حتى عودته إلى مكان إقامته منهكاً يتضور جوعاً إلى وقت متأخر من الليل.

و في يوم من الأيام خاض المستنقعات لمدة أربع ساعات كاملة حتى وصل بعد جهد كبير إلى القرية التي قصدها.

وفي إحدى الرحل كان المطر يترل وكانت الأرض طينية وكان قد استأجر سيارة لاندروفر قديمة، و قبل البدء بالرحلة اكتشف أن عمود الكرنك قطعة من السيارة مكسورة وعليهم تبديلها وقاموا بذلك، وبدأت الرحلة في طريق ترابي مليء بالصخور و الحفر ولو كان معهم لبن لاستخرجوا الزبدة منه خلال كيلو متر واحد نظراً للمطبات،

وهذه المرة كانت الأمطار غزيرة على غير العادة واستمرت عشر ساعات، وبدأت السيارة تتزلق عن الشارع وضربت بجنبها الأشجار المجاورة عشرات المرات، وفي كل مرة تتزحلق السيارة إلى جانب الطريق كانت الأغصان المليئة بالأشواك تدخل إليهم من النافذة، سأله رفاقه: إن كان يفضل العودة بسبب وعورة الطريق وخطورته، ولكنه تذكر أنه جاء من أجل مهمة لا بد من إنجازها.

وفي إحدى المرات التي غرزت عجلات السيارة في الطين وتوقف المحرك، أراد السائق أن يطمئنهم لأن الظلام بدأ يحل، فحدثهم ألا يخشوا بأساً، إن هناك قرية فيها مسلمون على جانب الطريق وعلى بعد ٩ كيلو متر، ولديهم إبل و أبقار يمكن أن يشربوا من حليبها، وتسعة كيلو متر عند السواحيليين قد لا تعني أي شيء، فتصور أن تسير على غير هدى وبدون طريق وسط الغابات و المطر الشديد و الوحل الكثير والشوك تسعة كيلو مترا!.

❖ السفر إلى بلدة برا:

كان يحاول الذهاب إلى بلدة برة عاصمة الإقليم و بسبب الوحل كانت سيارته اللاندروفر تتزلق وتستدير ١٨٠درجة عدة مرات حتى وصل، وكم كان سعيداً وهو يرى المسجد الأبيض يقام ويرتفع الأذان مردداً الله أكبر خمس مرات في اليوم.

وفي طريق العودة إلى مالندي كانت سيارته هي الوحيدة التي كانت تسير أو تتزلق سيراً حيث توقفت مرات عديدة وغطست في الوحل مرات وينزل هو ومن معه فيدفعونها حتى غطى الوحل نظارته وتجمعت كميات منه على طاقيته أما الملابس فحدث عنها ولا حرج. وكان يخوض في الوحل إلى الركب.

❖ السفر إلى موبالي:

وذات مرة اتجه في طريق وعر جداً أخذ منه حوالي ١٤ساعة إلى موبالي بمحاذاة الحدود الكينية الأثيوبية وهي منطقة جبلية.

كان طريقهم في وسط الغابات حيث كانت الحيوانات بأنواعها تمر قريبة منهم، ولأول مرة في حياة الدكتور يمر بقربه نمر ضخم الجثة، حتى أنه لو مدّ يده من السيارة ربما لمسته، وكان ينطلق بسرعة شديدة في رشاقة أسرع من السيارة التي حاول أصدقاؤه أن يزيدوا من سرعتها إلى ثمانين كيلومتر في الساعة خلال الأمتار القليلة التي شاركهم فيها النمر في طريقه، ولكنه كان أسرع منهم ثم دخل دغلاً من الأدغال واختفى.

❖ السفر إلى قبيلة الغبرا:

توجهوا بالسيارة إلى قرية نائية وأخبروا أن فيها زعيماً من زعماء الغبرا وتبعد عن الشارع الرئيسي الترابي ما يقارب من ١٠ كيلو متر وتحيط بها الصخور البركانية في كل مكان والقرية منعزلة يسكن فيها رئيس طائفة الأدول، وهى إحدى الطوائف الخمس التي تتبع قبيلة الغبرا، و الأرض كلها صخور بركانية، ما إن خرجوا من الطريق الترابي حتى

بدأت تقل سرعة السيارة تدريجياً، إذ أصبحت ٢٠ كيلو متراً في الساعة و تتناقص تدريجياً من كثرة الصخور وكبر حجمها، ثم أعلن جهاز التعليق في السيارة استسلامه وانكسر وتعطل، وأصبحت سرعة السيارة أقل من ٣كيلومتر في الساعة، فاضطروا إلى الترول، و

بدؤوا السير على الأقدام، وسرعان ما انقطعت نعل **الدكتور عبد الرحمن**، وبدأ يسير حافياً على الحجارة الكبيرة التي تترلق عليها الرجل.

لا يدري **د.عبد الرحمن** كم استغرق المشي ....ساعة أو ساعتين أو ثلاث، كل ما يدريه أن قدماه تلتهبان من الألم، ويحس مثل النار في أقدامه.

وعندما وصل إلى القرية قدموا له حليباً مع ماء كله طين، غلب فيه لون الطين على الحليب الأبيض، وكان لا بد من شربه.

❖ السيارة وفنون القفز السينمائي:

خرج **د.عبد الرحمن** في سيارته القديمة (طراز ١٩٧٢) من العاصمة الكينية متجهاً إلى مدينة ممباسا (٧ ساعات) مع زوجته وأولاده، وقرر ألا يسافر عبر الطريق الرئيسي، ولكن عبر طريق آخر يصل إلى الحدود مع تترانيا، ثم يعرج بك إلى محمية كبيرة جداً، ثم إلى طريق ممباسا، وذلك حتى يكتشف أية قرية أو قبيلة مسلمة على هذا الطريق، لكن لم يقدّر **د.عبد الرحمن** مسافة الطريق، وبدأ يسير من الصباح، ولم يكن معه سائق أو مترجم.

خرج من طريق معبد إلى طريق سيء جداً كله حجارة. فانقضى نهاره ومضى شطر من الليل، وهو يسير في الطريق ولا يشاهد فيه حياة آدمية إلا لماماً، ولكن رأى الكثير من الحيوانات المتوحشة.

وبما أنه لا يعرف المنطقة جيداً فقد تبين له أنه ضلّ الطريق، ومضى نصف الليل وهو وأولاده في سيارة قديمة، لا يعلم متى سينفد الوقود منها، ومما زاد الأمر سوءً، أنه اكتشف

أن الأخوة في الجمعية غيّروا إحدى عجلات السيارة بعجلة أكبر من باقي العجلات الأخرى، ولذلك كانت السيارة تقفز في كل مطب أمتاراً ذات اليمين وذات اليسار دون أن يستطيع التحكم بها.

بلغت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ولا شيء من حولهم إلا الوحوش، وفجأة خرج عليهم رجال مسلحون بأسلحة أوتوماتيكية وعليهم ملابس مدنية، فلم يشك **د. عبد الرحمن** في أول وهلة أنهم عصابة لصوص، ولكن في مؤخرة المجموعة رأى شخصاً يلبس ملابس عسكرية، أمره بالتوقف وسأله لماذا يسير في هذا المكان في مثل هذا الوقت، وهل هو مجنون؟! عرف بعد دقائق مرت كأنها دهر أن هؤلاء الرجال من الشرطة، وأنهم يبحثون عن عصابة مسلحة من اللصوص، ودلوه على طريق فندق يقضي فيه ما تبقى من الليل، وطلبوا منه عدم مغادرة الفندق إلا مع حراس أو بعد ظهور الشمس.

رغم الجوع الشديد، لم يبد أي من أولاده رغبة في الأكل.. فالكل يريد النوم .. استيقظوا لصلاة الفجر، وعرض عليهم صاحب الفندق أن يذهبوا لمشاهدة الحيوانات ولكن التعب لم يسمح لأي منهم بالموافقة على شيء آخر غير الفراش.

في اليوم التالي أكملوا سيرهم إلى مدينة ممباسا، ولقد أبدت السيارة من فنون القفز ما لم يشاهد مثيلاً له في أي فيلم سينمائي.

❖ تنور الخبز أرحم من قاعة المطار:

عند زيارته إلى المنطقة الصومالية من أثيوبيا لمتابعة أحوال المجاعة، ذهب إلى مدينة غوذي التابعة لهذه المنطقة لحجز تذكرة طيران مسبقاً، إلا أن رد موظفي الحجز كان باختصار: لا يمكن الحجز لكم إلا بعد وصولكم إلى صالة المطار، وأن عليكم الحضور قبل الإقلاع بعدة ساعات؟

احتج على ذلك، ولكن ما من مجيب، فهذا هو قانونهم.. !

ذهب إلى المطار الذي يتكون من عدة غرف، بعضها مبني بالصفيح وبعضها بالقش، والقاسم المشترك بينها كثرة الذباب والغبار.

وبعد إجراءات أمنية طويلة جرى خلالها تفتيشه عدة مرات، أدخلوه واحدة من هذه الغرف التي كانت أشبه ما تكون بأفران الشواء، وعلاوة على ذلك فهي مكسوة بطبقة من التراب الناعم، إضافة إلى أسراب من الذباب. بعد أن انتظر في غرفة الصفيح هذه أكثر من ساعة، تصبب العرق فيها منه، طلبوا منه أن يقف في طابور ليبدأ التفتيش من جديد،

وحدث هذا عدة مرات كانوا يقومون فيها بتفتيش كل قطعة ثياب، وفتح كل ما يمكن فتحه، حتى الأقلام التي يكتب بها فتحوها، وطلبوا منه أن يفتح لهم كاميرا الفيديو، ولما ذكر لهم استحالة ذلك، طلبوا التأكد من أنها فعلاً كاميرا فيديو، فأعاد تشغيل الفيلم لهم حتى صدقوا، كما طلبوا منه فتح إبرة الأنسولين وهو دواء السكري التي يجب أن يأخذ منه حقنة تحت الجلد خمس مرات يومياً وفتحوا ما يمكن فتحه وحاولوا أن يفتحوا ما تبقى من القلم أو الإبرة. و ما كان من **د.عبد الرحمن** إلا أن قررت استغلال هذه الفرصة ليبقى تحت أشعة الشمس التي رغم شدة حرها، كانت أرحم كثيراً من حرارة غرفة الانتظار.

وليس بغريب أن الغرفة لم يكن يوجد بها كراسي، إنما تحتوى فقط على ألواح خشبية موضوعة على قطعتين من الحجر تستخدم للجلوس، وعلى كل لوح منها كمية من التراب تكفي لتوسيخ عشرات الملابس، ورغم ذلك نبهوه إلى أنه قد حصل على مقاعد فحمد الله على هذه النعمة!

❖ درس من الطائرة البلجيكية:

قبل حوالي عشرين سنة، قام **د.عبد الرحمن** بزيارة إلى جمهورية رواندا، وبعدها غادر في طائرة بلجيكية إلى دار السلام عاصمة تنزانيا، وبعد إجراءات الجوازات التي أخذت وقتاً ليس بقليل ، خرج إلى قاعة استلام الأمتعة، وبعد انتظار طويل، اكتشف أن الحمالين في رواندا لم يتكرموا بإرسال (حقيبته) وفيها كل ملابسه إلا ما يرتديه على جسده، وحينها لم يكن هناك سوى رحلة واحدة تربط بين البلدين كل أسبوع، وكان معنى هذا أنه سيبقى أسبوعاً كاملاً بنفس الملابس في جو حار ورطب.

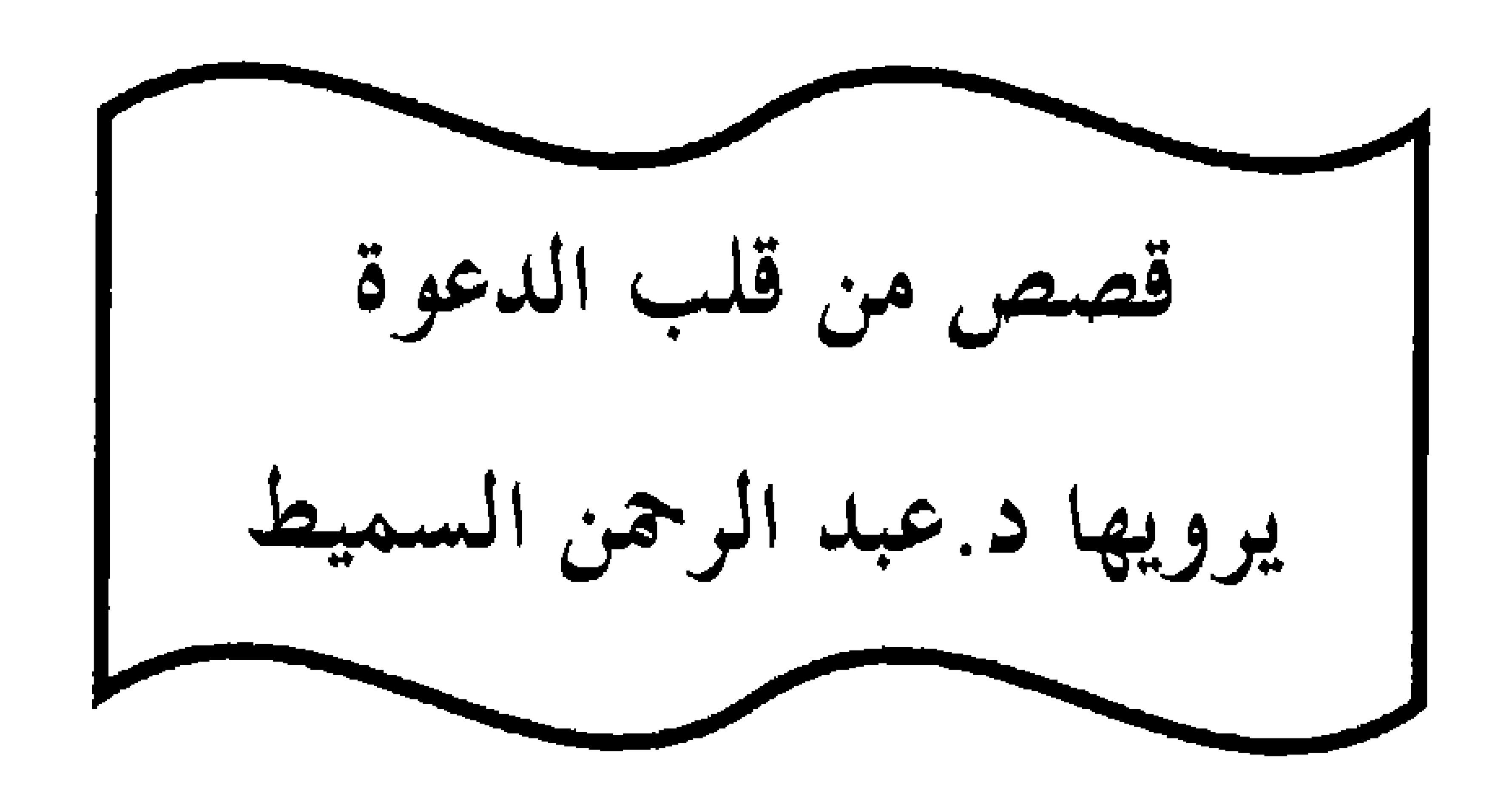
في البداية ظن أن لا مشكلة في الأمر، فالخطوط سوف تعوضه بشراء ملابس جديدة، ولكن الحقيقة كانت مريرة، فقد نسي أنه في تنزانيا الاشتراكية، في عهد الرئيس جوليوس نيريري بطل مذبحة العرب والمسلمين في زنجبار عام ١٩٦٤م، حيث لا توجد قطعة ثياب ولو بسيطة تباع في السوق، فلقد بحث كثيراً و لم يعثر على ما يحتاجه من ملابس داخلية ليغيّر التي يرتديها، فالجو حار جداً ورطب، ورفضت الخطوط حتى الاعتذار الشفهي.

انتشر الخبر وسط أبناء الجالية العربية في دار السلام فهبوا لإنقاذه. ولكن للأسف لم تكن الملابس الداخلية الجديدة متوفرة حتى عندهم، ورغم ذلك عرض عليه أحد الإخوة اليمنيين إزاراً، و أهداه أخ سوداني جلابية سودانية، شكرهما **د. عبد الرحمن** واعتذر عن قبول هديتهما رغم حاجته إليها.

تخلى عن فكرة شراء الملابس وطلب معجون أسنان وفرشاة ليكتشف أن الحكومة الأفريقية لم تسمح بدخول فرشاة أسنان واحدة للبلد، وبعد طول تقص اكتشف أن سفير السودان آنذاك لديه واحدة جديدة ومعجون فتصدق بهما عليه، بالإضافة إلى مشط الشعر حصل عليه من أخ عربي يسكن هناك، أما الملابس فقد كان يغسلها بنفسه كل ليلة ويتركها لتجف.

بعد أسبوع كامل وفي يوم سفره وصلت بفضل الله (حقيبته)، واستلمها بدون أي كلمة اعتذار وتعويض.

منذ ذلك الوقت وهو يحمل معه في (حقيبة) اليد ملابس داخلية وفرشاة أسنان... فأسبوع كامل بنفس الملابس، في جو رطب وحار، وفي بلد لا يتوفر فيه أبسط الاحتياجات، كان كافياً ليتلقى درساً لا ينساه.



❖ في رحاب القرآن ومجالسه:

- أصوات قبل الفجر

كنا ذات مرة قريباً من منطقة (وجير) في شمال (كينيا) منذ عدة سنوات، وقد أصابتها المجاعة.

كنا ننام في تلك الأماكن بعد صلاة العشاء مباشرة، إذ لايوجد ما يشغلنا (لا تلفزيون ولا غيره)، واستيقظنا ذات مرة مبكرين حوالي الساعة الثالثة ليلاً فقلت لأم صهيب: هل تسمعين هذا الصوت؟ قالت: نعم، وكذلك الأولاد وأرادوا الذهاب إلى مصدر الصوت، لكننا لم نصل إلا وقد انقطع الصوت، وفي الليلة الثانية تكرر الأمر، فذهبنا فرأينا ١٠٠ طفل ومعهم شيخهم يعلمهم القرآن وهم يقرؤون، فسألناه عن سبب ذلك، فقال: بعد صلاة الفجر يتعلم الأولاد في المدرسة العربية، وعند الساعة الثامنة صباحاً يذهبون إلى المدرسة الأجنبية (الحكومية)، فلا وقت لدي إلا قبل صلاة الفجر ...فتأثر أولادي، وقالوا: بابا نريد أن نساعدهم بأي طريقة، فقلت للشيخ: أريد أن تطلب مني أعظم طلب تريده..!! ففاجأني بطلبين:

الأول: إن لجنة مسلمي أفريقيا (وهو لا يعرفني من أنا)، قد حفروا لنا بئراً، إلا أنني أحتاج أن أنزل إلى قاع البئر عدة أطفال، حتى ينقلوا الأواني (الطاسات) أو الجلود التي تعبأ بالماء إلى فوق البئر وقد يتزلق ولد فيموت، وأنا أخاف على الأطفال، فلو أنهم ولو بعد خمس سنوات يأتون فيعطوننا(حبل)، ونحافظ على سلامة الأطفال؟!.

والطلب الآخر: أنه يوجد لدينا بعض الأطفال الذين لا يستطيعون الرؤية ليلاً إلا مع ضوء القمر، والقمر يغيب في أوائل الشهر و أواخره، فلا يستطيعون القراءة، فلو أن عندنا (كاز) أو(فانوس) يساعدهم على القراءة، وكما تلاحظ فإننا لا يمكن أن نعلمهم إلا في الليل!! وللعلم فإن هؤلاء الذين يتكلم عنهم عندهم نقص في فيتامين (أ) والحبة الواحدة سعرها أقل من فلس كويتي أو هللة واحدة سعودية !!

فقلت له: كم تحتاج في الشهر كله ؟! قال: من دولارين إلى ٣دولار في الشهر كله! وهذا زاد استغرابنا، فقد كانت طلباته قليلة جداً.

• الدسكي الصومالي والمحضرة الموريتانية

من اللحظات التي لا أنساها زياراتي لحلقات تحفيظ القرآن الكريم في أفريقيا التي يسميها الصوماليون الدسكي، ويطلق عليها السودانيون الخلوة، وأما الموريتانيون فيصفونها بالمحضرة، وفي غيرها من البلاد العربية الكتّاب.

في هذه الأماكن تجد الأطفال، رغم فقرهم وجوعهم، يحرصون على حفظ القرآن الكريم بالطريقة التقليدية القائمة على الكتابة في الألواح الخشبية، في جو من التعاون الجماعي، حيث يوزعون العمل فيما بينهم، فبينما يقضي بعضهم ساعات طويلة في توفير الطعام، يقوم الآخرون بتنظيف المكان وترتيبه.

• عقاب طلاب الخلوة وشيخهم

من الزيارات التي لا أنساها تلك التي زرت فيها خلوة من خلاوي القرآن الكريم في السودان قبل خمس عشرة سنة (الخلوة هي مكان يتعلم فيه الأولاد أو البنات القرآن الكريم ويحفظونه ويقيمون فيه عادة في ظروف معيشية صعبة).

ويومها رحب بنا شيخ الخلوة الذي يبلغ السبعين من عمره. ورغم حياة الزهد والبساطة والفقر التي يعيشها، جاءنا الشيخ بالعشاء فإذا به دقيق الذرة وبامية مطحونة حاولت أن أتذوقه تبركاً بطعام أهل القرآن، لكنني لم أستطع رغم الجوع، ومن حسن حظي أن المكان كان مظلماً رغم أنهم جاءوا بالمصباح احتفاءً بالضيوف، إلا أنه كان قليل الوقود ومن ثم كان ضوءه ضعيفاً، فلم يلحظ الشيخ أنني لم أتناول أي شيء رغم أنني أمد يدي إلى الطعام ، ثم أرفعها فارغة إلى فمي وأمدح الأيادي التي صنعته.

رأيت بعض الطلبة الصغار وقد قيدت أرجلهم بأغلال حديدية. أخبرني الطلاب الكبار أن هذا العقاب يطبق في حق الطالب الذي يهرب من الخلوة أو يتكاسل متعمداً عن حفظ القرآن. وهناك درجات من العقاب، أخفها وضع القيود في الأرجل مع ربطها بكره ثقيلة من الحديد يحملها الطالب بيديه عندما يتحرك (يتحرك ببطء شديد بسبب القيود) ثم أقصاها وضع القيود في الأرجل مع ربط الطالب بسلسلة في شجرة وسط الخلوة، وهي مخصصة لمن كرر الهروب عدة مرات ورفض حفظ القرآن.

وذكر لي أن الطلبة ينامون على التراب وكذلك شيخهم رغم أنه حصل على سجادة هدية من أحد آباء الطلبة يستخدمها للصلاة.

أعجبني أمران، أولهما: قدرة الطلبة على قراءة ألواح القرآن رغم الظلام الدامس وثانيهما: قدرة الشيخ الجالس في وسط الحلقة على التصحيح لكل طالب رغم أنهم

يقرؤون من سور مختلفة في نفس الوقت. رغم صعوبة النوم ولسعة البرد والجوع، إلا أنني أتمنى لو تكررت هذه الليلة مرة كل شهر.

- **المسايد والعلاج النفسي وروعة القرآن**

يعتبر (المسيد) من أبرز المؤسسات التربوية و التعليمية التي لعبت دوراً كبيراً في حياة السودان الثقافية والاجتماعية ، وساهمت في إرساء قواعد العلم والمعرفة في ربوعه.

فهو عبارة عن خلوة كبيرة يدرس فيها الطلاب و الطالبات.. طبقاً لنظام الفصل بين الجنسين – علوم القرآن الكريم بعد إتقان حفظه على يد شيخ يلقب بشيخ المسيد الذي يُعرف بزهده وورعه وضلوعه في مادة الدراسة وطرق التدريس. وقد جرت العادة أن يعيش شيخ المسيد حياة زهد وتقشف، فهو يفترش الحصير في جلوسه ومنامه، وربما نام على التراب أحياناً، أما طعامه وشرابه وملبسه، فمما تجود به أيدي أولياء أمور الدارسين، يأخذ منها ما يكفيه لمعيشته اليومية، ويتصدق بما زاد عن حاجته على ذوي الحاجة في المسيد.

لقد سبق لي أن زرت عدداً من هذه المسايد المشهورة في السودان: كمسيد (طابت) الواقع في غرب مدينة الحصا حيصا الذي أنشأه الشيخ عبد المحمود نور الدائم – رحمه الله – و مسيد (طيبة) الذي أنشأه الشيخ عبد الباقي العركي، و مسيد المكاشفي، و مسيد أم ضبان الذي أقامه الشيخ أبو عاقله، وألحق به مصحة نفسية على طراز حديث، وخصص لها داراً لإقامة الأطباء العاملين فيها.

وعلى ذكر هذه العيادة النفسية الملحقة بمسيد أم ضبان، يتبين لنا أن هذه المسايد لم يكن دورها محصوراً في تعليم النشء فحسب، بل لعبت كذلك دوراً هاماً في علاج

الأمراض العقلية والنفسية، ووفرت المأوى والطعام والشراب للمرضى والأطباء، واستقطبت المتخصصين من ذوي الكفاءات العالية في هذا المجال، ويجمع العلاج النفسي

في هذه المسايد بين طريقة الاستشفاء بالقرآن الكريم والأدعية، وطريقة الطب النفسي الحديث. فالعلاج والاستشفاء بالوسائل العبادية يتم عن طريق سماع المريض للقرآن الكريم نهاراً وليلاً مرتلاً بقراءة جماعية مؤثرة تحمل أصواتها كلمات الله ومعانيها الربانية إلى أعماق نفوسهم فتبعث فيها بإذن الله الطمأنينة والسكينة.

أما الطريقة الثانية، فهي طريقة الطب النفسي والعلمي الحديث عن طريق الاستعانة ببعض الأطباء المتخصصين الذين يزورون عيادات المسايد النفسية، لعلاج الحالات التي تستدعي تدخل الطب العلمي، أو تحويل أشدها إلى المستشفيات التخصصية. ونشير في هذا الصدد إلى الزيارات التي يقوم بها أحياناً أطباء أجانب إلى هذه المسايد، ويبدون فيها اهتماماً كبيراً بهذا الجمع الفريد من نوعه في علاج الأمراض العقلية والنفسية بين العلاج بالقرآن الكريم، والطب العلمي، ويندهشون للنتائج المذهلة التي تحققها هذه الطريقة.

ولازلت أذكر ليلة قضيتها في أحد هذه المسايد استمتعت خلالها بتلاوة القرآن الكريم الجماعية وأحسست بنشوة إيمانية غريبة، وكأن القرآن الكريم نفذ إلى جسمي، و لم يترك مكاناً فيه إلا أودعه كلمة أو معنى، فكنت منشغلاً به طول ليلي.

فلا أنا أحسست بخشونة الحصير الذي استلقيت عليه، ولا أنا تذكرت نعومة الفراش الوثير الذي تركته في الكويت، حتى نمت نوماً عميقاً، فما أيقظني إلا صوت المؤذن وهو يقول الصلاة خير من النوم.

• يرقصون فرحاً بسماع القرآن

اشترينا محطة إذاعة حكومة سيراليون وحولناها إلى إذاعة للقرآن الكريم، تبث باللغات المحلية، وعندما كنا نذهب يومياً لإعداد الإذاعة قبل أن تبدأ البث، كنا نمر بحاجز عسكري، وفي كل مرة كان الجنود يسألوننا: هل بدأ البث؟

فنجيبهم: في القريب إن شاء الله.

وفي أحد الأيام أوقفنا هؤلاء الجنود وسألونا كالعادة فأجبناهم: نعم، وهنا انفرجت أساريرهم و بدؤوا يتحدثون فيما بينهم باللغة المحلية، ثم أغلقوا الطريق أمامنا حتى لا ننصرف، ثم جاءوا بمذياع وطلبوا منا البحث عن موجة البث الخاصة بالإذاعة، فضبطناها لهم وسمعوا القرآن الكريم. لم يصدق بعضهم أن هذا هو القرآن الكريم الذي يبث من الإذاعة، ولكنهم بدؤوا يرفعون المذياع بأيديهم ويرقصون فرحاً.

استغربنا من هذا الفعل الغريب، أناس يرقصون وهم يسمعون القرآن؟ سألناهم عن السبب فقالوا: إن زملاءهم المسيحيين، كانوا دائماً يستهزؤون بهم، ويقولون لهم من المستحيل أن ينجح المسلمون في تشغيل الإذاعة، ولهذا السبب لم يتمالكوا أنفسهم من السعادة والفرحة عندما استمعوا لبث الإذاعة لأول مرة.

- **إذاعة الصفا للقرآن في توغو**

في توغو أنشأنا إذاعة الصفا للقرآن الكريم وبدأ الأخوة يذيعون القرآن الكريم فقط حتى يتموا إعداد الأرشيف للبرامج الأخرى، وجاءنا رجل مثقف خريج من الجامعة وهو مسيحي، وقال: إنه منذ أيام يستمع لإذاعتنا ولا يعرف ماذا نبث لأنه باللغة العربية، ويظن أنه أغنية أو نشيد، وقال:إن ما نبثه يدخل إلى أعماق قلبه، رغم أنه لا يفهمه، وطلب منا

أن نشرح له ذلك، فذكرنا له أن هذا هو القرآن الكريم! ويبدو أنها المرة الأولى التي يسمع فيها بالقرآن الكريم، فأخبرناه أنه الكتاب المقدس عند المسلمين، فطلب معلومات عن القرآن الكريم فأهديناه نسخة من القرآن مع ترجمة معانيه بالفرنسية فشكرنا وذهب وجاءنا بعد يومين غاضباً وقال إنني أستغرب منكم أيها المسلمون كيف يكون عندكم سورة قل هو الله أحد ، وتتركون شخصاً واحداً في أفريقيا لم يُسلم .. ! .

أسلم الرجل فأهديناه بعض الكتيبات الإسلامية وجاءنا بعد بضعة أيام ومعه زوجته وأولاده فقد أقنعهم بالإسلام وازداد حماس هذا الرجل كلما قرأ كتاباً جديداً عن الإسلام.

❖ **مسلمون ودعاة:**

- **السلطان هارون عبدو**

أسلم السلطان هارون عبدو رحمة الله عليه أحد السلاطين الكبار في جنوب تشاد، ولما حدثت عنده مجاعة، ولديه عشرين ألف من أتباعه، ذهبتُ إليه ذات مرة واحتاج الطريق سبع أيام بالسيارة، وهو طريق مزعج جداً، وعندما وصلت إليه، وقلت له: أريد أن أرسل لك عشر شوالات من الذرة وتوزعها، تصور عشرين ألف منكوب بالمجاعة ونرسل لهم عشرة شوالات فقط، هذه استطاعتنا.

وبينما كنت أكلمه فجأة رأيت قافلة من السيارات الشاحنات الضخمة قادمة ، وينزل منها قسيس ويتكلم مع السلطان، وأنا بعيد عنهم، ثم تكلمت مع السلطان بعدما ذهب القسيس، وسألته: ما القصة؟ قال: والله هذا أتى يشتريني، يعطيني عشرين ألف شوال، هل تعلم لِم اختارني؟ اختارني لأنني أسلمت.

- **سلطان الدينكا عنده (٧٦) زوجة**

لقد تبين لي من خلال تجربتي الكبيرة في القارة الأفريقية، أن تبليغ الدعوة الإسلامية فيها لابد أن يعتمد أساليب متنوعة تبعاً لتنوع مجتمعات شعوبها وقبائلها، ومن جملة هذه الأساليب التركيز على استقطاب بعض الرموز والشخصيات المهمة في جماعاتها، والتعرف عليها عن كثب لبناء علاقة مناسبة تكون بإذن الله مدخلاً إلى قلب الشخص المستهدف لإيداع كلمة الحق فيه.

وقد كانت لي في هذا الصدد علاقة صداقة مع السلطان عبد الباقي أكول أشهر سلاطين قبيلة الدينكا، حيث كللت هذه الصداقة بسلسلة من المساعدات لنشر العلم والتعليم بين أفراد قبيلته كخطوة أولى لتحريرهم من الأمية والجهل، وإلحاقهم بركب أحداث الحياة العصرية، إلى درجة أنه شكاني مرة إلى وزير كويتي بمناسبة زيارته للسودان بدعوى أنني رفضت مساعدته عندما طلب مني أسلحة عسكرية يدافع بها عن نفسه وعشيرته، فضحك الوزير من شكواه!

لكن المفاجأة التي أدهشتني أن السلطان كان قد طلب مني مرة بناء مدرسة، وقدم لي قائمة بأسماء التلاميذ الذين يرغب أولياء أمورهم في تدريسهم بهذه المدرسة.

فلما نظرت في هذه القائمة لاحظت أن حوالي ستين تلميذاً يحملون اسم والدهم: عبد الباقي أكول. فحسبت في أول الأمر أن الناس ينسبون أبناءهم للسلطان اعترافاً بمنزلته في قلوبهم، ولكني عرفت منه أنهم أبناؤه من صلبه. وأن هذا العدد إنما هو جزء من مجموع أبنائه البالغ عددهم مئة وستين ولداً وبنتاً، أنجبهم جميعاً من زوجاته البالغ عددهن ستاً وسبعين زوجة!

فأخبرته ساعتها أنه أصبح مسلماً، وأنه يحرم عليه أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات، وأن عليه أن يطلّق الباقيات، فتركني لينظر في هذا الأمر! وبعد مرور أيام، جاءني

مبتسماً وقال: الحمد لله! لقد تخلّصت من هذه المعصية التي كنت أجهلها، ففرحت ودعوت له بالتوفيق في حياته الزوجية المشروعة.

- **إسلام ابن بوسكا(إمبراطور أفريقيا الوسطى السابق)**

الاسم: اندو نغبورو كلود بوسكا.

الاسم الجديد: اندو نغبورو محمد أبو بكر.

العمر: ٣٨ سنة.

محل الإقامة: ثكنة الجيش في معسكر فيديل أوبرو.

ديانته السابقة: النصرانية على المذهب الكاثوليكي.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة أطفال ذكور.

المؤهل: خريج معهد إعداد مهندسي الكترونيات الطائرات بالمغرب.

اللغات التي يجيدها: لهجته المحلية (السنغو)، الفرنسية، الإنجليزية، والعربية باللهجة المغربية.

وظيفته الحالية: مهندس ميكانيك والكترونيات الطائرات الحربية في الجيش.

أعلن كلود بوسكا، وهو أحد أبناء إمبراطور أفريقيا الوسطى السابق بوسكا، إسلامه على يدي داعية لجنة مسلمي أفريقيا عبد الرحمن ينغورو.

وكان هذا الشاب الذي يعمل مهندس ميكانيك والكترونيات في سلاح الطيران بجمهورية أفريقيا الوسطى، قد تلقى تعليمه الجامعي في المغرب، حيث تعرف على الإسلام عن طريق أحد أصدقائه المغاربة الذي أهداه مصحفاً مترجماً إلى الفرنسية ودعاه إلى اعتناق الإسلام، إلا أنه لم يستجب في بداية أمره لهذه الدعوة.

يقول هذا الشاب المهتدي:

لقد كان ثمة هاجس دائم في داخلي حول الإسلام، دفعني إلى التعرف عليه من خلال الكتب التي توزعها لجنة مسلمي أفريقيا، ومن ثم حسمت أمري بعدما تأثرت بمحاضرة ألقاها الأخ يوسف دبوند(١) مرشد المسلمين بالجيش، حيث عزمت على الانضمام إلى

---

(١) يوسف دوند :الذي تأثر بمحاضرته هذا المهتدي {اندو نغبورو محمد أبو بكر} هو مرشد المسلمين في القوات المسلحة في جمهورية أفريقيا الوسطى، تلقى عدة دورات دعوية على يدي دعاة مسلمي أفريقيا. كما ادعى فريضة الحج على نفقة أحد المحسنين عن طريق جمعية العون المباشر، وهو متحمس للعمل الدعوي إلا أنه بحاجة إلى دراجة نارية لمساعدته في التنقل بين معسكرات الجيش من أجل العمل الدعوي (قيمة الدراجة ٥٠٠ دينار كويتي).

واحدة من دورات المهتدين الجدد التي تنظمها اللجنة في مسجد "لكوانغا" في العاصمة، وأعلنت أثناءها إسلامي على يدي الداعية عبد الرحمن ينغورو.

وبسؤاله عما لفت نظره في الإسلام، قال: بساطته وخلوه من أي تعقيد، وعلاقة المسلم المباشرة بربه من دون واسطة.

ورغم أن زوجته انفصلت عنه بعد إسلامه، إلا أنه عبّر عن سعادته باعتناق الإسلام، ونيته دعوة بقية أفراد أسرته إليه، ويذكر أن ثلاثة من إخوته مسلمون، وأسلمت كل من أخته التي تقيم في فرنسا، وعمته التي تبرعت بقطعة الأرض التي بني عليها مسجد أبي بكر الصديق التابع للجنة.

وقد طالب هذا المهتدي بإقامة معاهد دينية إسلامية في جمهورية أفريقيا الوسطى، لممارسة العمل الدعوي من خلالها وتعريف الناس بهذا الدين القيم.

• الشيخ موسى

زرت بعض القرى في بوركينا فاسو، واستقبلني زعيمها المسلم موسى كابولي الذي أسلم منذ ٢٨ سنة. والذي يتميز بمنزلة كبيرة بين قومه، يحترمه الأهالي ويقدرونه إلى درجة أن الكثير منهم تأثر بإسلامه فاعتنق الإسلام. كان مقيماً في قرية بيلا، ولكنه لم يكن ملتزماً بتعاليم الإسلام. إلا أن الجهود التي بذلها دعاتنا في إقناعه بضرورة الالتزام لمنهج دينه جعلته يندفع في تطبيق ما يعرف من أحكام اندفاعاً عملياً لاسيما في السنتين الأخيرتين.

مكناه من أداء فريضة الحج، ليعود بعدها وكأنه تخرج من دورة تدريبية دينية. فأصبح يدعو الناس إلى الإسلام، وهو جالس تحت شجرة عند بيته.

ومن مظاهر حرصه الشديد على الصلاة لاعتبارها عمود الإسلام أنه أحاط بقعة من أرضه بحاجز من الحجارة لتكون مصلى تؤدى فيه الصلوات الخمس لأول مرة في تاريخ

هذه القرية. وكان يتنقل بين القرى التابعة له على متن دراجته البخارية أو على ظهر حمار لدعوة الإسلام. وأذكر على سبيل المثال أن أحد عشر شخصاً من النصارى والوثنيين قد أعلنوا إسلامهم أثناء احتفال عودته من الحج. وعقب أول صلاة جمعة بعد حجه أسلم تسعة عشر مهتدياً، وراء كل واحد منهم أسرة.

ولاشك أنه لو توفر مسجد لهذه القرية لتضاعف عدد المهتدين والداخلين في الإسلام.

والغريب أنه عندما زرته في قريته استقبلني تحت شجرة كبيرة بالقرب من كنيسة كبيرة بنيت حديثاً ويمكنها أن تستوعب كل أهالي قريته على اختلاف دياناهم ومذاهبهم. تساءلت، وأنا أنظر إليها، عن الدوافع الحقيقية لبناء مثل هذه الكنيسة في قرية قد أصبح معظم سكانها من المسلمين.

وعندما حان وقت صلاة الظهر، سألت عن أقرب مسجد من هذا المكان فقيل لي: ليس هناك إلا مسجد طيني على بعد عدة كيلومترات من القرية مما اضطرني إلى الصلاة في عين المكان تحت شجرة مع أهالي القرية من المسلمين.

وقد قال الشيخ موسى أمام حشد من أهل القرية_ والدموع تملأ عينيه_:

والله إن زيارتكم، وأنتم قادمون من أطراف شبه جزيرة العرب، لتذكرنا بوفود رسول الله ﷺ إلى البلاد المجاورة لدعوة أهاليها إلى كلمة الحق. قال ذلك ثم دعانا للغداء في بيته، ولكنني اعتذرت بسبب الأعمال الكثيرة التي كانت تنتظرنا، وأبدى أسفاً شديداً لهذا الاعتذار، ثم قال وهو يودعنا: إن زيارتكم لنا فيها رفعة للإسلام والمسلمين.

ونحن نغادر القرية تعالت أصوات أهاليها وألسنتهم تردد كلمة واحدة: فهم لا يريدون مالاً ولا طعاماً ولا كساءً، وإنما يتمنون إقامة مسجداً في قريتهم واعدين بأن يتحول من بقي فيها من غير المسلمين إلى الإسلام.

• الداعية السبعينية !

في قرية في شرق كينيا، تعرفت على امرأة قروية بلغت من العمر ما يزيد عن ٧٠ سنة. أسلمت قبل سنة ثم جاءت إلى المدينة خصيصاً لتتعلم تلاوة القرآن الكريم في مركزنا. تعلمت في البداية الحروف الهجائية، ثم تعلمت القراءة حتى تمكنت منها، ثم ختمت القرآن الكريم تلاوة، بل حفظت منه الكثير، ثم عادت إلى قريتها تدعو الناس إلى الإسلام.

عندما زرناها، كانت فرحتها كبيرة إلى درجة لا توصف بقدوم عرب إلى قريتها لنشر الإسلام.

وكانت قد حدثت بعض النساء عن الإسلام، فأعلن إسلامهن بعد وصولنا القرية.

علمتني هذه المرأة الفاضلة أن العمر ليس عائقاً في وجه الدعوة إلى الله، وأن الفقر ليس عذراً مقنعاً للتقاعس عن أداء رسالة الإسلام، فلم يحل فقرها دون قيامها بنشر الإسلام.

اللهم احشرني مع أمثالها يوم القيامة، ومع النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

• قدر الله أتى به إلى هنا

سافرت إلى جنوب السودان ولفتت انتباهي مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم (كتّاب) لتعليم أبناء الجنوب في مدينة (واو). يدرّس فيها معلم ناصع البياض، سألت عنه فقيل لي: إن والده يوناني هاجر من أوروبا إلى السودان؟

وتساءلت في نفسي: ما الذي جعل هذا يعتنق الإسلام ثم يحرص على تعليم القرآن الكريم في هذا المكان النائي الفقير الذي يرفض أن يعمل فيه الدعاة المسلمون الآخرون؟ و لم أجد لهذا السؤال جواباً! سوى قدر الله الذي هيأ لكل منا أسباب حياته ومماته.

كلما تذكرت مدرسة هذا اليوناني القرآنية في مدينة " واو " وهو يدرس العشرات من الصبية والبنات تحت القش والمطر المنهمر الذي يبلل ألواح الأطفال ويختلط بالحبر الذي يكتبون به، أدعوا الله له بالتوفيق والنجاح في عمله، وبالأجر وحسن الثواب من رب العالمين، ولازلت أتذكر اللحظة التي امتزجت فيها دموع فرحي بقطرات المطر عندما قابلت هذا الرجل وهو جالس على الطين مع الأطفال يعلمهم كتاب الله.

بعد أن تركت المكان اكتشفت أن ثوبي أصابه شيء من طين الخلوة القرآنية، ففرحت به واحتسبته مساهمة رمزية مع أولئك الذين يفترشون الطين لتعلم القرآن الكريم.

- **عباد الرحمن**

قمنا قبل حوالي خمسة عشر عاماً، بذبح عدد من الأبقار في جمهورية رواندا بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وقد تولى عملية الذبح أحد الشبان الكويتيين، فكان غير مكترث بلباسه الأبيض الأنيق الذي تلّطخ بدم الذبائح بعدما عاد به من صلاة العيد وقد ملأ المكان عطراً وطيباً، و لم يكتف بذلك، بل أشرف كذلك على تقطيع اللحوم وتوزيعها في سيارة (الوانيت) على الفقراء والمحتاجين.

وفي خضّم هذه الأعمال التكافلية، كان أحد الأشخاص من غير المسلمين يراقب هذا الشاب من بعيد، مستغرباً وجود رجل أبيض في مثل هذه الهيئة الوقورة يتحمل كل هذه الدماء والتعب من أجل إطعام هؤلاء الناس، فلما سأل عن موطنه قيل له: إنه مسلم من دولة الكويت، فقال: أهو من كويت النفط، أم هناك كويت أخرى غيرها؟ فقيل له: إنه من كويت النفط والثروة، فقال: وما الذي دفعه لأن يتحمل كل هذا وهو غني، من أجل هؤلاء الفقراء؟

فقيل له: إنه دينه الإسلام الذي يأمره بأن يتواضع لله، ويكون من عباده الذين يمشون على الأرض هوناً، حتى يتقرب من هؤلاء الفقراء الذين يعتبرهم إخواناً له يحبهم في الله، ويبذل ماله وبدنه في سبيل خدمتهم.

فقال الرجل: إني والله أحببت هذا الشاب المسلم، وأحببت تواضعه، وأحببت دينه، وإني أريد أن أكون على ملّته، فأعلن إسلامه.

• إيمان طفل

وفي إحدى القرى أسلم صبي عمره ١٣ سنة ولكنه كان يخفي ذلك عن أسرته حتى لا يعاقبوه وهم المتعصبون لدينهم. رآه أبوه يوماً يستمع إلى درس في المسجد وهو خارج المسجد يستمع فقام أبوه بجره وضربه بعصا غليظة، حتى كسر ساقيه، ولكن هذا التعذيب لم يزد الفتى إلا إيماناً ويقيناً وثباتاً على الإسلام رغم صغر سنه.

• الطفل المسلم

في إحدى القرى رأينا طفل عمره تسع سنوات كان يرعى البقر ولما رأى ملابسنا العربية ترك البقر وجاء يركض وقال لن أترككم أبداً حتى تعلموني شيئاً من القرآن، قلنا له نحن عندنا برنامج معين للحفظ تعال واحضر، قال: إن أبي كلفني برعي البقر ولا

أستطيع أن أذهب لأي مكان للتعلم وأنا أسلمت وأريد أن أتعلم القرآن و لم يتركنا حتى تركنا معه داعية بقي معه كل النهار وحفظه ثلاثة سور من القرآن وعلمه الوضوء والصلاة واستأذن الداعية ليذهب مع الطفل إلى بيته.

وجاء الطفل والأب في الليل ليسلم الأب.

- **دار الأرقم بن أبي الأرقم والشيخ حسن**

هذه الدار يقيم فيها عشرون طالباً من طلبة العلم الفقراء الذين ينحدرون من قبيلة البورانا في منطقة غربتلا بكينيا.

يشرف على نزلاء هذه الدار ويعلمهم فيها مسلم معوق يدعى: **الشيخ حسن هلولي** يبلغ الستين من العمر ولا يملك مورداً مالياً ينفق منه على هذه الدار التي وهب لها نفسه وعمره لتحفيظ طلابها القرآن الكريم وتعليمهم التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والتربية الإسلامية الصحيحة ..

ورغم إعاقة هذا الرجل إلا أن داره تعد أكثر المؤسسات التربوية والدعوية نشاطاً في منطقته، من حيث تخريج الدعاة من أبناء قبيلة البورانا الذين يباشرون الدعوة إلى الله في القرى والأحياء المجاورة بعد تخرجهم.

- **الداعية الأفريقية (أم كلثوم)**

اشتهرت الداعية الحاجة أم كلثوم في قرية (واهيغويا) بصلاحها وتقواها وإلمامها بأمور العبادات في الإسلام، حتى أصبحت مرجعاً دينياً للرجال والنساء، حتى أن أئمة المساجد كانوا قد ذهبوا إليها يوماً يستأذنوها في حضور دورة دينية كنا قد عقدناها في هذه البلدة تحت إشراف دعاتنا، ولكنها اعتذرت لهم عن تلبية طلبهم، لأن هذه الدورة كانت للنساء فقط.

فتحت هذه الداعية بيتها للنساء ليل نهار ليتعلمن منها أحكام الدين، خاصة ما يتعلق بأحوال الحيض والنفاس و الاستحاضة، وصفة الطهارة، وهي تنفق من مالها الخاص على تعليم النساء إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

• بركة الوقف الدعوي الخيري

أسلمت امرأة فسميناها ميمونة: وبما أنها الوحيدة التي أسلمت داخل أسرتها، فقد كانت دائماً محط استهزاء أقاربها وجيرانها بدعوى أنها اعتنقت ديناً لا يؤمن به إلا الفقراء ولا يزيدهم إلا فقراً مقارنة بالنصرانية التي تقدم المساعدات المادية و المعنوية. إلا أن ميمونة تحملت السخرية تمسكاً بدينها.

وفي يوم من الأيام، زرنا قريتها، فوقع الاختيار عليها لإهدائها آلة خياطة، تم شراؤها من ريع الوقف الخيري، وهي الهدية التي لم تكن تحلم بها لأنها باهظة الثمن. فلما غيّرت هذه الهدية أحوال أسرتها، حظيت باحترام أفرادها، واستطاعت إدخالهم جميعاً في الإسلام، بل أصبحت تدعو نساء القرية إليه من موقع عزة وقوة.

إن تمكين مسلم جديد، ولو كان وحيداً في قريته، من وسيلة للعيش قد يغير نظرة غير المسلمين إلى الإسلام على أنه دين الفقر والتواكل، وبالتالي يزرع عقيدة التوحيد في قلوب لم تعرف معنى: لا إله إلا الله في حياتها فمثلما كانت آلة الخياطة (ماكينة) سبباً في دخول العشرات دين الإسلام في قرية ميمونة، كان الأمر كذلك في العشرات من القرى الأخرى بفضل بركة الوقف الدعوي الخيري.

• الشيخ يوسف

لازلت أذكر شخصاً التقيت به في صحراء الجنوب الغربي من السودان، كان يسير على قدميه وليس له هدف من رحلته إلا مقابلة شخص عربي يضع عقالاً على رأسه...! لم يكن يعرف شكل العقال حتى رآني فقال: هذا الذي رأيته في منامي – وقص عليّ قصته وقال: إنه حفظ القرآن الكريم في منطقة شمال كردفان في غرب السودان، ورأى في منامه ذات ليلة أنه سيقدم خدمة للعرب والأفارقة معاً.

فقرر المشي على قدميه حتى وصل إلى منطقة تلتقي فيها قبائل المصيرية العربية و الدينكا الأفريقية في جنوب جبال النوبة.

وهناك أسس خلوة لتحفيظ القرآن الكريم في ظروف صعبة: فقد كان المتعلمون فيها يأتون بماء الشرب من حفرة بعيدة يتجمع فيها ماء المطر. ورغم هذه الظروف القاسية التي تعرقل العمل الدعوي أسلم على يديه في خلوته أكثر من ١٦٠ شخصاً ، وتخرج منها المئات من حفظة القرآن الكريم ممن أسلموا من الوثنيين السابقين.

لم يطلب هذا الداعية مني شيئاً، لكنه كان يبحث عن عربي يلبس العقال استجابة لرؤياه لا أكثر. ولما آنست منه صدق العمل والإخلاص فيه، كلفت مندوباً لنا بمساعدته، وقدمنا له عشرة أكياس من الإسمنت لتبليط حفرة حفروها لحفظ الماء. وبعد مرور سنتين أهديناه عربة برميل يجرها حمار لنقل الماء.

لقد استمر الشيخ يوسف في عمله الدعوي حتى أصيب بملاريا شديدة بلغ أثرها مخه، فمات رحمه الله، لأنه لم يكن يملك ثمن العلاج الذي لا يزيد عن ١٠ فلوس كويتية!

ما أرخص حياة دعاة الإسلام، فمن نجا منهم من المشانق والسجون، لم ينج من الكوارث أو الأمراض!

• من سلالة الرعيل الأول

عندما كنت أتجول في غابات وقرى كينيا قبل ثمانية عشر عاماً، تعرفت على مسلم من قبائل الغرياما اسمه علي غاريسا، وقد أعجبت ساعتها بحسن حديثه، وغيرته على الإسلام والمسلمين، وحماسه المشتعل للجهاد والدعوة في سبيل إعلاء كلمة الله، لكن ليس على نهج الذين يحملون السلاح ويقتلون الأنفس البريئة بغير حق ويسفكون دماء المسلمين وغير المسلمين.

كان حديثه لي ممزوجاً بشيء من الحرقة والأسى، وهو يصف أحوال قبيلته التي يزيد عدد أفرادها عن مليون ونصف مليون نسمة، فقال: رغم أن غالبية هؤلاء الناس من

الوثنيين والنصارى، إلا أن الكثير منهم يصوم شهر رمضان، ويسمون أولادهم بأسماء إسلامية، ويمتنع النصارى فيهم عن أكل لحم الخترير خلال الشهر الفضيل، إلى غير ذلك من العادات التي تدل على إمكانية إسلامهم إذا وجدوا من يدلهم على طريق الإيمان الصحيح.

كان هذا مجمل الحديث الشيّق الذي لا يزال يتردد في مسامعي إلى اليوم. فكيف شرح الله صدر هذا المؤمن الصادق إلى الإسلام؟

إن قصة إسلامه باختصار شديد تعود إلى أيام طفولته حينما كان خادماً عند سيدة يمنية مسلمة اسمها مبروكة، وكان معجباً بصفات طلاب المدرسة الدينية في القرية وأخلاقهم الحسنة، وكان أشد إعجاباً باحتفالاتهم في المناسبات الدينية التي تختلف في ظاهرها وباطنها عن احتفالات الوثنيين والنصارى، لاسيما احتفالهم بالمولد النبوي الذي يرتدون فيه الملابس البيضاء، ويرددون المدائح النبوية باللغتين العربية تارة والسواحلية تارة أخرى، ترديداً موحداً بأصواتهم الهادئة الجميلة.

فكان لا يزال يتابع باهتمام بالغ هذه المشاهد المؤثرة حتى هداه الله لنور الإيمان فأعلن إسلامه بين يدي سيدته التي فرحت به فرحاً عظيماً.

لكن والده الوثني لم يعجبه إسلام ابنه وغضب عليه غضباً شديداً، وقيّده بالسلاسل ومنع عنه الطعام والشراب حتى يرتد عن دينه، ولولا أمه التي كانت تعطف عليه خفيه فتأتيه بشيء من الأكل والشراب لهلك جوعاً وعطشاً.

لكنه تمكن من الهرب واختفى أياماً ثم رجع بعدها إلى القرية، فلما علم أبوه برجوعه أمسكه ثانية ليخضعه لسلسلة من التعذيب الجسدي الذي لا يوصف، وكان الابن رغم ذلك متمسكاً بإسلامه ثابتاً على إيمانه.

وظل على هذه الحال من التعذيب حتى أتيحت له فرصة الهرب مرة أخرى، ففر بدينه هذه المرة إلى أوغندا المجاورة مشياً على الأقدام. وفي هذا البلد طلب العلم الديني

ودرسه على يد بعض الشيوخ حتى صار مدرساً، إلا أن الحروب الأهلية التي اندلعت هناك حالت دون استقراره فيه، حيث هاجر إلى شمال كينيا مشياً على الأقدام، مسافة تزيد عن ألف وخمسمائة كيلو متر، حيث اشتغل معلماً في إحدى المدارس الابتدائية إلى أن حصل على منحة دراسية في السودان لمدة خمس سنوات، عاد بعدها إلى بلده ليعمل داعية متطوعاً يأكل يوماً ويجوع آخر. وظل على هذه الحال حتى عيّن داعية بصفة رسمية في لجنة مسلمي أفريقيا، فأسلم على يديه الآلاف من أفراد قبيلته، وهو يتنقل بين القرى لدعوة الناس إلى دين الله الحق مشياً على الأقدام في أغلب الأحوال يوماً أو يومين أحياناً.

- **من لا يعرف الصقر يشويه (الشيخ عبد العزيز)**

في أوائل الثمانينات حدثت مجاعة في القرن الأفريقي (الصومال، جيبوتي، أثيوبيا، إرتيريا) فاتجهت إلى هناك للإشراف على أعمال الإغاثة.

بعد أيام اتصل بي العم عبد العزيز العلي المطوع رحمه الله، وأخبرني أنه رأى في منامه رؤيا، توحي بضرورة مشاركته شخصياً في أعمال الإغاثة، وكان عمره آنذاك يزيد على سبعين سنة، حاولت أن أقنعه بالعدول عن رأيه لصعوبة المعيشة في جيبوتي، لكنه أصر — رحمه الله — على الحضور والمشاركة بنفسه. فكانت مشاركته رحمه الله حافزاً لي كلما واجهتني صعوبات فيما بعد.

ومازلت أذكر أن تقدم عمر هذا الرجل الفاضل لم يمنعه من خدمة إخوانه من المحتاجين.

اشترى (رحمه الله) بعض الفواكه (برتقال، تفاح، موز)، ووضعها على المقعد الخلفي في السيارة، ليأكل منها وقت الغداء! لعدم وجود مطاعم في المنطقة، أثناء توقفنا كان الأهالي يقتربون من السيارة وينظرون باستغراب إلى الفواكه التي لم يروها طوال حياتهم، فمعظمهم يعيش في الصحراء،فكان يؤثر بعض هؤلاء على نفسه ويتحمل مشقّة السفر في

سبيل إيصال الخير إلى أصحابه؟ لكني تذكرت في نظراتهم المثل القائل: " من لا يعرف الصقر يشويه ".

• طفلة الأعوام الأربعة

في أوغندا زرنا مركزاً إسلامياً متكاملاً كنا نقوم ببنائه ورغم أن المشروع لم يكن قد اكتمل إلا أن الأهالي فرحاً به بدؤوا تدريس أولادهم على أرضه بطريقتهم الخاصة وهي طريقة عقيمة، وكانوا يصلون قرب المسجد الذي يبنى.

عند ذاك رأينا مجموعة من الفتيات، تقربت إليهن زوجتي أم صهيب مع بناتها وسألنهن بعض الأسئلة الشرعية وتبين أنهن لا يعرفن الإجابة، بل عندما طلبن منهن أن يقرأن الفاتحة لم تستطع واحدة منهن قراءتها، رغم أن معظمهن كن قد تجاوزن الثماني سنوات من العمر.

رأيتُ أم صهيب غاضبة عليّ أشد الغضب وتسألني: ماذا تعلمون هؤلاء الفتيات ..؟ إنكم لا تعلمونهن شيئاً هل تضحكون على المسلمين في بلادنا بادعائكم أنكم تقومون بالدعوة والتعليم في أوغندا، قلت لها بهدوء: هذا صحيح فالأهالي هم الذين يعلمون أولادهم بطريقتهم الخاصة، ولسنا مسؤولين عنهم قبل فتح المركز فنحن لم نفتح المركز و لم نبدأ أي نوع من التعليم ، لم تستطع هضم كلامي واستمرت غاضبة! .

بعدها انطلقنا إلى مركز عائشة رضي الله عنها، ودخلنا مسجد خديجة رضي الله عنها الملحق بالمركز، وقابلنا اليتيمات اللواتي انضممن إلينا منذ أكثر من ٧ شهور، وأعجبنا جميعاً بهن وبحفظهن للقرآن، وأشد ما أعجبنا طفلة لم يتجاوز عمرها أربع سنوات تحدثت بعربية فصيحة عن سيرة الرسول ﷺ وسردتها كاملة، ثم طلبنا منها قراءة عدة سور صغيرة كانت تحفظها، وسألناها بالعربية عدة أسئلة أجابتنا عليها، ضممناها إلى صدورنا وفرحنا بها وبباقي اليتيمات.

وأحمد الله على أن أولادي غيّروا فكرهم عني وعن عملنا بعد أن تأكدوا من قدرات مكتبنا في أوغندا على تعليم أيتامنا وأبنائنا وبناتنا هناك.

- **دعاة من الأطفال الأيتام**

عندنا ٤٠٠ يتيم في المركز، كل واحد من قرية نعلمهم مبادئ الإسلام وبعد أن يصبح عمر الواحد ٩ سنوات يخرجون للدعوة مع الدعاة ويمشون على أقدامهم إلى القرى، أحد هؤلاء الأيتام وعمره ٩ سنوات أسلم على يديه ٤ أشخاص، يتيم آخر عمره ٨ سنوات رأيت أن عنده علم في الدين أكثر من الناس العاديين فجعلوه إمام المسجد.

- أحد المهتدين الجدد حضر ثلاثة دورات عندنا، وبدأ يعمل في الدعوة، وأسلم على يده ٩٠٠ شخص.
- مهتدي آخر حفظ خمسة عشر جزءً من القرآن خلال سنتين.
- مهتدي آخر حضر بعض الدورات وأسلمت ٥ قرى على يديه.

- **هذا أملنا في أيتامنا**

كنت في مدغشقر والتقيت شخصاً مالاغاشياً ذا أصل عربي. قال: إنه درس القرآن الكريم في طفولته وحفظه، ولكنه كان – حسب قوله – كالببغاء يردد ما حفظ دون أن يعرف حتى معنى (قل هو الله أحد)، وحتى بعد أن كبر وأصبح رجل أعمال لم يعرف أن الربا حرام، وأنه لم يكن متأكداً من أساسيات الإسلام.

قال لي هذا الأخ: إنه دخل مسجداً في غرب مدغشقر ورأى أحد أيتامنا يقف بعد الصلاة ويقرأ حديثاً للرسول ﷺ ثم يترجمه إلى اللغة المحلية. ولما شرح لهم مضمون هذا الحديث الشريف، ضج المسجد بالمصلين الذين اغرورقت أعينهم بالدموع، وتدافعوا يحتضنون اليتيم ويقبلون رأسه ويمسحون عليه. قال لي هذا الأخ: إن مستقبل الإسلام والمسلمين في مدغشقر هو في أيتامكم وطلاب مدارسكم.

- **سموا مواليدهم الذين ولدوا في سنة لقائي بهم باسمي " عبد الرحمن "!**

خرجنا للدعوة في القرى الواقعة بشمال كينيا عبر طرق غير معبّدة، وليس عليها أثر لحركة المرور، إلى درجة أنك إذا سألت شخصاً عن الطريق إلى مقصدك دلك على طريق للمشاة. فالكثير منهم لا يعرف الفرق بين الطريق الذي يصلح لسير السيارة أو للراجلين.

وصلنا القرية التي كان أهلها على علم بقدومنا فلما حدثناهم عن فرائض الإسلام، ووضحنا لهم نقاط الالتقاء بين ما يؤمنون به وبين الإسلام، طلبنا منهم أن يسألوا عما لا يعرفون عن أمور هذا الدين، ولكننا استغربنا من بعض الأسئلة البسيطة.

وزعنا هدايا على كبار أهلها ثم أعلن بعضهم الإسلام، وبدؤوا يسألون عن مصير آبائهم الذين ماتوا على دين العادة كما يسمونه، قلنا لهم: إن من يموت على غير الإسلام، أمره لله سبحانه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. سألونا: عن الطريقة التي يكفّرون بها عما مضى من أعمارهم، فقلنا لهم: بالعمل الصالح ودعوة الآخرين إلى الإسلام، ومن علامات حسن إسلامهم أنهم قاموا ببناء مسجد من القش وطلبوا تعيين إمام له أو داعية يعلمهم مبادئ دينهم.

سألت عنهم بعد عدة سنوات فعلمت أن القرية كلها أسلمت ولله الحمد، ماعدا اثنين من كبار السن أسأل الله لهما الهداية.

ما حدث في هذه القرية هو نتيجة للتعامل بالحسنى والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، التي مكنتنا من استمالة قلوب هؤلاء الناس إلى دين التوحيد. إنهم لا يزالون يذكرون اسمي، وبلغني أنهم سموا مواليدهم الذين ولدوا في سنة لقائي بهم باسمي " **عبد الرحمن** " ! .

- **عندما انتخبوني ملكاً**

ما هو شعورك وأنت تتوج ملكاً؟ لقد سألت نفسي هذا السؤال حينما كنت في شمال جمهورية بنين البلد الذي أقمنا فيه مركزاً إسلامياً كبيراً على أرض منحت للمسلمين

هناك منذ عشرين سنة، ولكنهم لم يستطيعوا بناء أي مشروع عليها. فقمنا نحن ببناء مدرسة ودار للأيتام ومسجد ومستوصف ودار لتدريب النساء الفقيرات ومركز للتدريب على الكمبيوتر، وشعر الناس بأن هذا الخير الذي جاءهم من أرض الخير بشكل لم يتوقعوه ولم يحسبوا له حساباً، يستحق أن ينتخبوني (من أجله) ملكاً على المنطقة. أصروا على تتويجي وارتداء ثياب الملك التي استغرقت حياكتها شهراً كاملاً، ورغم رفضي الشديد لبستها أمام جميع الناس ثم قلدوني عصا الملك وأقاموا لي الولائم، وذلك لأن أحد المحسنين جزاه الله خيراً تبرع لإنشاء مركز إسلامي.

إن الناس هناك يحبون العرب، ولا يعتقدون أن هناك عربياً واحداً غير مسلم، كم هي جميلة الطيبة والبساطة عندهم عندما تنسيك ٨ ساعات من السفر إليهم بالسيارة، ومتاعب ومشقة الطريق.

❖ من معاناة المسلمين في أفريقيا:

- **النساء يغطين رؤوسهن بأكياس البلاستيك أثناء الصلاة**

خرج دعاتنا في جزيرة مدغشقر (رابع أكبر جزيرة في العالم) في رحلة دعوية تهدف إلى نشر الإسلام وسط قبائل المنطقة ذات الأصول الإسلامية، ومن المشاهد المؤلمة جداً في هذه الرحلات الدعوية التي شاركت في الكثير منها رؤية النساء اللواتي دخلن الإسلام منذ أكثر من سنتين، ولازلن يغطين رؤوسهن بأكياس البلاستيك أثناء الصلاة أو عند الخروج من المترل، بسبب فقرهن وعدم قدرتهن على شراء الحجاب الشرعي. قالت لنا إحداهن بعد أدائها الصلاة وخروجها من المسجد: لقد تأخرنا في العودة إلى الإسلام من جديد، ولكن عدم امتلاكنا ملابس جديدة لأداء الصلاة لم يحرمنا حلاوتها ولذة السجود لله فيها.

في إحدى القرى كان نسبة المسلمين الربع والربع الآخر مسيحيين والنصف الثاني وثنيين، تألمت كثيراً عندما رأيت ثلاث مسلمات يحافظن على صلاتهن في المسجد رغم

أهن لا يجدن ثياباً تسترهن، كانوا يلبسون الأكياس الفارغة التي يوضع فيها الذرة حتى يسترن عوراهن و يصلين في المسجد الصلوات الخمس.

- **مستعمرة المجذومين!**

قبل حوالي ١٢ سنة، أعلنا عن برنامج لعلاج مرضى الجذامLeprosy في السودان، بعد أن وصلتنا تقارير عن حالتهم من مكتبنا بالمنطقة، وبعد أن تبرعت إحدى الأخوات الفاضلات واسمها (أم هلال) بمبلغ لعلاج هؤلاء المرضى.

فقررت أن أسافر إلى إحدى قراهم في الجنوب، وعندما وصلت وشاهدت الوضع على الطبيعة أصابتني الدهشة ولن أنسى إطلاقاً ذلك المنظر الذي شاهدته في القرية، فالكثير منهم من دون أيدي أو أصابع أو أقدام بعضهم تشوه وجهه بالندبات والأورام، وهذا يزحف عدة كيلو مترات، وذلك يجهد في ربط آلة قطع الزرع بساعده ولا يملك إلا فمه يحاول به ربط الحبل، وهذه تحمل طفلها وتحاول أن تغسله وليس لديها يدان.

هذا المنظر لا أستطيع نسيانه، فقد تعلمت منه شكر الله على الكثير من النعم التي لا نفكر عادة فيها، فكم يشعر الإنسان بالسعادة عندما يعلم أن أحدهم شفي وبالتالي أصبح بإمكانه العودة إلى قريته (هذا إذا وافق أهل القرية على عودته)، وإلا ، فإنه سيبقى في مستعمرة المجذومين، وسيصاب بالعدوى مرة ثانية من المرضى الآخرين.

- **الأبقار تأكل فصول الدراسة**

من أكثر ما يؤلمني رؤية الفقراء الذين يبذلون جهدهم لتغيير واقعهم من خلال إمكاناهم الضعيفة ثم يفشلون.

لقد زرت منطقة جبال النوبة في جنوب غرب السودان، وأهلها بالمناسبة بسطاء وطيبون، ينتشر بينهم الكثير من طقوس الوثنية والسحر، ولكن الإسلام بدأ يأخذ مكانه في المنطقة تدريجياً في الآونة الأخيرة، لقد رأيت كيف يتعلم الأطفال في مدارس بسيطة،

يجلسون على التراب من دون كراس ولا سبورات. وفي كثير من المناسبات، رأيت فصولاً دراسية مصنوعة من القش، يتعين تجديدها سنوياً لأن الأبقار تأكلها. وهناك فصول أقيمت تحت الأشجار ولكن أغرب فصل رأيته في إحدى المدارس، كان تحت ظل الحائط. وحاولت أن أفهم كيف تستطيع المدرَسة تدريس تلاميذ هذا الفصل الذين يجلسون بالطول؟ وأين تقف في هذا المكان؟ لكنني لم أستطع.

كان الله في عون أبناء جبال النوبة ذوي القلوب الطيبة، الذين يحرصون على التعلم رغم فقرهم وقلة إمكاناتهم. ونشير إلى أنه يوجد في جبال النوبة ٦٥٠ مدرسة، منها ٤٥٧ مدرسة مبنية من القش.

• آه من الجهل

مآسي الجهل عند المسلمين في أفريقيا كثيرة ورغم وجود علماء كبار في بعض الأماكن، إلا أنهم غالباً ما يكونون منقطعين لعلمهم، لا يعرفون ما يجري خارج قراهم. وأعرف الكثير من كبار علماء النحو والصرف والفقه في الحبشة والصومال ممن يقل أمثالهم في البلاد العربية، ولكن ليس لهم أي علاقة بالدعوة الإسلامية وسط الناس، حيث يبقى الشيخ في بيته في القرية ويأتيه بعض الطلاب للدراسة على يديه ولكنه لا يفعل شيئاً غير هذا، وبعضهم لا يستطيع النطق بجملة عربية واحدة بشكل صحيح نظراً لانعزاله وسط أناس لا يتكلمونها، وفي قرى مجاورة لهم تجد الجهل في أبشع صورة.

ففي موزمبيق على سبيل المثال، نجد بعض المشايخ يحللون الزنا ثلاثة أيام كل سنة، وعندما تطهر المرأة في بعض القرى والمدن يجب عليها أن تذهب إلى الشيخ ليصب الماء عليها وتغتسل حتى يكتمل طهرها وإلا فإنها تبقى غير طاهرة.

وفي سيراليون مشايخ يفتون الأبناء بضرورة ميراث آبائهم من العشيقات. أي أن الابن يرث عشيقات أبيه، وعندما ينجبن منه فأن الأولاد يصبحون إخواناً له! .

• مذابح رواندا المروعة

من أبشع الذكريات في أفريقيا زيارة رواندا أثناء وبعد عمليات القتل الجماعي والتطهير القبلي الذي حدث عام ١٩٩٤ م، حيث قتل ما يقارب من ٩٠٠ ألف شخص معظمهم من الأبرياء، وأذكر أنني عندما ذهبت إلى الحدود التنزانية الرواندية وعلى الجسر الذي يفصل بين البلدين كنا نلقي بالحبال إلى المتطوعين الواقفين على الصخور وسط النهر لربط الجثث التي حملها النهر في طريقه إلى بحيرة فكتوريا، ويومياً كانت تستخرج مئات الجثث لدفنها.

بعد المذابح مباشرة قمت بزيارة رواندا مع عائلتي، وزرنا الكنائس ورأينا المئات من الجثث بعضها تحلل وبعضها أصبح هياكل عظمية، رأينا الجماجم والهياكل العظمية على جانبي الطريق... بكى أولادي كثيراً، وهم يرون جماجم الأبرياء وقد غرست فيها حربة أو سكين لم يستطع غارسها أن يخرجها، سرنا في القرى وسط الجثث التي لم يتمكن أحد من دفنها، استغربنا من وصول الإنسان إلى هذا المستوى من القسوة التي يعف عنها أشد الحيوانات افتراساً.

• حملات الختان

حملات ختان الأطفال — التي ننظمها في كثير من المناطق الأفريقية — إحدى الوسائل التي تساعد على نشر الإسلام في هذه المناطق حيث تقام الأفراح بهذه المناسبة، ونحن بدورنا نقوم باستغلالها دعوياً للوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع.

والطريقة التقليدية التي كان يجري بها ختان الأطفال كانت تسبب نزيفاً شديداً يؤدي إلى موت بعضهم أحياناً، أو على الأقل تسبب لهم الالتهابات والمضاعفات.

علماً أن ختان الطفل الواحد — على يدي طبيب — لا يكلف أكثر من ٤-٦ دولارات أمريكية. وبعد إجراء عمليات الختان نهدي الأطفال ثياباً نظيفة وبعض اللعب،

وكم ترى فرحتهم عظيمة ومظهرهم جميلاً في ملابسهم العربية، وبعضهم يلبس النظارات الملونة، وبعضهم يلف حول رأسه عمامة حمراء عليها هلال حسب عادات الناس هناك، هذا المنظر لا يستطيع الإنسان نسيانه.

آخر مرة حضرتها لإجراء هذه العمليات كانت في إحدى ضواحي الخرطوم، حيث قمنا بختان حوالي ٥٠ طفلاً من أبناء جنوب السودان وسط احتفالات جماهيرية.

وأذكر يوم قررنا أن نقوم بحملة ختان في موزمبيق، حيث المسلمون لا يستطيعون ختان أولادهم في المستشفيات بسبب ضعف الإمكانيات، ومنعهم قانوناً من ختانهم بعيداً عنها، فتبرع لنا إخواننا في جمعية الأطباء المسلمين في جنوب أفريقيا بتكاليف حملة يفترض أن نختن فيها ٥٠٠ شخص يسجلون للختان من أبناء المسلمين، ولكن الذين سجّلوا أسماء هم فاق العشرة آلاف شخص.

❖ قصص عن قبائل ومدن في أفريقيا:

- **موزمبيق المسلمة**

في أوائل الثمانينات قمت بزيارة إلى موزمبيق، وكان ذلك في عهد الحكومة الشيوعية التي جاءت بعد الاستعمار البرتغالي الكاثوليكي الذي استمر لأكثر من ٥٠٠ سنة، استعبد خلالها الناس، واستخدمهم بأسلوب السخرة الإجبارية، حتى مات مئات الألوف منهم، وجعل الرجال من المواطنين المحليين يهربون من بيوتهم وقراهم ليلاً، وينامون في الحقول، في أكواخ صغيرة جداً خوفاً من هجمات القوات البرتغالية عند الفجر لأخذهم قسراً للعمل مجاناً في مشاريع البرتغاليين.

خلال زيارتي كنت أمر على الكثير من القرى المسلمة، فأسلّم على أهلها فلا أسمع جواباً، لأن أياً منهم لم يكن يعرف كلمة "السلام عليكم "، بل وإن غالبيتهم لم يكونوا

يعرفون شهادة لا إله إلا الله، تأملت وضعهم وبكيت بحرارة، حتى رزقنا الله باثنين من الأطباء الدعاة، قاما بتدريب شخص من كل قرية وعلماه مبادئ الإسلام واللغة العربية، ورغم الحرب الأهلية التي كانت غير بعيدة عن مكانهما، إلا أنهما استمرا في الدعوة والتطبيب.

انشغلت بعملي في دول أخرى في أفريقيا وزرت موزمبيق مرة أخرى بعد عدة سنوات، وفوجئت بأعداد غفيرة من الأطفال يستقبلونني في معظم القرى وهم يرددون: " طلع البدر علينا من ثنيات الوداع " بلغة عربية سليمة، ووجدت الكثيرين منهم يحفظون جزء عم، ويعرفون أركان الإسلام والوضوء والصلاة، لم أصدق أنهم سكان القرى نفسها التي زرتها من قبل، والتي لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام.

وللعلم فإن هناك آثاراً إسلامية في موزمبيق تدل على أن المسلمين والعرب قد سكنوا هذه المناطق منذ أكثر من ١٠٠٠ سنة، ويدعي وزير العدل الموزمبيقي وهو مسلم: إن أصل اسم موزمبيق هو موسى بن بيك، وعملتهم لازالت حتى الآن تسمى مثقال.

- **لغة الإسلام في شمال موزمبيق**

زرت شمال موزمبيق لأول مرة قبل حوالي ١٩ سنة، ذهبت إلى أحد المساجد، وعندما حاولت الحديث مع المسلمين وهم قلة، سألني بعضهم قائلاً: لماذا لا تتحدث باللغة السواحلية؟ فأخبرتهم بأنني أعرف هذه اللغة قليلاً، ولكنني لا أجيدها، فقالوا: إذن أنت غير مسلم، لأنه لا يعقل أن تكون مسلماً ولا تتكلم السواحلية، قلت لهم: إنني عربي، وأنتسب إلى الأرض التي تقع فيها مكة المكرمة، وأتكلم اللغة العربية وهي لغة القرآن ولغة

رسول الإسلام. ولكنهم لم يقتنعوا بسهولة، وأنزلوني من المنبر لأنه لا يجوز لشخص غير مسلم مثلي أن يخطب فيهم في المسجد.

عرفت بعد ذلك أن الدعاة الناطقين بالسواحلية من تنزانيا وزنجبار هم الذين نشروا الإسلام في هذه المنطقة، لذا يعتقد الأهالي أن هذه اللغة هي لغة الإسلام، ويجهلون أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم...

• كعبة مدغشقر تنافس مكة بسبب الجهل

هل سبق أن سمعتم بكعبة بنيت في مكان آخر من الأرض، وأناس يحجون إليها للعبادة على غرار شعائر الحج في الإسلام؟

لقد قمت بزيارة إلى هذه الكعبة التي أقيمت في قرية من قرى جزيرة مدغشقر، تسمى (تسارارانومبوني) تابعة لإقليم ماجونقا، تحجها قبائل (السكالافا) الوثنية في شهر تموز من كل عام ، عندما يصبح القمر بدراً .

لقد توجهنا إلى هذا المكان للتعرف على شعائر الوثنيين في حجهم هذا، ودعوهم إلى الإسلام. فكان علينا أن نقابل المرأة المسؤولة عن أعمال الكعبة، من حيث تيسير الخدمات،وشرح طقوس الحج للحجاج الجدد.

استقبلتنا هذه السيدة في مقرها بحضور أعوانها، وأخبرناها بأننا قدمنا من دولة الكويت – وبالطبع هي لا تعرف أين تقع – وأننا من أهل الأرض التي تقع فيها مكة المكرمة وبيت الله الحرام الكعبة الحقيقية، وأننا جئنا إلى هذا المكان نيابة عن المسلمين في الديار المقدسة للاطمئنان على إخوانهم هنا. وتوليت شخصياً إعطاءها والحضور نبذة موجزة عن تاريخ أسلافهم المسلمين في إشارة إلى أن ما يمارسونه من عبادات اليوم، إنما هو راجع إلى أصول إسلامية، وطلبت منها زيارة كعبتهم.

قصة بنائها:

يروى أن شخصاً يدعى (راندريا منديسو أريفو) ينحدر من أصل عماني أو يمني هو الذي نشر الإسلام بين قبائل الساكالافا، ولكنه توفي قبل أن يتمكن الدين الجديد من غالبية أفرادها. وحدث مرة أن توجه وفد منها إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج على متن سفينة، فهبت عليها عاصفة فغرقوا جميعاً. ففكروا عقب هذا الحادث المؤلم في بناء كعبة محلية يحجون إليها كل عام بديلاً عن حج بيت الله الحرام في الديار المقدسة.

وقد لقيت هذه الفكرة آنذاك استحساناً من المسلمين لضعف إيمانهم، وجهلهم الكبير بحقائق الإسلام وشعائره وتعاليمه.

ويروى أنه أعيد بناء هذه الكعبة سبع مرات في سبع أماكن مختلفة حتى استقرت في مكانها الحالي بالقرية المذكورة.

عندما سمع أفراد أسرتي بقصة هذه الكعبة، تاقت نفوسهم إلى زيارة هذا المكان لمشاهدة هذه الطقوس عن كثب، غير أننا لم ننعم بهذه الزيارة لأول مرة لأنها وافقت يوم الثلاثاء الذي تحرم فيه زيارة الكعبة، لنعود بعدها في يوم آخر.

لكن القيمين على أعمال الحج منعوا زوجتي وبناتي من دخول المكان لأنهن رفضن نزع الحجاب. فلما قابلت أميرهم وأخبرته بأننا مسلمون نرغب في زيارة هذه الكعبة، وأن الأهالي منعوا بقية أفراد أسرتي من ذلك، دون أن أذكر له موضوع الحجاب، أمر بعض أعوانه بالسماح لزوجتي وبناتي بزيارة المكان، فما كدن يدخلنه حتى استشاط الناس غضباً، وعلا صراخهم في السماء احتجاجاً على الحجاب، وهموا بالفتك بهم. دب الرعب في قلب أم صهيب وبناتها، ففرت بهن نحو السيارة للنجاة بأرواحهن ونحن نصد الجموع الغاضبة، والأمير غاضب كذلك وهو يأمر بصدهم دون جدوى. ولولا رحمة الله وعنايته لأصبحن صرعى تحت أقدام الغاضبين.

- **لا يجوز دخول الإسلام إلا بإذن من مكة .. هكذا ظنوا**

في قرية بيسغا وبعد سلوك طريق ترابي وسط الأمطار، كانت سيارة دعاتنا في الوحل وسط الأمطار الغزيرة، غاصت السيارة في الطين أكثر من مرة ، استنجدنا بشباب القرى لإنقاذنا ودفع السيارة، حتى وصلنا القرية.

جلس الدعاة معهم على الأرض فاستغرب الأهالي من تواضع الدعاة، الذي لم يألفوه من الآخرين. فوجئنا بأن الأهالي يؤمنون بكذبة تقول: إنه لا يجوز أن تدخل في دين الإسلام إلا في مكة المكرمة بعد أخذ الأذن (لا ندري ممن يأخذ الإذن في إسلامه)، شرحنا لهم الإسلام ومبادئه، فرح الأهالي وأسلم زعماء ثلاثة قرى ومعهم عشرات الناس، يذكر لنا أحد الزعماء واسمه تيكصوبا أنه هو كاهن القرية، وأنه المسؤول عن الأصنام ورعايتها وتقديم القرابين لها، وذكر أن إسلامه كان معجزةً ربانية، وخارق للمعروف في المنطقة، حتى أنه لا يمكن لأي شخص أن يعرض الإسلام على الزعيم، لأن الناس كانوا يعتبرون ذلك بمثابة حكم بالإعدام، لأنه هو المسؤول عن الأصنام.

- **خطيب الجمعة في مالاوي يدعو للسلطان العثماني!**

أدركني صلاة الجمعة وأنا في بلدة نكاتابي في شمال جمهورية مالاوي. فاتجهت إلى المسجد الوحيد – الآيل للسقوط – في القرية، ثم صليت تحية المسجد وجلست لقراءة القرآن، إلا أنني لم أستطع أن أقرأ كلمة واحدة لأن أحدهم وقف وبدأ يهذر بكلام لم أفهم منه كلمة واحدة، بعدما عرفت أنه يفترض أن ما قاله هو حديث باللغة العربية ..! التي لا يفهمها هو ولا أي من المصلين – على اعتبار أنه جزء من طقوس صلاة الجمعة عندهم، بعد ذلك سمعنا جلبة وضجة خارج المسجد، وما لبث أن دخل شاب يحمل عصا بيمناه و باليسرى كتاباً قديماً ممزقاً لخطب الجمعة بالعربية، ويردد أهازيج، ويذكر الله في كل خطوة. ثم يتوقف وخلفه الإمام، وقد لبس فستاناً نسائياً أحمراً حتى وصلا إلى المنبر،

فصعد الإمام وظل الشاب أسفل المنبر، ثم بدأ الإمام الخطبة التي يفترض أنه قرأها بالعربية، لكنني لم أفهم موضوعها إلا أنني فهمت في آخرها أنه يدعو للسلطان العثماني عبد العزيز سلطان وخاقان البحرين، كم شعرت بالألم والحسرة لأن المسلمين العرب قصّروا في حق إخوانهم في كثير من الأماكن.

• الوصول إلى ممباسا

وصلنا إلى ممباسا بعد حوالي سبع ساعات و نصف، وهي المدينة ذات التاريخ العريق، المدينة التي أحرقها النصارى البرتغاليين ثلاث مرات وقتلوا في كل مرة المئات إن لم يكن الآلاف من أهاليها واستباحوا الحرمات فيها، حتى جاء العمانيون و حاصروهم لستة أشهر حتى مات بعض البرتغاليين جوعاً واضطروا إلى الاستسلام للعمانيين بقيادة عائلة المزروعي الذين استولوا على قلعة عيسى المسيح.

هذه المدينة التي حكمها العرب المسلمون حتى عام١٩٦٠ م أي قبل عام الاستقلال بقليل، وكان يحكمها حاكم عربي يسمى الوالي، لقد فقدت الكثير من طابعها الإسلامي منذ الاستقلال حتى الآن... فقد انتشرت الكنائس كما انتشرت البارات وبدأت تختفي الأحرف العربية وأصبحت من أعلى المناطق في كينيا إصابة بمرض الايدز الخطير، بسبب تشجيع الحكومة للسياحة، ويكفي ذلك مؤشراً على ما وصل إليه من انهيار أخلاقي، ولكنني أعتقد أن من الصعوبة بمكان أن يزال الطابع الإسلامي تماماً ....

ومن المؤلم أن يعلم الإنسان أن المدينة التي تبلغ نسبة المسلمين فيها حالياً أكثر من٨٥٪ إلا أن نسبتهم بين طلبة المدارس ٤٨٪، أما نسبة المسلمين بين المدرسين في مدارس ممباسا الحكومية هي أقل من٩٪، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- قمنا بزيارة للأيتام وهي زيارة مليئة بالفرح والحزن في آن واحد.

فرح، لأن الكثير من أيتامنا حصلوا على درجات عالية جداً في المدرسة الحكومية وكانت تلاوتهم للقرآن جميلة، والجانب المؤلم في هذه الزيارة لقاؤنا مع بعض الأيتام الذين لم يستطيعوا أن يتلقوا أي علم في المدرسة أوفي دار الأيتام بسبب تخلفهم العقلي و قد كان السبب في هذا التخلف كما ذكر طبيبهم المعالج سوء تغذية شديد في مراحل الطفولة منعت نمو قدراتهم الذهنية.

وقد تم إعداد برنامج الأكل الأسبوعي بواسطة شخص مختص بالتغذية وبرنامج الأيتام اليومي يبدأ بصلاة الفجر في المسجد ثم تلاوة القرآن ثم الإفطار وغسل الأواني و تنظيف الغرف ثم الدراسة الحكومية والمذاكرة وبعض الدروس الدينية بعد المغرب.

تذكرت سؤال الله لنا عن هؤلاء و كيف تركناهم يعانون مدى الحياة لأنهم لم يجدوا لقمة العيش، أستغفرك اللهم يا رب.

نسيت أن أذكر أنني حملت أصغر الأيتام سناً و طلبت منه أن يذكر أغلى أمنية عنده فقال: أريد أن أذوق البسكويت الذي أراه في أيدي الأطفال الآخرين و لم أذقه في حياتي.

- قبيلة الغبرا

الغبرا قبيلة يبلغ عددها حوالي ٨٠ ألف نسمة معظمهم من البدو يسكنون في شمال كينيا و جنوب أثيوبيا ويحتفلون بعيد الأضحى و يسمون شهر ذي الحجة ...و شهر عرفة ....مستخدمين هذا الاسم العربي ينشدون و يغنون عن نور الله ومكة المكرمة، لكنهم لا يعرفون ما هي مكة أو المدينة، كما أنهم لا يعرفون معنى نور الله. و في ليلة الجمعة يحتفلون بالذكر، وأسماء أيام الأسبوع عندهم كما هي باللغة العربية الفصحى، السبت والأحد والاثنين ......أما الجمعة فقد تم تحريفها إلى كمات.

ويعتقد أهل قبيلة الغبرا أنه كان عندهم كتاب مقدس ولكنه ُفقد، وعندهم مكان للصلاة اسمه ..نابو ...أو مسجيد ..و يخلعون نعالهم قبل الدخول لهذا المكان، ويؤذنون خمس مرات في اليوم و يقولون في آذانهم ..كاليو ...كاليو ..أي تعالوا تعالوا باللغة الصومالية.

- **مناطق الأقزام**

إن الزيارات التي أقوم بها إلى مناطق **الأقزام** في رواندا وأوغندا وزائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية الحالية) وأفريقيا الوسطى تترك أثراً كبيراً في نفسي، فهؤلاء البسطاء هم سكان أفريقيا الأصليون. رغم أن حقوقهم ضائعة في أغلب الأحوال، حيث يستغلهم الآخرون أسوأ استغلال بالعمل في مزارعهم مقابل الحصول على المخدرات والشاي فقط!

الأقزام يعيشون في الغابات ولا يختلطون بالناس، فقررت الذهاب إليهم، وأن نبدأ العمل وسطهم لأن هؤلاء هم السكان الأصليون فقط ما عداهم كلهم أجانب.

في البداية كانت القضية صعبة، أذكر في يوم من الأيام ذهبت إلى بعض الأقزام وجلست أكلمهم عن الإسلام، وكان يترجم لي أحد الأخوة ثم سألتهم: ألا يحب أحد أن يسأل أو يحب أن يسلم، ولا واحد أسلم، عندنا داعي اسمه عبد الرحمن ينجورو..

من أهل المنطقة، كان تاجر ألماظ وطلق التجارة.. كان غنياً جداً وبيته الآن مفتوح، كلما أسلم أحد ما، يسكن عنده ثلاثة أشهر ثم يذهب، عنده خلوة للقرآن، يعلم القرآن ويعلم مبادئ الإسلام، وتجد عنده مسلمين أشكال وألوان ولكن هذا الرجل رباني عنده طرق غريبة في الدعوة، بمجرد وصلت للسيارة.. التفت وإذ أراه رافع يديه بأشهد ألا اله إلا الله محمد رسول الله، والأيتام (الأقزام) كلهم يرددون معه، فقلت له: تعال يا شيخ عبد الرحمن أنت ماذا فعلت؟ أعندك سحر؟ فقال: لا، قلت: لماذا إذاً أسلموا على يديك و لم يسلموا على يدي؟ قال: المشكلة أنتم تريدون تعليمهم الإسلام كله في يوم وليلة. أما أنا

أقول لهم: هذا الله وهو خالق كل شيء والله سبحانه وتعالى يستحق العبادة، ويستحق أن نعترف فيه فيسلمون عندي، ثم بعد هذا أعمل لهم دورات وأزورهم وأرسل لهم بعض تلاميذي ويعقدون لهم دورات.

في يوم من الأيام ذهبت إلى قرية من قرى الأقزام وكان قد أسلم فيها مجموعة من الناس وأقمنا فيها مسجداً فاستأنسوا لما رأوني أول خليجي يأتي عندهم وأتوا لي بعسل معبأ في ورق شجر..لكنه كان مليئاً بالنمل.

هم لا يملكون شيئاً، عندهم هذا البيت الصغير، يأكلون من الأشجار ما يسد رمق يومهم فقط.

ليس عندهم زراعة ولا تجارة ولا شيء أبداً، يلتقطون الثمار.. ويصيدون الحيوانات.

أذكر عندما سألتهم عن البيت، قالوا: ادخل. وعندما أردت الدخول لم أستطع لأن الباب كان صغير لا أستطيع الدخول منه ولا الخروج.

فكسروا البيت وقلت لهم: أنا آسف و.. قالوا: آسف لماذا! كلها نصف ساعة ونبني..

وفعلاً بنوه أمامي، كثير منهم يلبسون ملابس بسيطة جداً، ليس عندهم شيء اسمه عورة، طبعاً غير المسلمين.. المسلمون والحمد لله يلبسون ويستترون.

أذكر في يوم من الأيام هجمت عليهم غوريلا هجمت على امرأة كانت قادمة من الغابة ومعها ماعون من الفخار ملأته بخمر من بعض الأشجار (يستخرجون الخمر من الأشجار)، ووضعته على رأسها، فالغوريلا كبيرة أكبر من الإنسان، مشت وراء المرأة، فالمرأة خافت فأنزلت الخمر خوفاً من أن تسقط. وهربت، فجاء الغوريلا وشرب الخمر، عندما يكون غير سكران لا يُحتمل، فكيف وهو سكران.

فلما سكر قام يشم رائحة المرأة وتبعها إلى القرية وبدأ يخرب في القرية، قدر الله أنه على بعد بسيط كان يوجد شرطي .نادوه وجاء الشرطي ورأى الغوريلا يخرب بالبيوت

وغيره، أخرج المسدس وضرب طلقة طلقتين ثلاثة، لا يوجد فائدة، فقالوا له: اتركنا نحن نتعامل معه، أخرج واحد منهم البوص، هذا الذي ينفخوه، ووضع فيه سهم مسموم ونفخ على الغوريلا، فسقطت وماتت، والآن الغوريلا موجودة في المتحف في بنجي في متحف العاصمة.

• قبيلة اللوكو

عملنا وسط قبيلة اللوكو المسيحية في سيراليون بالعمل الطبي دون دعوة كلامية، فتأثروا بأطبائنا وسألوهم عن الإسلام واقتنعوا به، وأسلم اثنان من زعماء القبيلة وأسلمت غالبية القبيلة، وارتفعت نسبة المسلمين فيها خلال سنة ونصف من ٥ ٪ إلى ٦٠ ٪ ، وقمنا ببناء مركز إسلامي بينهم، يضم مدرسة ومستوصفاً ومسجداً وداراً لتدريب النساء، وأرسلنا زعماء القبيلة للحج فتأثروا جداً،وعادوا وكلهم نشاط للدعوة للإسلام.

• في جبال النوبة

في عام ١٩٨٦ م ذهبت إلى جبال النوبة، كان هناك قبائل بأكملها عراة لا يلبسون شيئاً أبداً لا نساء و لا رجال، يقولون نحن خلقنا الله هكذا فلماذا نستحي، يبدو أن لديكم شيء تستحون منه فلذلك تسترونه، الحمد لله هذه القبائل كلها أسلمت الآن.

• قرية أوران والإسلام

قمنا بزيارة صحراء جلابي في مرسابيت شمال كينيا، فعثرنا على إحدى القبائل المسلمة المنعزلة والتي تحولت إلى الوثنية، وتعلم بعض أبنائها بعد أن دفعت الكنيسة رسوم الدراسة عنهم، فتنصروا وظلت آثار قليلة تدل على أصولهم الإسلامية.

أنشأنا لهم معهداً شرعياً لتدريس أبنائهم، ولقد تفاعل هؤلاء الشباب بشكل حماسي، وبدؤوا ينشرون الإسلام بين أهاليهم وخلال ٤ سنوات أسلمت معظم القرى.

وفي قرية أوران — من قرى المنطقة — ذهب أحد طلبة المعهد الشرعي إلى أهله، وحدثهم عن الإسلام وشرح لهم مبادئه، فأسلم أكثر من ٢٠٠ شخص، ثم عاد إلى المعهد الشرعي واستأذن الشيخ في اصطحاب ١٤ طالباً معه إلى القرية، وعقد هؤلاء الشباب دورة لتعليم المهتدين أركان الإسلام ومبادئ العقيدة وكان ذلك في بداية شهر رمضان المبارك، فأصر المسلمون الجدد على الصيام، فاستغل الطلبة برنامج إفطار الصائم في محاضرات دعوية في العقيدة والقرآن والحديث والسيرة و الفقه فأسلم المزيد من الناس. إنه موقف لا ينمحي من ذاكرة الإنسان.

- **الابتسامة الزنجبارية**

العرب العمانيون هم الذين بنوا قلعة عيسى المسيح الضخمة على ساحل البحر في ممباسا عام٧٨٠ م، وليس كما يقول البعض أن البرتغاليين هم الذين بنوها لحماية السكان من أي عدوان يأتي من صوب البحر، وقد استخدمت الصخور والحجارة من بقايا كنيسة كان قد شيدها البرتغاليون في نفس الموقع من قبل. يوجد في القلعة حالياً دكاكين تبيع التذكارات للسياح ويرسم العاملون فيها بالحناء على أيدي السائحات، كما تقدم مشروبات من عصائر فواكه الجزيرة.

أما بيت العجائب الذي بناه السلطان برغش عام ١٨٨٣ م، في نفس موقع الملكة فاطمة، بني منذ ٥٠٠ سنة — فإنه أول مبنى يضاء بالكهرباء في الجزيرة. وأول مبنى يتوفر فيه مصعد، إلا أن هذا المبنى تأثر أثناء حرب ١٨٩٦ م التي كانت أقصر حرب في التاريخ حيث دامت أقل من ربع ساعة فقط بين البارجة الإنجليزية وبعض المتمردين من العائلة.

فاستخدمه الإنجليز كمكاتب لهم حتى مذبحة ١٩٦٤ م، ثم تحول إلى مكاتب للحزب الاشتراكي الحاكم.

زيارة السوق الشعبي متعة لا تنسى، وكذا زيارة قصر السلطان. ومن أجمل وأقدم المساجد في المدينة القديمة مسجد مالندي ذو المنارة المخروطية الغريبة التي لا مثيل لها في شرق أفريقيا إلا ثلاث منارات.

ومن معالم زنجبار الجديرة بالزيارة المستوصف القديم الذي بناه آغا خان. وكذا الحمامات الفارسية التي شيدها السلطان برغش بن سعيد، وكهف مانغا بواني الجميل الذي يصعب العثور عليه بدون دليل. وتقول بعض الروايات: إن هذا الكهف اكتشف عندما سقطت معزة في فتحة من فتحاته وتبعها الراعي باحثاً عنها إلى أن اكتشف المغارة. قد تنسى المناظر الجميلة والآثار القديمة، ولكنك بالتأكيد لن تنس الابتسامة الجميلة التي تملأ محيا كل إنسان في زنجبار، ولن تنس طيبة أهل هذه الجزيرة التي لعبت دوراً هاماً في نشر الإسلام في شرق أفريقيا.

ورغم الفقر المدقع الذي يعيش فيه أبناء جزيرة بمبا، إلا أن كرمهم يفوق كل وصف حتى إنك لتشعر وأنت تودعهم أنك تركت جزءاً من قلبك في هذا المكان.

❖ من عجائب أهل أفريقيا:

• الجني داخل الكاسيت

ذهبت إلى قرية في غرب أفريقيا وأنشد الأطفال في أحد الكتاتيب القرآنية لي نشيداً جميلاً، قمت بتسجيله على آلة تسجيل صغيرة كنت أحملها وعندما انتهوا قمت بإعادة الشريط، وفوجئت بأن الأطفال لم يصدقوا أن قطعة من الحديد أو البلاستيك تكرر ما قالوه، لأنهم لم يروا مسجلة في حياتهم، وأصروا على أن فيها جنياً أو ساحراً، وحاولوا النظر داخلها لرؤية هذا الجني.

نادوا أهاليهم وجاءت النساء وحتى العجائز وجاء الجميع، وهم يستغربون من هذا الجني الذي في يدي وهو يقلد أصوات أطفالهم، وأخذوا يضحكون ويقهقهون بأعلى

أصواهم. قمت باستغلال الفرصة وشرحت لهم مبادئ الإسلام، بعد أن دخلت عليهم من مدخل الجن، وهو بالنسبة لهم موضوع الساعة.

- **الحظ يحالف الحمير والقطط في كينيا**

كنت مع عائلتي في شرق كينيا وذهبت لزيارة مركز الأيتام التابع لنا في جزيرة لامو التي لعبت دوراً كبيراً في نشر الإسلام في شرق أفريقيا، وجميع سكانها مسلمون، وفوجئت بوجود مستشفى للحمير – أعزكم الله – أنشأته الجمعية الدولية لرعاية الحمير، ومقرها في بريطانيا، وتقدم لها الحليب وغيره، علماً بأن ٩٩٪ من سكان الجزيرة لا يستطيعون شراء الحليب.

نسيت أن أذكر أنني عندما زرت الجزيرة، لم يكن فيها مستشفى للبشر ولكن حنان وحب البريطانيين للحمير جعلهم يهتمون بها وينسون البشر وعندما علمت جمعية أوروبية أخرى بأن القطط في الجزيرة لا يوجد من يعالجها فقررت فتح مستشفى للقطط يزوره أطباء من بريطانيا بشكل دوري، وعندما علم بعض الإخوة في السعودية بالأمر، قرروا بناء مستشفى للبشر. قلت في نفسي الرفق بالحيوان لا يكون بنسيان بني آدم!

- **متعة مواصلات الحياة القديمة**

العمل الخيري في أفريقيا علمنا أموراً ما كنا نعلمها في بلدنا، مثل ركوب الحمير كوسيلة مواصلات، وامتطاء ظهور الجمال في المجاعات، واستقلال الشاحنات خاصة في الصندوق الخلفي المخصص لحمل الأمتعة.

لن أجامل وأقول إنها متعة، فركوب الجمل لمن لم يركبه من قبل محنة متواصلة، واستخدام الحمار يحتاج إلى صبر أيوب – عليه السلام –، خاصة إذا عصى راكبه وامتنع عن الحركة.

أما الشاحنات فلا أزكيها إطلاقاً خاصة في الطرق الوعرة حيث تتدحرج فيها كأنك كرة سلة تصعد وتنزل عدة مرات كل دقيقة إلى حد ينسيك الحياة الهانئة في السيارات العادية.

أحد الأخوة من المتطوعين الكويتيين، وهو محام قضى مدة طويلة في أقصى غرب السودان في أعمال الإغاثة، ونظراً لعدم وجود وسيلة نقل أخرى اشترى حماراً (وهو ابن العائلة الثرية) كان وسيلته التي يحمل عليها ما يحتاج إليه من مواد الإغاثة، وكان — جزاه الله خيراً — سعيداً بهذه الحياة الصعبة والمعاناة هناك فأصبحت حياته كما يقول:

" أصبحت ذات معنى بخدمته لإخوانه المحتاجين"، وهو رأي أغلب المتطوعين.

أسأل الله أن يجمعني وهؤلاء في جنات النعيم.

لا تستغرب إذا سمعت عن بعض القبائل في جنوب أفريقيا وشرقها أنها تتناول الديدان حية أو مجففة، بل تطور الاهتمام بها إلى درجة تعليبها.

ولا تستغرب كذلك إذا سمعت عن بعضها الآخر أنهم يأكلون النمل الكبير طازجاً أو مطبوخاً! أو غيرهم ممن يأكلون الفئران التي يعرضها الباعة على جنبات الطرق السريعة بأسعار عالية، لذلك كانت من الأكلات التي تخص الأثرياء!

وأذكر مرة، خلال زيارتي لأحد مساجدنا القريب من أحد الأسواق التي تباع فيها الفئران، أنني قمت بجولة في هذا السوق، فشاهدت أحد باعتها وهو يطهوها وينادي علي لأتذوق، فسألته مازحاً: هل هي مذبوحة ذبحاً شرعياً؟

ومنذ ذلك اليوم، كلما دخلت السوق أسمع بعضهم ينادي بأعلى صوته: تعالوا أيها المسلمون، فهذه الفئران لذيذة مذبوحة بطريقة حلال!

- **إن الرب يستجيب للمسلمين و لا يستجيب لنا**

في محافظة أروى أيضاً، والمناطق المحيطة بها في شمال أوغندا استمر الجفاف أكثر من سبعة شهور، وتأثر الناس عامة والمسلمون خاصة بهذا الجفاف، بما تسبب فيه من جوع وفقر، حيث أن أغلب سكان المنطقة من المسلمين، وجاء الدعاة إلى مكتب لجنة مسلمي أفريقيا يستغيثون، وكان قدر الله أنه لم يكن في حوزة المكتب أي شيء آنذاك، فنصحهم العاملون بالعودة إلى أقاليمهم ودعوة المسلمين للصلاة والاستغاثة برب العالمين، والإكثار من النوافل من صلاة وصيام.

وعندما عادوا وجدوا أن القساوسة جمعوا النصارى يوم الأحد ودعوا الله في كنائسهم أن يترل عليهم الأمطار، ولكن الجفاف استمر، فأرسل دعاتنا رسائل إلى جميع الأئمة في المحافظة يحثون فيها المسلمين على صيام ثلاثة أيام ثم يصلون صلاة جماعية في عاصمة المحافظة، واجتمعت جموع غفيرة من المسلمين، وبدؤوا في صلاة الاستسقاء في الحادية عشرة صباحاً حتى صلاة الظهر، ثم الدعاء وهم صائمون، وقبل صلاة العصر، انهمر المطر بشدة فكبر المسلمون وهللوا في كل مكان، وجاء النصارى يتساءلون عن هذه الضجة، وكان ذلك سبباً في دخول عشرات النصارى في الإسلام بعد أن قالوا " إن الرب يستجيب للمسلمين ولا يستجيب لنا".

- **نتبارك بالمسلم عندما يذبح الدجاج أو الخروف**

مرة ذهبنا إلى شمال مدينة مناكارا ونحن عادة عندما ندخل أي قرية نذهب إلى ملك القرية مباشرة نستأذنه، وكان وقتها ملك القرية مسيحي متعصب ومن خدام الكنيسة البروتستانتية، وكانت قد كتب على جدران بيته بعض الكلام من الإنجيل، واستضافنا الملك في بيته واتفقنا مع الأهالي أن نتكلم معهم صباحاً ولكنهم لم يأتوا، قلنا للملك أين الناس، قال: هم معتادون أننا نجمعهم بقرع الأجراس وأنتم لا تقرعون الأجراس، قلنا له

نحن لدينا الآذان وقام واحد منا وأذن وصلينا الضحى وتجمع الناس وامتلأ البيت عن آخره ونحن نصلي ولما رفعنا أيدينا بالدعاء رفعوا أيديهم معنا وجلسنا معهم ثلاث ساعات، والغريب أن ملك القرية أتى بدجاجة وطلب منا أن نذبحها له وقال: نحن نتبارك بالمسلم عندما يذبح الدجاج أو الخروف فاذبحوها لنا.

- **أيهما أنفع**

خرج نائب رئيس الجمهورية في مدغشقر مع نائب برلماني مسلم، في زيارة تفقدية إلى مقاطعة ماجونغا، وعند دخولهما إحدى القرى، قال النائب البرلماني لمرافقه - بعد أن رأى النصارى قد بنوا كنيسة - وكنا قد حفرنا بئراً للقرية: أيهما أنفع للناس: من يبني كنيسة أو يحفر بئراً ؟ قال نائب الرئيس: بالطبع من يحفر بئراً.

فردّ النائب البرلماني: هذا هو الفرق بيننا كمسلمين وبينكم كمسيحيين.

❖ شهداء العمل في سبيل الله

إن العمل في أفريقيا له ثمن باهظ، قد يكلف الإنسان حياته أحياناً، لاسيما في مناطق الإغاثة كجنوب السودان و موزمبيق وليبيريا وسيراليون وغيرها من الدول التي أصبحت الحروب الأهلية فيها ظاهرة مزمنة.

- فمن هذه المشاهد أذكر مرة أثناء زيارتي لبعض المواقع أن لغماً انفجر تحت السيارة التي تقل بعض الجنود المرافقين لنا لحراستنا من أي هجوم محتمل للمتمردين.
- ومنها بعض المشاهد المؤلمة التي راح ضحيتها بعض دعاتنا وأئمة المساجد في جنوب السودان رمياً بالرصاص، أو ذبحاً بالسكاكين كالنعاج.
- ومنها منظر مدير مكتبنا في سيراليون الذي أصيب برصاصة في ركبته أثناء الحرب الأهلية، ومنع من العلاج مدة ستة عشر يوماً، إلى أن تمكنا في ظروف قاسية جداً من إجراء عملية جراحية بدائية له داخل مكتب اللجنة هناك لاستخراج الرصاص منها وإنقاذ حياته.
- ومن أبشع هذه المواقف غير الإنسانية قيام مجموعة من شرار خلق الله في الصومال باختطاف والد مدير مكتبنا هناك، وهو شيخ هرم لا يقوى على الحركة، وطلبوا مقابل إطلاق سراحه فدية بمبلغ كبير من المال من ابنه مدعين أنه يحصل على الملايين من الكويت ومن المملكة العربية السعودية.

لكن ردّ المدير ردّاً ستشهادياً: أن يجهزوا كفناً لوالده، لأنه لن يدفع لهم مليماً واحداً من أموال المسلمين. وعندما سمع الأهالي وبعض وجهاء البلد بهذا الأمر،

توجهوا إلى مقر العصابة وحاصروهم، وهددوهم بالقتل إذا لم يطلقوا سراح المختطف، فاستجاب المختطفون لهذا التهديد وأخلوا سبيل الرجل لأنهم يعلمون علم اليقين أن الصوماليين ينفذون عادة وعيدهم.

- ومن أمثال هذه المواقف كذلك أن مجموعة من قوات التمرد طلبوا من إمام أحد مساجدنا في جنوب السودان حمل شوال ذرة مسروق، حتى إذا بلغوا مقصدهم ذبحوه وألقوا بجثته في الطريق.
- وهجوم للمتمردين على شاحنة مليئة بالإسمنت والطعام لصالح أحد مشاريعنا في موزمبيق قدمت من مالاوي.

وهجم عليها المتمردون ضد الحكومة وأحرقوا الشاحنة وسار داعيتنا والسائق وسط الأشجار ٨٠ كيلو متراً تمزقت فيها ملابسهم تماماً حتى وصلوا المدينة وهم شبه عراة.

- رأيت بعض الشباب الإخوة في يوم من الأيام عندما وصلنا إلى أحد مراكزنا الإسلامية بعد صلاة المغرب عقب رحلة شاقة وكلنا شوق للراحة في تلك الليلة حيث هناك سفر طويل ينتظرنا في الصباح الباكر ...

رأيتهم يركبون السيارة في برد الليل ينتقلون من قرية إلى أخرى للإطلاع على أيتام اللجنة ومشاريعها يوقظوهم ويسألونهم ليتأكدوا من صحة التقارير التي يرسلها لنا دعاتنا ويعود هؤلاء الإخوة مع آذان الفجر في المركز الإسلامي ثم نبدأ السفر الشاق.

- رأيت بعضهم يحمل روحه على راحته، و يعرض نفسه لإطلاق النار عليه في مجاعة الصومال من أجل أن يصل إلى جياع يسد رمقهم، أو أيتام يعيشون بلا كهرباء و لا ماء فيعتني بهم، وهو من أبناء الخليج المرفّهين.
- شاهدت بعضهم و هم أبناء عائلات ثرية جداً ينامون على حصير المسجد، و أحياناً بدون حصير على الأرض حينما يحين الليل لأنه المكان الوحيد الذي يمكن أن يناموا فيه.

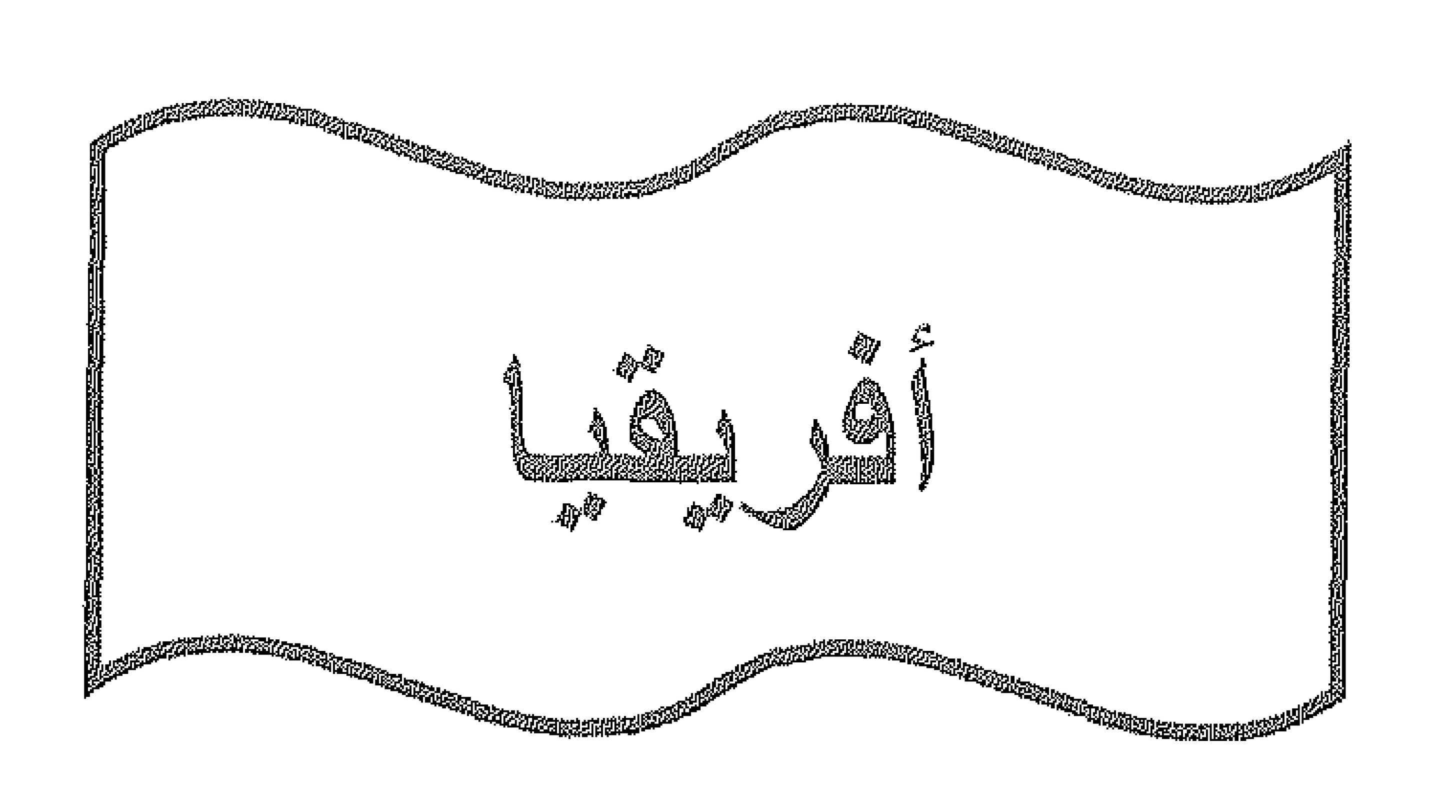
لا أريد الحديث كذلك عن العشرات من دعاتنا الذين وهبوا أرواحهم في سبيل الدعوة الإسلامية في كل من جنوب السودان وليبيريا وسيراليون و موزمبيق والصومال وغيرها، ومضوا شهداء في درب خدمة إخوانهم ويسعدني جداً أن اقتفي أثرهم.

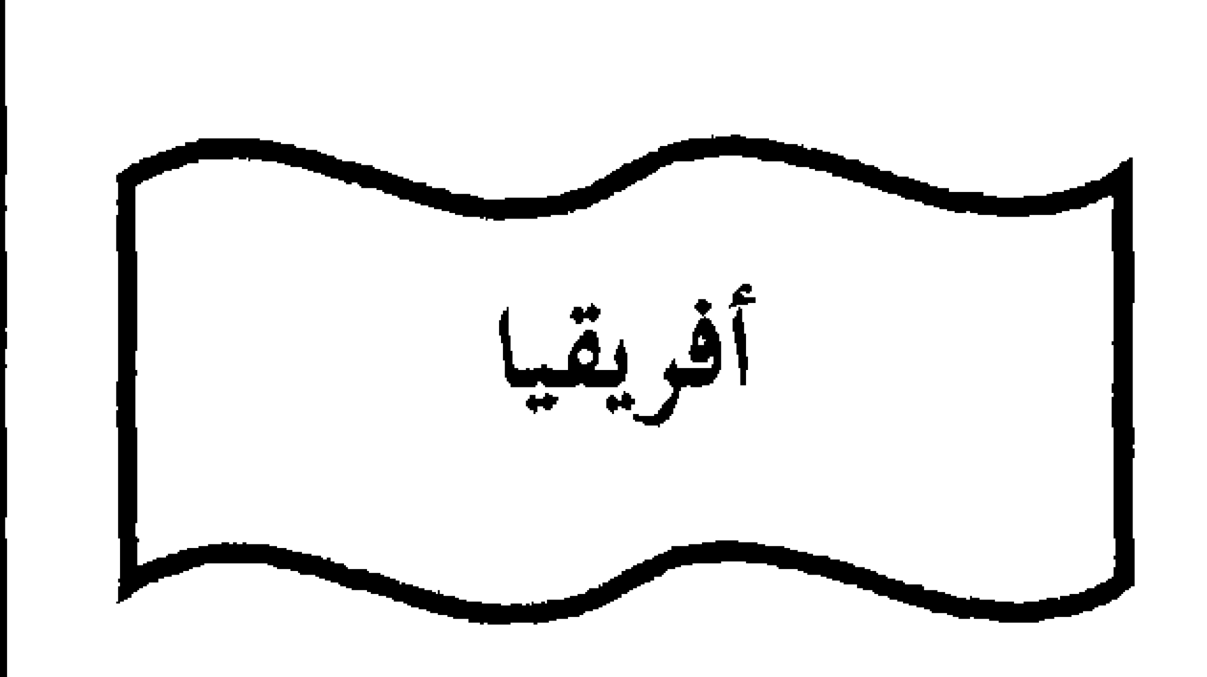
- عندما اندلعت الحرب الأهلية في غينيا بيساو، وتدخلت القوات السنغالية فيها لدعم الرئيس السابق، فلم تختر إلا مركزنا في بيساو قاعدة لها، حيث احتلته واستولت على ما فيه من محتويات وطردتنا منه بالقوة. وقد لحقت به أضرار بليغة بسبب القصف الصاروخي والمدفعي الذي استهدفه.
- وفي ليبيريا، أصابت قذائف المدفعية سقف أحد مكاتبنا وقتل الحارس المسكين الذي عثرنا على هيكله العظمي ملقى داخل المركز عند زيارتي له بعد مرور أشهر على وقوع هذه الأحداث. وكان الجميع يخشى أن تكون الألغام قد زرعت داخل المكتب.

وغير هذه المشاهد المؤلمة كثير.

ومع ذلك لم نشعر يوماً بالإحباط في أداء رسالتنا السامية، و لم يحل رعب هذه الأحداث دون قيامنا بواجبنا الديني في إعلاء كلمة الله في هذه القارة الضائعة، وفي إنقاذ الفقراء والمساكين وإيواء الأيتام وهداية الضالين، لأننا نؤمن بأن التجارة مع الله عز وجل خير من الدنيا و ما فيها:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]


أفريقيا



❖ أفريقيا:

هنا حيث وجوه الأطفال تصبح أشباه وجوه.
وحيث الأجساد توحي بأنها قائمة لتوها من بين الأموات.
وهنا حيث الأطفال مشغولون فقط بالبحث عن لقمة العيش وتخفيف الآلام، وليس عن لعبة أو نزهة.

أصل كلمة أفريقيا:

أطلق اسم أفري على العديد من البشر كانوا يعيشون في شمال أفريقيا بالقرب من قرطاج. ويرتبط اسمهم باللفظة الفينيقية أفار بمعنى (غبار).

إلا أن إحدى النظريات قد أكدت في عام ١٩٨١ م، أن الكلمة نشأت من الكلمة البربرية إفري أو إفران، وهي تعني الكهف، في إشارة إلى سكان الكهوف. أما الجزء الأخير من الكلمة (قا) فهو مقطع يلحق بآخر الكلمات الرومانية، ويعني "بلد أو أرض".

*يعتبر معظم الباحثين في علم الإنسان القديم وتطوره، أن أفريقيا أقدم المناطق المأهولة بالسكان على وجه الأرض.

- **الحيوانات:**

تضم أفريقيا أكبر تشكيلة في العالم من الحيوانات البرية: الحيوانات الضخمة من أكلة اللحوم (مثل أسد ، ضبع ، والفهد)، والحيوانات آكلة الأعشاب (مثل الجاموس، والغزال، والفيل، الجمال، والزرافة)، كما أنها تعتبر الموطن الأصلي لمجموعة متنوعة من المخلوقات

التي تعيش في الغابات (بما فيها الثعابين وأنواع من القردة)، وهي تضم كذلك مخلوقات تنتمي للحياة المائية (بما فيها التماسيح والبرمائيات).

- **الاقتصاد:**

على الرغم من وفرة الموارد الطبيعية، إلا أن أفريقيا لا تزال هي الأكثر فقرًا وتخلفًا بين قارات العالم. وتتأثر نسبة كبيرة من سكان القارة الأفريقية بالفقر والأمية وسوء التغذية وعدم كفاية إمدادات المياه والصرف الصحي، فضلا عن سوء الحالة الصحية.

- **اللغات:**

وفقا لمعظم التقديرات، هناك أكثر من ألف لغة يتم التحدث بها في أفريقيا (وقدرتها منظمة اليونيسكو بألفي لغة) معظمهم لغات من أصل أفريقي. وتعتبر أفريقيا هي أكثر قارات العالم تعددًا في لغاتها، وليس من النادر أن تجد الأفراد يتحدثون بطلاقة ليس عدة لغات أفريقية فحسب، وإنما يتحدثون أيضا لغة أوروبية أو أكثر.

و تشمل القارة بصفة عامة ست مجموعات لغوية رئيسية هي:

- اللغات الزنجية التي يتكلم بها ذوو البشرة السوداء، والتي تنتشر في غرب وجنوب ووسط القارة.
- اللغات الحامية السامية (الأفريقية الآسيوية) التي يتحدث بها البربر والعرب والجماعات الموجودة في شمال القارة.
- لغة وسط الصحراء وهي لغة انتقالية بين اللغتين.
- اللغة السودانية التي يتحدث بها الزنوج الحقيقيون في أعالي النيل.
- لغة الملايو بولونيز التي يتحدث بها المغول.
- ولغة الكوي سان وهي لغة الأقزام.

بعد نهاية الاستعمار، اعتمدت جميع البلدان الأفريقية تقريبًا لغات رسمية نشأت

خارج القارة، على الرغم من ذلك فإن العديد من البلدان منحت الاعتراف القانوني بلغات السكان الأصليين (مثل السواحلية، اليوربية، الإجبو والهوسا).
في العديد من البلدان يتم استخدام الإنجليزية والفرنسية للتواصل في المجال العام، مثل الحكومة والتجارة والتعليم و وسائل الإعلام. وتعتبر اللغات العربية، والبرتغالية، ولغات الأفريكانز و المالاجاشية هي أمثلة أخرى للغات ليست أفريقية الأصل ولكن يستخدمها الملايين من الأفارقة اليوم، في كلا المجالين العام والخاص.

- **الجغرافية:**

تعد أفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان، وتأتي في المرتبة الثانية بعد آسيا. وتبلغ مساحتها ٢،٣٠ مليون كيلومتر مربع، وتتضمن هذه المساحة الجزر المجاورة، وهي تغطي ٦٪ من إجمالي مساحة سطح الأرض، وتشغل ٤،٢٠ من إجمالي مساحة اليابسة، ويبلغ عدد سكان أفريقيا مليار نسمة (وفقاً لتقديرات ٢٠٠٩)، يعيشون في ٦١ إقليم، وتبلغ نسبتهم حوالي ٨،١٤ من سكان العالم. أما الأصول العرقية لسكان القارة فالزنوج يمثلون ٧٠٪ بينما المغول والقوقاز والأقزام يمثلون النسب الباقية. ويحد القارة من الشمال البحر المتوسط، وتحدها قناة السويس و البحر الأحمر من جهة الشمال الشرقي، بينما يحدها المحيط الهندي من الجنوب الشرقي، والمحيط الأطلنطي من الغرب. وفي أقصى شمال شرقها تتصل بآسيا براً في شبه جزيرة سيناء.
تضم القارة ٥٤دولة، بما في ذلك مدغشقر وعدة مجموعات من الجزر، والتي تعتبر ملحقة بالقارة.

- **دول القارة الأفريقية:**

الجزائر • أنغولا • بنين • بوتسوانا • بوركينا فاسو • بوروندي • الكاميرون • الرأس الأخضر • أفريقيا الوسطى • تشاد • جزر القمر • جمهورية الكونغو الديمقراطية • الكونغو • كوت ديفوار • جيبوتي • مصر • غينيا الاستوائية • إريتريا • إثيوبيا •

الغابون • غامبيا • غانا • غينيا • غينيا بيساو • **كينيا** • ليسوتو • ليبيريا • ليبيا • مدغشقر • ملاوي • مالي • موريتانيا • موريشيوس • المغرب • موزمبيق • ناميبيا • النيجر • نيجيريا • رواندا • ساو تومي و برينسيبي • السنغال • سيشيل • سيراليون • الصومال • جنوب أفريقيا • السودان • سوازيلاند • تنزانيا • توغو • تونس • أوغندا • زامبيا • زيمبابوي•

- **الجزر الأفريقية:**

الجزر الشرقية الواقعة في المحيط الهندي: مدغشقر - جزر القمر – ريونيون – موربشيوس – سيشل.

الجزر الغربية الواقعة في المحيط الأطلسي: جزر الرأس الأخضر– جزيرة سانت هيلانة– جزر الكناري.

تحظى القارة السوداء أفريقيا باهتمام كبير من قِبَل الدول الكبرى حيث أنها تقع في قلب العالم وتمثل منجماً لمعظم معادنه وثرواته. **الدين:**

وفقاً لموسوعة كتاب العالم، فإن الإسلام هو الدين الأكثر انتشارًا في أفريقيا، تليه المسيحية.

ووفقاً للموسوعة البريطانية، فإن ٤٥ ٪ من السكان هم من المسلمين، والمسيحيين ٤٠ ٪ وأقل من ١٥ ٪ ملحدين أو من أتباع الديانات الأفريقية. وهناك عدد صغير من الأفارقة الهندوسيين، أو البهائيين، أو من ذوي الخلفيات اليهودية.

- **الاستعمار و "التزاحم على أفريقيا":**

في أواخر القرن التاسع عشر، اشتركت القوى الإمبريالية في حملة تزاحم كبرى وقامت باحتلال معظم القارة، وتحويل العديد من الدول إلى دول محتلة، و لم يتركوا سوى دولتين مستقلتين فقط: ليبيريا، وهي دولة مستقلة نسبيًا تم تسوية أوضاعها من خلال

الأمريكيين من أصول أفريقية، وأثيوبيا المسيحية الأرثوذكسية (المعروف لدى الأوروبيين بـ"الحبشة"). وقد استمر الحكم الاستعماري من قبل الأوروبيين حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بعدها حصلت كافة الدول المحتلة تدريجيًا على استقلالها الرسمي.

- **الإسلام في أفريقيا:**

في أوائل القرن السابع الميلادي، اتسعت الخلافة العربية الإسلامية حتى وصلت إلى مصر، دخل العرب المسلمون إلى مصر وأدخلوا معهم الإسلام عام ٦٤١ م، الذي انتشر بشمال أفريقيا بالقرن السابع ووصل إلى أسبانيا.

ودخل الإسلام إلى النوبة بالقرن ١٤م، عن طريق التجار العرب. وظهرت مملكة غانا في منطقة بينية بين الصحراء الكبرى والغابات بجنوب شرق موريتانيا، وكان الهدف من قيامها التجارة في الذهب الذي ينتج في جنوبها وتشتريه قوافل بدو الصحراء التجارية لتحمله الجمال لشمال أفريقيا. وكانت غانا قد تحولت علي أيدي المرابطين(١) بمراكش للإسلام في القرن ١١م.

وقد تزايد انتشار الإسلام كذلك في المناطق الداخلية في كل من غينيا وكوت ديفوار وتوجو وبنين، وهي المناطق التي تشهد انتشاراً حثيثاً للإسلام حالياً، واستطاع أحد القادة المحليين، وهو يدعى سُنّي علي (١٤٦٤- ١٤٩٢م) أن يقوم بتكوين إمبراطورية سونغهاي في وسط النيجر وغرب السودان، وسيطر على التجارة عبر الصحراء، استولى علي تمبكتو في ١٤٦٨ و جين في عام ١٤٧٣، وقام بتأسيس نظامه على عائدات التجارة، بالإضافة إلى تعاون التجار العرب، وقام خليفته **أسكيا محمد** (١٤٩٣ – ١٥٢٨م) بجعل الإسلام هو الدين الرسمي، وقام ببناء المساجد، جلب العلماء إلى جاو بما فيهم الماغيلي

(١) المرابطون: فهي إحدى سلالات البربر الحاكمة القادمة من الصحراء، وقد بلغ انتشارها نطاق واسع في شمال غرب أفريقيا وشبه الجزيرة الليبيرية خلال القرن الحادي عشر.

(المتوفى عام ١٥٠٤م) وهو واضع إحدى الدراسات السودانية الأفريقية الإسلامية التقليدية الهامة. كما تشهد الظاهرة الإسلامية حالياً انتشاراً وتقبلاً في كثير من مناطق الكاميرون وتشاد والنيجر و موزمبيق، حيث استطاعت العقيدة الإسلامية التغلغل والانتشار على الرغم من ممارسات وسياسات السلطات الحاكمة المناوئة.

وتؤكد بعض الدراسات اكتساب الإسلام أنصاراً له في بقاع جديدة من زامبيا وزيمبابوي وناميبيا بفضل جهود المؤسسات والجمعيات الإسلامية.

❖ **يقول د. عبد الرحمن السميط:**

إن قارة أفريقيا هي قارة المسلمين المنسية، قارة دخلها الإسلام في هجرة الحبشة الأولى قبل أن يدخل المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ...

في أفريقيا أول ملك دخل في دين الله. جاءت أفريقيا تجري لدعوة الإسلام حباً و إيماناً فبادلها الإسلام بهذا الحب حضارات ما عرفتها في كل تاريخها، وأقام دولاً ذات أدب وفن وعلم، وتخرج من غابات أفريقيا رجالاً فسروا القرآن الكريم، وكتبوا المتون الكبيرة في علوم الإسلام المختلفة، وشهدت في بداية عهد اليقظة الإسلامية حركات إصلاحية متزامنة كالسنوسية في ليبيا وحركة عثمان دان فوديو في نيجيريا وحركة المهدي في السودان، قامت تدعو إلى عودة صفاء الإسلام ونقاؤه كما فهمها قادة هذه الحركات متأثرين في ذلك بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب.

لذا فمن حق إخوتنا الأفارقة علينا أن نساهم بطاقتنا البشرية أولاً، ثم المالية في تأصيل دعوة الخير هناك حتى ترفرف رايات الحب والبركة والأمن والإيمان في كل مكان في الأرض السمراء يرفعها أحفاد بلال بن رباح الحبشي سيد المسلمين.

إن من يتجول في أفريقيا يشاهد واقعاً مؤلماً: يوجد العشرات من القبائل والملايين من الناس ممن كانوا يدينون بالتوحيد ولكنهم ضاعوا و لم يعينهم أحد من المسلمين على العودة إلى دين الله، كقبائل الفارمبا في زيمبابوي، و التيمورين في مدغشقر، و الغبرا و الريندليي في كينيا وغيرهم.

هناك مسجد في جزيرة بتي في كينيا عمره ١٣٢٠ سنة، هناك مسجد في زنجبار اكتشفته بعثة بريطانية عمره (١٣٧٠) سنة، ولازالت أطلاله موجودة حتى الآن، هناك عشرات بل مئات المساجد الموجودة في أفريقيا، وخاصة في الساحل الشرقي (الذي أبدي اهتمام كبير فيه) عمرها أكثر من ألف سنة، وجدت قبراً في زيمبابوي (وزيمبابوي بعيدة حوالي ١٥٠٠ كيلو عن ساحل المحيط)، وقد كتب عليه بالخط العربي القديم بدون نقط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر سلامنة صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام ٩٥ من هجرة النبي العربي.

معنى هذا أن العرب والمسلمين كانوا يصلون إلى هناك وامتزج الدم العربي بالدم الأفريقي في شرق أفريقيا وفي دول السهل الأفريقي و دول الصحراء الكبرى.

إلى الآن هناك قبائل كثيرة أصولها عربية موجودة في أفريقيا، بني سليم في النيجر هم نفسهم بني سليم الموجودين الآن في القصيم وكان منهم وزير الخارجية في النيجر، قبائل الرشايدة التي في السودان يعرفون: إن إخوانهم الرشايدة الذين هاجروا قبل مائة سنة. وهناك من الرشايدة و العوازم هاجروا إلى تشاد قبل مئات السنين واندمجوا هناك وصاروا جزءاً من المجتمع، لكن لازالت العادات العربية الإسلامية موجودة عندهم.

نحن كعرب وكمسلمين وصلنا إلى هناك في زمن مبكر جداً:

في النيجر، كمثال: عام ٣٤ للهجرة جاءت وفود من جيش عقبة بن نافع واستسلمت النيجر لله سبحانه وتعالى.

في أماكن كثيرة تستغرب كيف الناس يقبلون على الإسلام رغم كل المغريات التي يقدمها الآخرون.. أعيش الآن في مكان أسلم فيه ١٣٠ ألف شخص خلال شهرين من خلال عمل مجموعة بسيطة: أنا وزوج ابنتي ومجموعة من الشباب الخليجيين الذين قاموا بزيارتنا هناك.

مجاعة القارة السوداء

إن العيون البُنية في الصحراء تلتفت إليكم. يا أبناء وبنات الأرض.

يا من تفوح رائحة التفاح على هضابهم،أيها الآكلون للحوم،

يا أصحاب الملاعب والملاهي.

هل لديكم صمم عن العاصفة التي تمزق المعدة الخاوية؟

والرياح الكالحة المتجهمة التي تهب في أفريقيا.!

هل نقلت إليكم القصة غير المروية،قصة الطفلة التي تموت،

تجول وهي عاجزة بثغرها،بحثا عن الحياة،

على جسد أمها الذي فارقته الحياة.

لقد استُشهِدت الأم برحلتها الطويلة الطويلة،

بشجاعة المؤمنين والمؤمنات،

لتحتضن يداها النحيلتان المرتجفتان المتلاشيتان

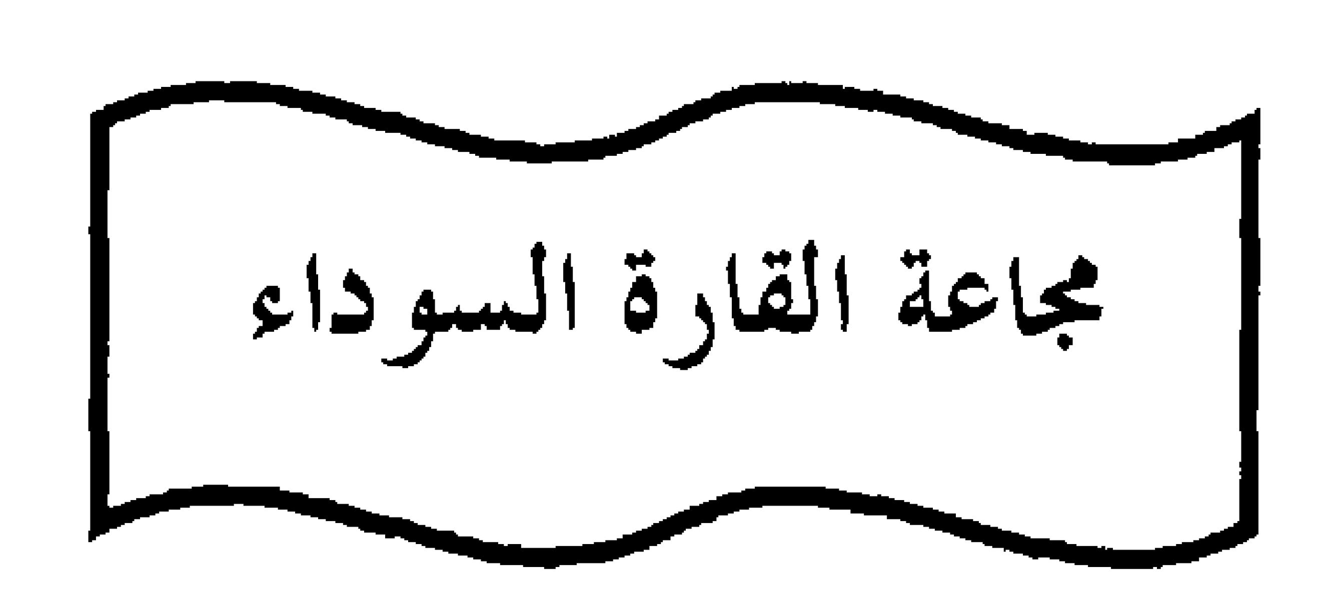
قطرات الماء المقدس الذي تبحث عنه لطفلها البريء المتلاشي.

يا ملائكة الخير، إليكم بأمل قلق، ألتفت،

ساعياً إلى التكفير عن الرحلة الطويلة الكريهة للقوافل الطويلة،

المحملة بتعاسات المعدة الفارغة والظمأ،

ومواجهة الموت المتعجرف المبتسم.



مقدمة:

إن البشرية تعيش أزمة أخلاقية كبرى، يتحمل مسؤوليتها دون شك النظام العالمي الجديد ودعاته، الذين يتلفون عشرات الملايين من الأطنان من الأغذية أو يلقونها في البحار للحفاظ على الأسعار العالمية، فيما يعاني ١٦ مليون إفريقي من الموت جوعًا وعطشًا، كما جاء على لسان (كوفي عنان) الأمين العام السابق للأمم المتحدة.

ويتوزع ضحايا المجاعة الحالية على ١٠ دول هي:

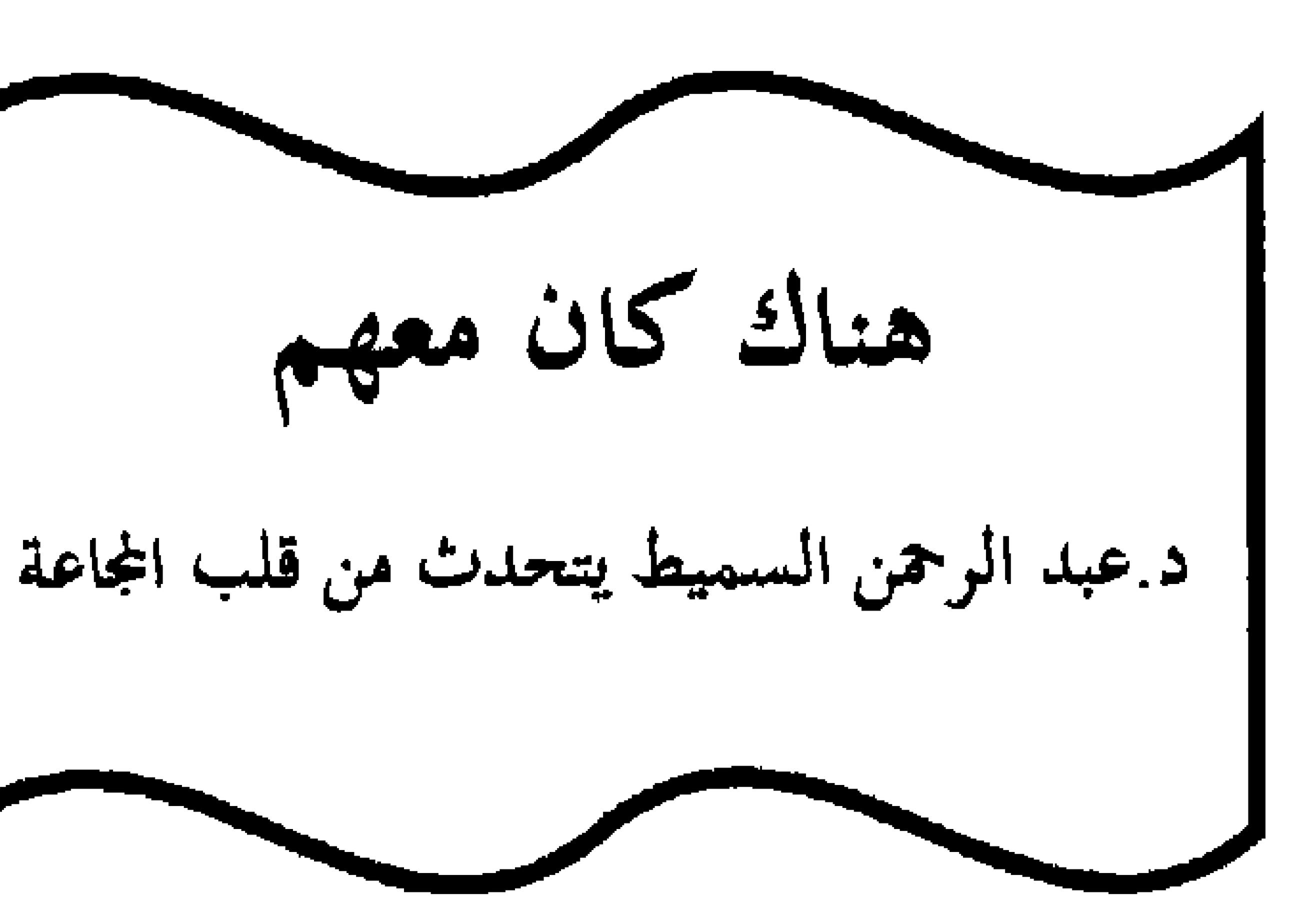
السودان التي يبلغ عدد سكانها (٣٤،٥) مليون نسمة، وإريتريا، وجيبوتي التي يبلغ عدد سكانها حوالي (نصف مليون) نسمة، وإثيوبيا التي يبلغ عدد سكانها (٦٠) مليون نسمة، والصومال التي يزيد عدد سكانها قليلاً عن (١٧) مليون نسمة، وكينيا التي يبلغ عدد سكانها حوالي (٢٩) مليون نسمة، وتنزانيا التي يبلغ عدد سكانها (٣١) مليون نسمة، وأوغندا التي يبلغ عدد سكانها حوالي (٢٣) مليون نسمة، ورواندا التي يزيد عدد سكانها قليلاً عن (٨) ملايين نسمة، وبوروندي التي يبلغ عدد سكانها (٧،٥) مليون نسمة.

إن صور هؤلاء الأطفال الذين يموتون جوعًا أمام الكاميرات تحت سمع العالم وبصره تمثل إدانة كبرى لهذه الدول التي تنهب خيرات الشعوب، ثم لا تجود عليها حتى بالفتات الذي يحفظ لها الحياة، حتى وإن كانت حياة بائسة!!

ما الذي جناه هؤلاء الأطفال الأفارقة حتى يموتوا جوعًا وعطشًا، فيما لا يزال البنك الدولي والصندوق الدولي والدول الصناعية السبع الكبرى يبحثون في إمكانية شطب ديون الدول الفقيرة أم يواصلون مص دماء شعوبها؟!

ليس هناك أصعب ولا أقسى من أن يموت الإنسان جوعًا وعطشًا، فيما نرى الآخرون في عالمنا يموتون تخمة ورفاهية!! المأساة التي يواجهها ١٦ مليون أفريقي يواجهون الموت جوعًا وعطشًا، أغلبهم مسلمون.

- كم من بلية غائبة في رحم الغيب أجهضها معروف بذلته، أو همّ فرّجته أو حاجة قضيتها، أو محنة أزحتها..
- و أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة.
- وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً.



● أحدثكم حول ما يمر بأفريقيا من مجاعة ولسوء حظي أن كتب لي الله سبحانه وتعالى أن أشاهد هذه المجاعة التي تحدث حالياً في أفريقيا ضمن سلسلة من المجاعات التي عشتها خلال العشرين السنة الماضية، وهذه المجاعة أصابت منطقتين في أفريقيا:

المنطقة الأولى: هي منطقة القرن الأفريقي، وأقصد فيها أثيوبيا و إريتريا وجزء من جيبوتي.

والمنطقة الثانية: في الجنوب الأفريقي، حيث موزمبيق وجمهورية مالاوي وزامبيا وزمبابوي وإلى حد ما في أنغولا..

لقد عايشنا قصص مؤلمة جداً لأناس فقدوا الكثير وربما كل شيء.

❖ أذكر أن رئيس قرية من القرى زرها في أثيوبيا، فقد ٤٠ رأساً من الإبل و٦٠ رأساً من البقر وعدداً كبيراً من رؤوس الماعز والغنم، وعندما زرته وجدته نحيلاً جداً وقد

فقد زوجته وبعض أولاده، و لم يبق عنده إلا عجل ضعيف جداً مثل الهيكل العظمي وطلب مني أن آخذه وهو مبتسم، قال: تستطيع أن تأخذه لأنه سيموت خلال يومين أو ثلاثة فلا يوجد علف في البادية، وطبعاً عندهم لا يوجد علف صناعي لأن البشر لا يحصلون على الأكل، فما بالك بالحيوانات!

❖ وأذكر عندما زرت هذه القرية وجدت أشكالاً وألواناً من الأطفال وهم هياكل عظمية تمشي على قدمين، بعضهم يستطيع أن يمشي وبعضهم يحبو حبواً، عمره قد يكون عشر سنوات، اثني عشر سنة، ولا يستطيع المشي على قدميه، وأغلبهم لم يأكل من ثلاث أو أربع أيام وهذا الشيء عادي جداً، لأنه عندما ذهبت في إحدى المرات مع زوجتي وأولادي إلى إحدى القرى ودخلنا على كوخ من الأكواخ وعرفنا بعد مدة وبعد أسئلة كثيرة أن أم و أطفالها وأقاربها لم يأكلوا منذ ثلاثة أيام أي شيء على الإطلاق، حتى الحشيش الذي يؤكل غير موجود بسبب الجفاف.. من هنا شعرنا بأن هذه العائلة بحاجة إلى المساعدة، وذهبت إحدى بناتي إلى السيارة لتجلب كيس فيه كيلو من الدقيق أو الطحين لتعطيه إياهم، وفوجئنا بأن المرأة صُدمت واستغربت أن نعطيها الطحين فقالت: لمن هذا؟!! فقلنا لها: لك، لأنك ما أكلتِ منذ ثلاثة أيام أنت وأولادك. قالت: نحن أغنياء، الحمد الله نحن منذ ثلاثة أيام فقط لم نأكل..، لكن وراءنا جيران، اذهبوا إليهم فهؤلاء هم الفقراء ويحتاجون المساعدة، أما نحن بخير ونعمة، ولله الحمد. ذهبنا إلى خلف الكوخ الذي كنا فيه فوجدنا كوخاً فيه امرأة وأهلها، لم يأكلوا منذ ثمانية أيام! .. دمعت أعيننا.. وقارنا بين وضعهم ووضعنا، نحن لو غابت عنا وجبة واحدة

لقلبنا الدنيا! ليس إذا غابت الوجبة، بل إذا كان نوع الأكل الذي يقدّم لنا لا يتناسب مع أذواقنا ولا نكون سعداء ونبدأ في عمل مشاكل كثيرة.. كم هذا مؤلم ومؤسف عندما نقارن بيننا وبينهم!.

❖ أعود مرة ثانية إلى أثيوبيا إلى تلك القرية، أذكر عندما وصلت في يوم الجمعة إلى مدينة دنن، وهي مدينة تقع في منطقة الجفاف في جنوب أثيوبيا (المنطقة كلها متأثرة منذ ثلاث سنوات من الجفاف لا ينزل المطر أو ينزل في غير وقته فلا تستفيد منه الأرض ولا ينمو العشب والحشيش وماتت الحيوانات ثم بدأ الناس يموتون وقضى على نسبة كبيرة من الماشية وهاجرت الأسر إلى القرى والمدن بحثاً عن الطعام، كان هناك طفل ميت اسمه (ميار)، طفل مسلم (ميار بن محمد)، وهو ثالث طفل يموت في صباح تلك الجمعة.

هاجرت والدة ميار واسمها (صفية) إلى قرية أو بلدة دنن مع زوجها وخمسة من الأطفال قبل خمسة أشهر من الجمعة التي رأيتهم فيها.. لم يكن عليها غير الملابس التي تلبسها هي وأطفالها.. كانت من أسرة متوسطة الدخل يملكون ٤٠ بقرة و٥٠ رأس من الغنم والماعز، وتدريجياً بدأ القطيع في الاحتضار عندما بدأ الجفاف يضرب المنطقة، وحاولوا البحث عن أي مكان يصلح للرعي للحفاظ على ما تبقى من الحيوانات، ولكنهم فشلوا فآخر حيوان مات كان حمارهم.

والآن هم بدون مال أو وسيلة معقولة يعيشون منها.. ساروا أربعة أيام على أقدامهم دون طعام حتى وصلوا إلى دنن، تقول صفية: إنهم كانوا جوعى، وعندما نفقت كل الحيوانات اضطروا أن يأتوا إلى دنن.

كانت فاطمة عمرها ١٢ سنة أكبر بنات صفية أول من مات قبل شهرين، وتبعها محمد الذي عمره سنة واحدة مات منذ أسبوعين فقط، وأصبح الأب مريضاً وعاش ميار محمد معظم الأسبوعين الآخرين فاقد الوعي... وحمّى ٠٠وفي الأيام الأخيرة لم يعد قادراً على تناول حتى محلول الماء والسكر وكانت أمه تغذيه.. وعندما وصلنا توفي.. تقول صفية إنها ذهبت إلى العيادة وأخبروها في العيادة أنه لا يوجد عندهم أدوية مجاناً، والأدوية الموجودة القليلة هي للبيع، وهي لا تملك لو فلساً أحمر.. الزوج حمل طفله (عمران) ذا السنوات الست لأراه أنا والآخرين الذين كانوا من جمعيات خيرية أخرى، حتى يروا بأعينهم كيف أن هذا الطفل سيموت بعد مدة بسيطة جداً، وأصبح الجانب الأيسر مشلول وقعد يصرخ من الألم بينما والده وهو يحمله يتكلم ويشرح لنا ...

لقد فقدت صفية أولادها، ولم يبق إلا الطفلة (نور) عمرها تسع سنوات لا تزال معافاة. وطبعاً معافاة ليست بالمفاهيم عندنا، بل إنما معافاة بالنسبة لمفاهيمهم هم.كانت هي عبارة عن هيكل عظمي لصق عليه جلد وتتحرك بصعوبة.. !

❖ رأينا آلافاً مؤلفة من أمثال هذه العائلة التي سارت على أقدامها أياماً وليالي تبحث عن لقمة العيش.

من السهل جداً أن تتكلم عن موت الأطفال ولكن والله أيها الإخوة لن تعرفوا ألم الموت إلاّ عندما تحملون طفلاً بين أيديكم وهو يعاني ثم يموت وأنتم تحملونه، عند ذاك لن تنسوا لحظات النزعة الأخيرة أبداً.

❖ لا زلت أذكر اليوم الذي رأينا فيه طفلاً فاقد الوعي، حملته إحدى بناتي وأحضرته لي وقالت: بابا ماذا به؟ فوجدنا حرارته مرتفعة، إذاً ٩٩٪ مصاب بالملاريا، علاج

الملاريا هو دواء اسمه " كلوركوين" سعر ١٠ حبات بعشر فلوس كويتية أو ١١ - ١٢هللة سعودية، لكن لأن العائلة لا تملك العشر فلوس أو الأحد عشر هللة فلم تستطع أن تعالجه! .. حاولنا أن ننقله إلى المستشفى ولكن في الطريق لفظ أنفاسه وتوفي .. الحالات مثل هذه بالمئات وبالآلاف نتيجة معايشتنا لما يحدث هناك.. عندما كنت أقضي أشهراً في مخيمات اللاجئين والنازحين في السودان وفي أثيوبيا وفي كينيا وفي غيرهم من الدول كنت كل يوم أرى هذه الحالات حتى بدون أن أذهب إلى بيوتهم هم يأتون لنا ولكن تدخلنا لعلاجهم يكون متأخراً جداً مع الأسف، وأثناء محاولتنا إنقاذهم نقدم لهم شيئاً من العلاج ولكن يموتون. خاصة بعد أن تصل الملاريا إلى المخ. وسنوياً حتى بدون المجاعة يموت في أفريقيا مليون طفل أغلبهم من المسلمين على الأقل ٦٠ إلى ٧٠٪ منهم مسلمون!

- المنطقة التي أصابتها المجاعة الآن في أثيوبيا قد أصابت أكثر السكان، ٦٠٪ من المسلمين ولا يجدون شيئاً يسدون به رمقهم، لو أكلوا وجبة واحدة قيمة هذه الوجبة ١٥ فلس كويتي، أو ١٧ هللة سعودية لأغنتهم، واستطاعوا أن يعيشوا من هذه الوجبة!

الوجبة هي عبارة عن خليط من الدقيق نخلطه مع سكر وزيت وأحياناً مع حليب بودرة إذا توفر أو فول الصويا نطحنه ونخلطه معهم، نعمل هذه الشوربة ونضعها في براميل مثل براميل البناء ونضع معها ماء ونضعها على النار وبعد مدة نعطي كل واحد كوب من هذه الشوربة أو العصيدة، ويسمونها هناك (مديدة) ويشربونها وتكفيهم هذه

الوجبة أن يعيشوا وأن يستردوا صحتهم لو توفرت لهم ولكن أغلبهم لا يملكون الخمسة عشر فلس أو ١٧ هللة ..

- ❖ سنوياً يموت مليون طفل بسبب الملاريا: ٩٠ ٪ منهم مسلمين، لأن أهلهم ليس معهم كلفة علاجهم بالكلوروكين الذي يكلف ١١ هللة.
- ❖ سنوياً ١٠٠ ألف طفل من طلبة القرآن في الصحراء الكبرى يصابون بعمى دائم بسبب نقص الفيتامين A، الذي تكلف الحبة الواحدة منه: هللة واحدة وتكفي لثلاث سنوات، هللة واحدة تعني إبصار أو عمى عند طفل يحفظ القرآن.

إن الغالبية العظمى من السكان في المناطق التي اجتاحتها المجاعة هي من مسلمين (٩٠٪ مسلمون) والمسلم مسلّم أمره لله سبحانه وتعالى، وعندما تذهب إلى هناك ترى الأطفال هياكل عظمية.. طبعًا هذا مرض من أمراض نقص التغذية الذي هو (المرازمس) الذي هو الهيكل العظمي، ولكن هناك أمراض أشد خطورة من ذلك، عندما ينتفخ بطن المريض هذا يسمونه الـــ(كواشركور)، نادراً أن يموت الإنسان من الجوع مباشرة، ولكن الذي يقتله هو مرض بسيط جداً من الأمراض، مثل الحصبة كلنا أصبنا بها، وما أظن واحد لم يصب بها عند الصغر، ولكن لم يقعدنا، نذهب نلعب كرة، نذهب إلى الشارع..

يعني قضية بسيطة جدًا، ولكن في المجاعة هي أكبر قاتل، لأنه لا يوجد مناعة، فأي فيروس بسيط يمكن أن ينتشر بدون أي مقاومة من جسمك ويقضي عليك.

- ❖ هناك طفلة ميِّتة يحفرون لها القبر و يدفنونها، والحفرة مجرد شبرين أو ٣ أشبار، فليس عندهم قدرة أن يحفروا أكثر من شدة التعب، مناطق المسلمين ليس فيها حشائش إطلاقاً، لهذا ماتت الحيوانات ثم مات البشر.

أعتقد أن الوضع مأساوي إلى أبعد حدود، عندما تذهب إلى هناك وتسمع أصوات الموت، عندما ترى.. كل دقيقة ينادونك: تعال دكتور شاهد هذه الحالة وعندما تذهب وترى أنها على وشك الموت وخلال دقائق قد ماتت.

❖ أوقفتني امرأة وقالت: أعطني الغترة (غطاء الرأس) الذي تضعه حتى أكفن فيها طفلي الآن سيموت وليس عندي كفن، أعتقد أن هذا الموقف لا ينساه الإنسان أبدًا.

المنظر مؤلم جداً، على الرغم من أني عملت في ٥ مجاعات تقريباً، مجاعة السودان وإثيوبيا والصحراء الكبرى عام ٨٤م، مجاعة ٩٠/٩١ في الصومال، والمجاعة الحالية.. مجاعات كثيرة عملت فيها، لكن عندما يموت طفل في يدك، يموت طفل أمامك تبقى الصورة...

❖ الناس يموتون في الطريق.. عندما تقود السيارة ترى الحيوانات على اليمين وعلى اليسار طول الطريق جثث الحيوانات، عندما تقف في أي قرية من هذه القرى المنكوبة تجد أن الناس من التعب لا يستطيعون الذهاب إلى المقبرة، فتجد قرية ربما فيها ٧ آلاف أو ٨ آلاف نسمة، فيها ٥ أو ٦ مقابر، لماذا؟ لأنهم يحبون الدفن في أقرب مكان!! في كثير من الأماكن الناس ليس عندهم القدرة على حفر القبور.

❖ في مجاعة ١٩٨٤م، مات فيها مليون و٢٠٠ ألف إنسان في إثيوبيا وحدها، مات فيها مئات الألوف في السودان، مات فيها مئات الألوف في الصحراء الكبرى، وغيرها من الدول الأخرى.

❖ رأينا أناساً يحفرون بيوت النمل، يبحثون عن حبة أو حبتين شعير، يريدون أن يشاركوا النمل في الحب، رأينا أناساً ليس عندهم القدرة على حفر القبور، يقولون لنا: قبل أن تذهبوا احفروا لنا بعض القبور، رأينا آلافاً مؤلفة من الناس بدون أكفان،

رأينا بالحقيقة أناساً كثيرين، إذا مات الطفل ركض عليه الأطفال الآخرين ليترعوا ملابسه، لأن هؤلاء أحياء يريدون أن يلبسوها، والحي أولى من الميت، أنا دفنت الكثير من الناس بالشوالات، ولكنني أثرت غضبهم بسبب حاجتهم للشوال، أو كنت أدفن الموتى بأوراق جرائد أو بحشيش، لو توفر الحشيش.. في أغلب الأحيان نحفر له وندفنه بالتراب هكذا...

- ❖ إنها قضية حياة أو موت... قبل أيام وقع حادث في (منديرا) في شمال كينيا، جاء خزان مياه على سيارة حتى يزوّد الناس بالماء.. كثير من الناس لم يشربوا ماءً منذ يوم كامل، وبعضهم منذ يومين، والحرّ شديد، الحيوانات أيضاً تعاني ما يعانيه البشر، فهجمت القرود على سيارة الماء تريد أن تشرب من الماء، والناس تريد الماء، والناس آلاف مؤلفة لن تكفيهم هذه العشرة آلاف لتر أو الخمسة آلاف لتر التي حملناها في السيارة، فصارت معركة بين القرود وبين البشر، سقط جرحى وقتلى من الطرفين، ونشر هذا في الجرائد المحلية، لكن هذا لم ينشر في أي قناة عالمية و لم يذكر.
- ❖ في أثيوبيا.. العديد من الأطفال أكلتهم الضباع (أنا رأيت ضباع هناك)، لأن الضبع أيضاً من مخلوقات الله تعالى وليس عنده شيء يأكله فلا تلمه، كل الحيوانات ماتت..

عندما لا تترل الأمطار لا يوجد عشب فالحيوانات تموت، حتى لو نزلت متأخرة أو نزلت في غير موعدها، وهذا يسمونه في الجزيرة **الوسم**، فإذا نزلت الأمطار في الوسم، لا تستفيد الأرض منه فتموت الحيوانات ليس في ذلك شك، و البشر تعتمد على الحيوانات في الحليب، الآن لا يوجد حليب، ويعتمد عليها في اللحم، و الآن لا يوجد لحم..

هذه المشكلة لو حدثت في أميركا، وأحياناً تحدث في أميركا وأوروبا، لكن هذه الدول ذات اقتصاد وبنية تحتية قوية تستطيع التغلب على الجفاف، أما هذه الدول الفقيرة: فقيرة ماليًا، فقيرة إداريًا، فقيرة سياسيًا، و فقيرة في البنية التحتية، فلا تستطيع حتى أن تصلّح بئر، هناك كثير من الآبار تعطلت نتيجة الضغط الشديد عليها تعمل ٢٤ ساعة، الآبار العميقة خاصة.

فإذا كان عندك مثلاً ١٠٠ رأس من البقر يعطونك مدة ١٠ دقائق أو مدة ربع ساعة لتشرب أبقارك منها، لو مضت الربع ساعة وأنت لست موجود انتهى دورك و ستموت أبقارك.

❖ أذكر في المجاعة الماضية في شمال كينيا كنت هناك، انكسرت المضخة في بئر من الآبار الارتوازية، والسكان بدو صوماليون، واحد منهم قال: والله في المكان الفلاني على بُعد ١٠٠ كيلو متر يوجد بئر وفيه ماء، فالناس كلها اتجهت هناك، طبعًا بعضهم مات في الطريق، ولما وصلوا هناك اكتشفوا أن البئر تعطل لا يعمل لأنه لا يوجد مواصلات ولا تليفونات و لم يخبرهم أحد أن البئر تعطل.. فماتت كل الحيوانات..

المناطق التي فيها المجاعة الآن في الصومال، في شمال كينيا، في إثيوبيا، في إريتريا، بعض المناطق ليس فيها حيوان واحد، عندما ذهبت هناك حاولت أن أشتري بقرة، عندي وصية من امرأة عجوز في الكويت قالت لي: بأي ثمن اشتري لي بقرة وتذبحها وتعطيها للمجاعة، ما وجدت بقرة واحدة! نعم وجدت أبقار على وشك الموت، أنا متأكد لو ذبحتها لن آخذ منها نصف كيلو لحم، فلن أستفيد منها إطلاقاً.

فتصور لا يوجد حيوان واحد، وهؤلاء الناس الذين كانوا في البادية كلهم جاؤوا إلى هذه القرى أو هذه المدن ظنًّا منهم أنهم سيجدون الماء أو..

❖ في قرية من القرى عددهم ١٥ ألف نسمة كان يأتيهم ٦ آلاف لتر في اليوم من الماء، طبعًا تنقلها بعض الشاحنات، ٦ آلاف لتر لـــ ١٥ ألفا معناه كل واحد يأخذ له أقل من نصف لتر...ماذا يعمل بها، هل تكفيه للغسل أو للأكل أو للشرب أو للطبخ أو ..؟! هذا هو وضعهم الحالي.

❖ في مجاعة ١٩٩١م، كنت لاجئ -إن صح هذا التعبير- وأصبحت ضيفاً عند أهلي وإخواني في السعودية، أنا كنت بلا وطن، بلدي محتلة، وبلا بيت، بلا غطاء، لا مكان أنام فيه، ورغم هذا كنا أول منظمة في العالم كله بدأت في إغاثة إخواننا الصوماليين في مجاعة ذلك العام، قبل أن تتحرر الكويت، كنت أنا شخصياً، ومجموعة من شبابنا، من شباب الكويت، ومن شباب السعودية، ومن شباب الدول الخليجية الأخرى يعملون هناك،كانت لجنة مسلمي أفريقيا وجمعية العون المباشر هي أول منظمة قبل أن تعلن الأمم المتحدة أنه يوجد مشكلة في شمال كينيا.

❖ ذهبت إلى قرية من القرى وجدت فتاة عمرها ١١ سنة تحمل طفلها وكانت أرجلها مثقبة ويخرج منها الصديد، إخواننا أخصائيي العظام يعرفون أن هذا غالباً هو التهاب نخاع العظم في الرجل، الفتاة هذه لو أخذت مضاد حيوي ربما بريال سعودي لكانت شفيت. وإذا لم تأخذ المضاد الحيوي فمن المؤكد أنها ستموت.

❖ امرأة مشت ٤٠ يوم على أقدامها، مات ثلاثة من أولادها في الطريق، وبقي عندها طفل واحد، وعندما وصلت في أول يوم مات الطفل، مباشرة حملنا الأكل وأعطيناه إياها و لم نسألها شيئاً، هي واضح أنها غير مسلمة، لكن بالنسبة لي أنا أتقرب إلى الله

- سبحانه وتعالى- كمسلم في ذلك، أنا لا يمكن أن أعمل ما عملته بعض المنظمات الغربية حينما تركت بعض المسلمين يموتون جوعًا، وهذا حصل في عام ١٩٨٤م في الحبشة وحصل في السودان، وحصل في أماكن كثيرة.

❖ جاءنا رجل ومعه ثلاثة أطفال صغار بعضهم رضع، وقال: بالله عليكم خذوهم فقد ماتت أمهم أناشدكم الله أن تأخذوهم وتربوهم في بيوتكم فأنا أموت معهم جوعاً.

❖ وجاءت امرأة صومالية بدون غطاء على رأسها على غير عادة الصوماليات تحمل طفلها وهو أشبه بهيكل عظمي يشعر الإنسان بأنه على وشك الموت جوعاً وقالت: إن أخته قد ماتت بالأمس ولم يكن عندنا كفن فكفنتها بخماري الذي أغطي به رأسي وهذا الطفل سيموت وليس لدي ما أكفنه به فهل تتصدقون علي بأي قماش أو حتى بشوال لأكفن به ولدي هذا بعد موته ...

أين نحن من حديثه ﷺ: "من أطعم مؤمناً حتى يشبعه من سغب أدخله الله باباً من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله"(١).

وقوله: "إن العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد"(٢).

❖ امرأة هاجرت من قريتها جاءت من منطقة بعيدة جداً حوالي ٥٠٠ كم منذ ٤٠ يوماً تمشي هي وأطفالها في وسط الصحراء يأكلون العشب الموجود فيها، مات بعض أطفالها، لديها طفلين صغيرين، شكوا في الطريق أنهم لم يعودوا يستطيعون المشي من شدة الضعف، ومن المستحيل أن تحملهم هي لأنها ضعيفة جداً أيضاً، حاولت معهم فلم يستطيعوا السير فتركتهم في الصحراء وهي تعلم أنه سيأتي حيوان مفترس فيأكلهم، وبعد مدة مر عليهم رجل بدوي صومالي حملهم وجاء بهم إلى نفس المخيم

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) أخرجه الطبراني.

الذي أتت إليه أمهم، وسمعت صراخ المرأة التي رأت الأولاد وأرادت أن تأخذهم فرفض البدوي أن يعطيها إياهم وقال لها: لو كانوا أولادك لماذا تركتهم في الصحراء، وحاولنا إقناعه، وأخيراً أقنعته أن يعطيها الأولاد مقابل كمية من الطحين.

- امرأة فقدت زوجها في المجاعة، ورحلت طلباً للغذاء وماتت هي وأولادها و لم يبق إلا بنت صغيرة عمرها ٨ سنوات، وصلت وهي ممزقة الثياب بل من الصعب أن تقول أنها كانت مرتدية ثياب، وضعيفة ومتورمة القدمين وأقدامها كلها تقرحات، كانت تبكي من الضعف ومن فقد الأهل، ألبسناها وأعطيناها وجبة من الشوربة المخففة بالماء لأننا لو أعطيناها إياها كما هي ربما تصاب بالإسهال لأن معدتها لم تتعود على الطعام منذ فترة طويلة، وتبنتها إحدى العائلات في المنطقة.
- زرنا إحدى القرى لم نجد أي طفل عمره أقل من ٥ سنوات لأنهم كلهم ماتوا بالمجاعة.
- في إحدى القرى رأيت أطفالاً صغاراً يأكلون أعشاباً سامة، فقال لي شيخ القرية: انظر إلى هؤلاء الأطفال سيموتون بعد قليل، قلت له: قل لهم ألا يأكلوا من هذا العشب السام، قال: لن يستجيبوا لي حتى لو أخبرتهم لأنهم جائعون جداً والجوع قاتل وكثير من الناس يفعلون كذلك.
- قابلت شيخاً يسير على قدميه ٦ أيام، لم يأكل إلا الحشيش الذي كان يراه في البر وكان يحمل لوح القرآن الذي كان يعلّم فيه القرآن ويُصر رغم تعبه وموت عدد من أطفال عائلته على عدم ترك اللوح، أعطيته أربعة أرغفة من الخبز، تناولها كالمجنون هو وأولاده وبدؤوا يلتهمونها.
- في إحدى المجاعات رأيت امرأة تتصرف بشكل غير طبيعي فأعطيتها كيس قماش فيه اثنان كيلو من الدقيق، فأدخلت أظافرها في كيس القماش ومزقته وبدأت تلتهم

الطحين التهاماً، قلت لهم: هل هي مجنونة، قالوا: لا ولكنها منذ ثمانية أيام لم تتناول طعاماً على الإطلاق.

❖ الحاجة أكثر بكثير مما يتوقعه الإنسان، نجد مستوصفات ليس فيها حبة أسبرين، عائلات بلا ملابس تمزقت ملابسهم وليس عندهم غيرها، ١٩ شخص يعيشون في مكان صغير جداً لا يستطيع إنسان كامل النمو أن يمد رأسه ورجليه داخله.

❖ رأينا أناساً منذ سبع سنوات لم يذوقوا اللحم.

❖ رأيت امرأة تلد وتنزف وتموت بعد الولادة مباشرة بسبب عدم مقدرتها على تحمل النزف الحاصل بعد الولادة، وبسبب سوء التغذية بنقص فيتامين k الذي يؤدي إلى استمرار النزف.

❖ بيوت المنكوبين كانت كلها من كرتون لا تحمي من مطر ولا برد، وأينما تذهب ترى الهياكل العظمية للحيوانات أو حيوانات ميتة ملقاة على الأرض على يمين ويسار الشارع في القرى التي زرناها.

❖ نسبة سوء التغذية في بعض القرى تصل إلى ٤٠٪ و في إحدى القرى ٧٠٪.

❖ في بعض القرى توفي ١٥ ٪من أطفالها، عندما زرتهم لم أر مقبرة إلا ويحفرون فيها القبور في أي وقت مررت أرى ذلك.

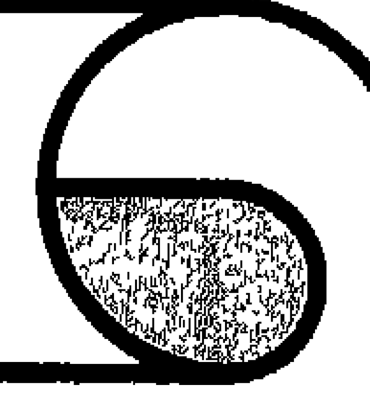
❖ الناس تقتات الحشيش وفي الغالب لا يوجد حشيش فيأخذون العظام ويطبخون منها ٤ أيام.

❖ سمعت من عائلة: أنه عندما كانوا في طريقهم إلى مخيمنا، مات طفل منهم ثم ماتت الأم فلم يجدوا طعاماً يأكلونه فاضطروا إلى أن يأكلوا أمهم وتركوا بقيتها دون دفن.

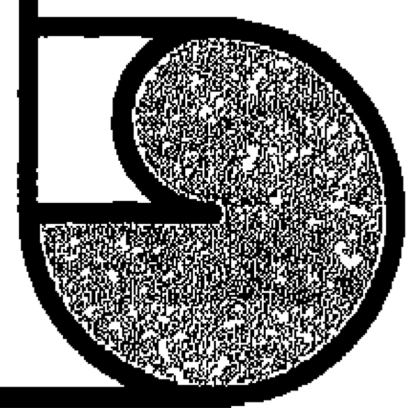
❖ الكثير منهم يطلب فقط كفناً لأنه لم يعد لديهم أمل في أن يعيشوا.

- **أهم الأمراض الموجودة هناك:**

١. سوء التغذية: إما أن ينتفخ البطن بسبب نقص البروتين، أو أن يكون نحيلاً جداً بسبب نقص النشويات.
٢. الملاريا: التي تنتشر بشكل وبائي في أوقات المجاعات وتقضي على مناطق بأكملها وينتقل عن طريق البعوض.
٣. الحصبة: وهي أكبر قاتل عند الأطفال هناك، بينما الحصبة عندنا تصيب أولادنا ولا يتأثرون بها سوى بعض التعب لمدة يوم أو يومين.
٤. السل.
٥. الأمراض الجلدية وخاصة الجرب، والخدمات والأدوية غير موجودة في المناطق البعيدة عن المدن.



أسفاً على قومي وهم أحفاد من   شادوا صروح المجد في البلدانِ
كنّا بحاراً في البحار   وربما صارت منائرنا ندا الرحمانِ
مَنْ غيرُنا كشفَ الظلامَ ولم نكن   إلا نجوم سماء كل زمانِ
وبالليل رهبان وعند لقائنا   لعدونا من أشجع الشجعانِ
حتى تركنا المجد يهتف صارخاً   أين الألى ملكوا يدي ولساني
يا ألف أغنية تخدر جيلنا   يا ألف فلم خائب فتانِ
هاتوا طبيباً واحداً متألقاً   بجميع من في الأرض من فنانِ
هب لي دماغاً زاكياً لأري به   صنع الخبير الواحد المنانِ
وخذ الألوف إليك من أوطان   من غير ما عوض و لا أثمانِ
رفعوا لنا الأسعار في تعدادهم   بل أكسدوا حتى الهواء الداني
عدد الحصى والرمل في تعدادهم   لكنهم كالريش في الميزانِ
نستورد المصنوع والمزروع والـــ   ـــمنسوج حتى جزمة الولدانِ
القدر من روما و صحن طعامنا   من لندن و الرز باكستاني
والثوب من أثينا وختم شماغنا   بسويسرا و الخبز من يوناني
ونقول نحن أجلّ من وطأ الثرى   وطأ الثريا غيرنا بثمانِ



لله در الهمم .. ما أعجب شأنها..
وأشد تفاوتها.. فهمة متعلقة
بالعرش..
وهمة هائمة حول الأنتان والحش

همسة عتب في أذن المسلمين

❖ **يقول د.عبد الرحمن السميط:**

- في منطقة كيلو في جنوب تشاد:

خطب السلطان (وهو ما يعادل شيخ القبيلة عندنا)، امرأة مسلمة ولكنها رفضت، فاستغرب من رفضها خاصة وأنه شيخ القبيلة الكبير الثري، فذكرت له أنها مسلمة، ولامكن أن تتزوجه ما لم يسلم ....فسأل بعض الناس عن الإسلام، فشرحوا له شيئاً قليلاً جداً وهو كل ما يعرفونه فأسلم السلطان، ودخل بيته و جمع زوجاته وأخبرهم أنه لا يستطيع البقاء معهن لأنهن كافرات وهو مسلم ... وبعد نقاش وجدال وسؤال وجواب أسلمت زوجاته، ثم إلى أولاده وبناته وطلب منهم أن يبحثوا عن مكان آخر يعيشون فيه، لأن بيته أصبح بيتاً مسلماً، فأسلم أولاده، وكان هناك اجتماع لكبار رجال القبيلة (ويسمونهم الأجاود) من عدة قرى بالليل للتباحث في حل بعض المشاكل، وعندما وضع الطعام وانتظروا السلطان أن يبدأ الأكل، رفض السلطان بحجة أنه مسلم، وهذا طعام كفار وبعد نقاش أسلم كل الأجاود، ثم قاموا بنقل الإسلام إلى قراهم ودخل الآلاف منهم الإسلام، ولكنهم لم يجدوا شخصاً يشرح أحكام الإسلام ويبصرهم بدينهم وبقوا مسلمين اسماً لا يعرفون إلا القليل عن دينهم مما فهموه من بعض المسلمين البسطاء في المنطقة.

حتى أنهم لم يعرفوا صلاة العيد، فجلس السلطان على كرسي وجاء الناس يسلمون عليه بدلاً من صلاة العيد.

قارنت بين هؤلاء الذين هم في أمس الحاجة إلى من يبصرهم بدينهم وبين بعض المسلمين الذي يقضون الساعات الطوال في نقاش حول اختلاف الآراء في الفقه ويفرقون بها بين المسلم وأخيه ويثيرون بها فتناً تشق صفوف المجتمع..

- خلال زيارتنا للقرى المختلفة كان الطلب الذي نسمعه في كل مكان نرجوكم أن تزورونا حتى لو لم تقدموا شيئاً لنا، نريد أن نرى إخواننا المسلمين، إن عليكم واجباً أن تذكروننا بهويتنا الإسلامية.
- يبلغ عدد سكان مويالي حوالي ٢٠ ألف نسمة ٨٨ ٪ منهم مسلمين. وهي تبعد كيلو متر واحد عن أثيوبيا. وهناك منطقة اسمها دبيل تبعد ٣٥ كيلو متر عن مويالي قامت الحكومة الكينية بتدمير القرية تماماً عندما ثار الناس في المناطق الشمالية والشرقية ضد الحكومة في الستينات، وتفرق أهلها وسط الغابات، ولكن منذ حوالي خمسة عشر سنة بعد أن هدأت الأمور وتجمع بعض المسلمين من الغابات في هذا المكان وقد كانوا بلا طعام ولا منازل ولا أي من الخدمات.

قال لي زعيم القرية: جاء بعض الناس بأطعمة في وقت المجاعة وطلبوا منا أن نغير ديننا حتى يعطونا الطعام، وكان هذا الطعام من أطعمة برنامج الغذاء العالمي التي تساهم فيه كل الدول العربية والإسلامية، ولكن الأهالي رفضوا رفضاً قاطعاً أي نقاش حول الدين.

قلت له: ما هي أولوياتكم؟ فقال: لا خيار لنا، إننا كل يوم ندعو الله سبحانه وتعالى أن يصل إلينا إخواننا ليبنوا لنا مسجداً ومدرسة، فهذا أهم شيء عندنا، نريد مدرسة تعلم أولادنا الدين الإسلامي ليفتخروا به ...يالله!كم تأثرت! وكم تعلمت من دروس كثيرة في العزة من هذه القرى.

لقد سألنا أحد المبشرين إن كان قد نجح في عمله، فقال: نعم. فقلنا له:

كم مسلماً نصَّرت؟ قال: أنا هنا منذ عشر سنوات، وقد استطعت تنصير طفل صغير. فقلنا له: ألا تعتبر هذا فشلاً ؟ قال: بالعكس أنا أعتبر أن ما قمت به منتهى النجاح، إذ أن العمل في وسط المسلمين ليس سهلاً كما يتصور الآخرون. إنهم متمسكون إلى أبعد الحدود بدينهم.

لو يرى المسلمون الذين يقلدون الآخرين في كل تصرفاتهم، بل حتى في أذواقهم وملابسهم وتقاليدهم وأخلاقهم، عزة هذا القروي الذي لم يرى عربياً في حياته، ولم يقرأ كتاباً واحداً عن الإسلام، وربما حتى لم ير مصحفاً، ولكن هذا لم يمنعه من أن يعرّض نفسه وقريته للموت جوعاً، على أن يرضى بتغيير دينه.

في منطقة موبالي تجد الكثير من الأسماء العربية الإسلامية على المحلات التجارية، فمثلا ..مطعم (توكلنا على الله)، وفندق(الإيمان) و بقالية(المدينة المنورة)، ودكان (بسم الله) ......

الإسلام هنا يحتل مكانة عالية في نفوس الناس بدون وجود دعاة متخصصين، و أعز هدية يمكن تقديمها للناس هنا كتاب إسلامي يفرحوا به.

- **فرنسية في مركز إغاثة:**

من الأمور التي تأثرت بها عند زيارتي لمركز إغاثة من المراكز الأوربية أني رأيت فتاة فرنسية تدير هذا المركز في ريعان شبابها لم يتجاوز عمرها الرابعة والعشرين، وعندما سألتها عن سبب وجودها هنا، ذكرت أنها تقوم بأعمال الإغاثة والإشراف على هذا المركز.

سألتها أين كانت من قبل، فذكرت أنها كانت في جنوب السودان وفي منطقة أكثر صعوبة بكثير من منطقة عملها الآن، فالمنطقة كانت بدون كهرباء ولا ماء، فيها

الكثير من البعوض والحيوانات المفترسة وخشونة طباع الناس هناك. سألتها لماذا هي هنا، فقالت: من أجل الخدمة الإنسانية، وهي لا تتلقى إلا راتباً بسيطاً جداً كمصروف جيب.

- **امرأة أخرى:**

تذكرت كذلك تلك المرأة والتي استقبلتنا في منطقة نائية في وسط الصحراء في تشاد، وأنا أدخل إلى مركز للخدمة الاجتماعية في قرية أم بشه وهي تقول: أهلاً وسهلاً بلهجة لبنانية واضحة، ولما سألتها هل أنت لبنانية؟

قالت: نعم.

قلت لها: ماذا تعملين هنا؟

قالت: أخدم في مركز الخدمة الاجتماعية.

قلت: ومن أرسلك؟

قالت لها: الكنيسة.

قلت لها: منذ متى ؟

قالت: منذ ٢٥ سنة.

في قرية ليس فيها أدنى متطلبات الحياة حتى الماء لا يجدونه إلا قطرات دون أن تشتكي ..دون أن تطلب راتباً ...دون أن تسأل عن حياة النعومة والراحة في لبنان، بينما نحن ندعي أنهم على باطل وأننا على حق فهل صدّقنا القول بالعمل؟

ولماذا لا نرى تضحيات المسلمين في الدعوة في هذا الزمن ...

والله لا أرى سبباً إلا هبوط الهمم التي جعلت من النسور زرازيراً، ومن الأسود قططاً، وإلا فأن المسلمين أولى بهذه التضحيات وإنكار الذات، فنحن أبناء دين يدعونا فيه رب العزة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة:١١١]

قد هزتني تلك المرأة الفرنسية في صحراء لاهبة وغبار كثير و قاذورات في كل مكان وصياح الأطفال والموتى هنا وهناك.

وتذكرت نساءنا في بلادنا العربية والإسلامية، كل ما يهمهن هو السؤال عن آخر الموضات و أجمل التسريحات، و أحدث العطورات، وكيف يمكنهن أن ينفقن ما تبقى من أموالهن على التوافه من الأمور....

- أقارن بعض نسائنا بتلك الفتاة الأمريكية التي تلبس مثل الصوماليات

وتسمت باسم عائشة و تجيد اللغة الصومالية كأحد أبنائها وبناتها، ولها عدة سنوات، كانت تعمل في وسط الظروف الصعبة في الصومال، فلما حدثت الحرب الأهلية عادت إلي الصوماليين في شمال كينيا، وسألتها من أين هي؟ قالت: إنها أمريكية الجنسية بعثتها الكنيسة الأفريقية الداخلية ومركزها في الولايات المتحدة وأنها تقوم بخدمة المحتاجين باسم الكنيسة.

من المؤلم: أن لا يرى الإنسان أي رجل عربي خاصة من دول الخليج وغيرها قد وصل في إنكار ذاته إلى أن يحذو حذو هؤلاء النسوة من أتباع المسيحية، وعاش وسط إخوانه المسلمين في المناطق المختلفة في أفريقيا وغيرها.

- **تضحيات د. كاثرينا:**

أثناء زيارتي إلى جنوب وشرق أثيوبيا للوقوف على حجم كارثة المجاعة، هالني وجود العدد الكبير من الغربيات من المنتميات إلى الكنيسة، أو إلى منظمات غربية علمانية، ومعظمهن في سن الشباب، يعملن وسط الجوعى، ولكوني أرتدي الملابس العربية، اقتربت مني إحداهن وكلمتني بعربية جيدة عرفت منها أنها ألمانية واسمها كاثرينا،

وأنها قضت أكثر من عشر سنوات في ممارسة العمل الخيري في اليمن وسوريا، وحدثتني عن الظروف الصعبة التي كانت تعيشها في اليمن والصومال والسودان.

وقالت إنها جاءت هذه المرة لتعمل في منطقة المسلمين في أثيوبيا ضمن منظمة علمانية ألمانية متخصصة في تقديم المساعدات في مجالي الزراعة والري.

وعندما أطلعتني على بطاقتها، اكتشفت أنها تحمل شهادة الدكتوراه في الإسلاميات من ألمانيا، وتعجبت! فرغم ذلك لم تسجنها هذه الدكتوراه في مكتب أو مختبر.

أذكر أن المنطقة التي كنا نعمل فيها لا يوجد فيها إلا القليل جداً من الماء، حتى إنني كنت أكتفي في الوضوء بغسل وجهي ويدي مرة واحدة، بل الماء الذي كنا نشربه كان مليئاً بالطين و لم يكن هناك ماء للاغتسال من التراب والغبار سوى هذا الماء.

بعد أن سمعت هذه القصة سألت نفسي:

متى نرى شبابنا يفعلون مثلما تفعل د.كاثرينا، تعيش في ظروف صعبة وسط الأمراض، سعيدة بأن لحياتها طعماً لأنها تخدم الآخرين.

- **عثمان مسلم نصراني:**

ضللت الطريق في إحدى المناطق الريفية في سيراليون، فاستعنت بشاب لمساعدتي، ومن خلال الحديث معه عرفت أنه مسلم من عائلة مسلمة واسمه عثمان. سألته إن كان يصلي ، فأجاب بنعم، ومرة أخرى سألته: كم مرة في اليوم؟ فقال: إن ذلك يعتمد على المزاج ..! اِستغربت، ثم سألته: كيف يصلي؟ فرسم الصليب على جبهته وصدره، فقلت

له: أين تعلمت هذه الصلاة؟ فقال: في مدرسة القديس جورج التابعة للكنيسة البروتستانتية.

وتساءلت في نفسي: ترى هل كان سيقول ذلك لو أن هناك من علمه مبادئ الإسلام، وشرح له مبادئ العقيدة وأركان الإيمان؟

يا ليت شبابنا الذين يقضون الساعات الطوال في حرب إخوانهم من الداعين إلى الإسلام يصرفون جهودهم من أجل تعليم أمثال عثمان، وما أكثرهم في أفريقيا..!

- **أين أنتم أيها العرب المسلمون؟**

كنت أسير في شوارع عاصمة مالي أثناء زيارة لها خلال مجاعة الثمانينات، وبسبب ثوبي العربي أثرت انتباه فتاة، فاقتربت مني وألقت عليّ السلام ثم قالت متسائلة: أين إخواننا العرب؟ فأنا من القبائل العربية في شمال مالي، توفيت أمي منذ مدة، وفي هذا الجفاف ماتت كل حيواناتنا، ثم ذهب أبي يبحث عن لقمة عيش منذ مدة طويلة ولم نسمع عنه شيئاً.

وواصلت: كان يمر عليّ اليومان والثلاثة والأربعة بدون طعام على الإطلاق، حتى اضطررت إلى أن أعمل عملاً أعلم أنه عمل سوء، ولكن لم يكن أمامي إلا الموت جوعاً أنا وإخوتي الصغار، أو أنحرف إلى السير في طريق الرذيلة، وأردفت: إننا جهلة بديننا رغم أننا حافظنا على لغتنا العربية منذ مئات السنين ونحن فقراء، وكنا نتمنى منكم – إخواننا العرب – أن تساعدونا ولا تتركونا نفرط في شرفنا الذي هو شرفكم كذلك لأننا منكم. قل لأهلك العرب أن ينجدوا الآلاف من بناتنا قبل أن يقعن فيما وقعت فيه. ومني إلى كل عربي مسلم ..! .

إن مأساتنا نحن المسلمين أن هناك كثيراً من الناس عندهم أكثر مما يحتاجون من المال أو الوقت أو العلم أو الجهد أو الإمكانيات الأخرى ....وهناك أناس لديهم أقل بكثير مما يحتاجون.

- أقول هذا الكلام وأتذكر قرية مررنا عليها في الطريق، هي قرية دريبغو مبو.

هذه القرية ليس لديهم مسجد وحان موعد صلاة عيد الأضحى الماضي، ولم يعرفوا أين يصلون، فذهبوا إلى الكنيسة وطلبوا من القسيس أن يسمح لهم بصلاة العيد، ولكن القسيس كان قصير النظر وهذا من فضل الله عز وجل فقام بطردهم.

يعيش في صحراء شلبي بشمال كينيا الآلاف من أبناء القبائل المعزولة التي لم تعرف الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر سبيلاً إلى حياتها، وهم يحبون سماع كلمتي مكة والمدينة المنورة، ولم تحل وثنيتهم دون إيمانهم بوجود الله.

فليس من العسير إقناعهم بالإسلام، ودعوتهم إلى اعتناقه، ولكن الصعوبة الحقيقية في هذا الأمر تكمن في شباب الجماعات الإسلامية الذين يجب عليهم أن يقوموا بهذا الواجب.

ولكنهم مع الأسف الشديد، يضيعون جهودهم في البحث عن أخطاء الآخرين، لكي يثبت كل منهم أن جماعته تمثل صورة الإسلام الصحيحة. فضلاً عن حرص هؤلاء الشباب على أداء العمرة عشرات المرات، وما يتطلبه ذلك من نفقات مالية كبيرة، وهم يرون أمام أعينهم هؤلاء الفقراء من المسلمين الذين أقاموا مساجدهم من القش أو ورق الكرتون أو الخيش أحياناً!

ترى هؤلاء الفقراء يتدافعون على نيل كتيب صغير سمعوا عنه أنه كتيب إسلامي. ولا أخالهم يفعلون ذلك عندما يرون طعاماً شهياً وبطونهم تطوي من الجوع...!

أليس من العار أن يبقى طفل مسلم لا يتعلم بسبب الفقر وأمتنا هي الأغنى في العالم!.

هل تعلمون أن كلفة مجموعة من هذه الكتيبات التي تهدي قوماً إلى دين الله لا تساوي عشر ما ينفقه أحدهم في وجبة سريعة في أحد المطاعم المتواضعة ؟! .

فأين نحن من حبيبنا المصطفى ﷺ، الذي لم يكن يعيش أحياناً إلا على الأسودين. "وما أكل ﷺ خبزاً مرققاً ولا شاة مسموطة حتى لقي الله" (1)؟!

- عبرنا النهر الذي يشكل الحدود بين كينيا و أثيوبيا في طوافات من البراميل الفارغة، التي ربطت ببعض الأخشاب وعلينا أن نجلس عليها بطريقة معينة حسب تعليمات قائد الطوافة حتى لا تنقلب بنا في وسط النهر.

وهذه الطوفات هي قطع من الأخشاب المربوطة مع بعضها على ٤ براميل فارغة، ومن السهل جداً انقلابها في الماء ويتم توجيهها بواسطة عصا طويلة تغرس في قاع النهر وتدفع، وعلى قائد الطوافة أن يتغلب على تيار المياه السريع في النهر دون أن تنقلب الطوافة وتلقي بنا في الماء كما يحدث بعض الأحيان، ووصلنا إلى الجانب الأثيوبي بعد جهد جهيد وزرنا مراكز الإغاثة التابعة للجنة في الجانب الأثيوبي بعد أن عبرنا النهر.

وكان الوضع سيئاً للغاية، رأينا طفلاً لا زال على قيد الحياة يبلغ وزنه ٤٠ ٪ مما يجب أن يكون عليه وشقيقه التوأم ٥٦٪ من الوزن الطبيعي.

دمعت عيناي وأنا أرى هذين التوأمين المسلمين وتذكرت الخير الذي يعيشه المسلمون في بلادنا، وأرى هؤلاء الأيتام من حولي في كل مكان في هذه المراكز وأحس بالألم يعتصرني.

---

(1) أخرجه البخاري

نسمع أن فلاناً اشترى حصاناً بكذا ..وأن فلاناً أصلح قصره في المكان الفلاني بخمسة ملايين جنيه إسترليني، وأن فلاناً خسر مبلغ كذا في ليلة واحدة على موائد الميسر، وقصص من هذه الأنواع التي يعتصر لها القلب.

- أذكر أن شيخاً كبير من قرية رمسو من قبائل البوران في أثيوبيا، أسلم هو وزوجاته وأبناؤه الواحد والعشرون قبل مدة.

وكلما قابل دعاتنا عند زيارتهم للمنطقة، يكرر قائلاً: أين أنتم حتى تعلمونا ديننا؟ .. اطلبوا من المحسنين في بلاد العرب أن يبنوا لنا مسجداً و يرسلوا لنا داعية يعلمنا مبادئ ديننا لأننا لا نجد من يعلمنا الإسلام، في حين أن الكنيسة البروتستانتية تزعجنا بضجيجها ورقصها، وتلح علينا دائماً في دخول دينها، إنني وجميع من سار في ركبها من قبل دخولنا الإسلام نشعر بالندم، وهناك الآلاف من أمثالي ممن يرغبون في الدخول في دين الله لو وجدوا من يشرح لهم أركان الإسلام.

- قابلت قسيساً كاثوليكياً من مالطة، يعيش في قرية نسبة الإسلام بين سكانها مائة في المائة، منذ ثلاثون سنة بدون كهرباء ولا ماء ولا أبسط أساسيات الحياة المعقولة، البعوض فيها لم أجد مثله في مكان آخر من حيث الحجم وحبه لمص الدماء.

سألته عن راتبه فأجاب بابتسامة، وكأنه يقول لي كم تتوقع راتباً لمن يرضى بالبقاء هنا؟ إنه لا يتسلم أي راتب ولا يأخذ إجازة إلا كل سبع أو عشر سنوات، ليس له طموحات في الدنيا غير خدمة الكنيسة، راض بمعيشته في هذه المنطقة التي يكثر فيها اللصوص المسلحون، ولا تتوفر فيها أدنى مقومات الحياة، أصيب بالملاريا مئات المرات،

وأقرب مكان يحصل فيه على حبة أسبرين يبعد عنه عدة ساعات بالسيارة، ورغم هذا هو سعيد بحياته !

التقيت بالمئات من مثله من الغربيين ولكن يندر أن أقابل مسلماً عربياً واحداً في مثل هذه الأماكن، أين أنتم أيها العرب المسلمون؟

- الكثير يتكلمون عن الدعوة في بلادنا ولكن حينما يجد الجد نرى الكثير من قصور الأحلام تتهاوى، فالعشاق في بلادنا كثير ولكن كم فيهم قيس بن الملوح...

ماأسرع ما يتحمس شبابنا لسماع محاضرة أو شريط ولكن ما أسرع ما يفتر الحماس فنحن شعوب عاطفية.

لو توفر لنا بعض المسلمين الذين ينذرون أنفسهم وحياتهم للدعوة في أفريقيا أو لدعم الدعوة هناك كما يفعل أصحاب الديانات الأخرى لانتشر الإسلام في كل قرية من قرى أفريقيا ولو عاش المسلمون حديث رسول الله ﷺ:

"لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونْ لك حمر النعم"[1].

ولو مزجوه بدمائهم ولحومهم لكان تكالبنا على الدنيا أقل، ولخرجنا من عبودية الدرهم والدينار إلى عبودية رب العباد.

- عندما أرى أحد الغربيين وقد هجر حياة الرفاهية في دياره وجاء ليعيش في أفريقيا وأدغالها بعيداً عن الحياة المدنية والراحة، أحس بالغصة لأنني مع الأسف أرى أحفاد حملة الرسالة الإسلامية يتمسكون بزخرف الدنيا، ويرفضون التفرغ لمساعدة إخوانهم.

وصدق من قال:

---

١ – أخرجه مسلم

فيا له من دين لو له رجال

الشهداء من أجله هجروا كل شيء

باعوا نفوسهم واشترى الله

تقطعت لأجله أبدان

ونزفت لأجله جروح

ودمعت له عيون

فيا له من دين لو كان له رجال

بين الغابات تذهب فتيات من أوربا وفرنسا

لكي يمارسوا مهمة التنصير

وهن نساء

فأين الرجال؟؟

نساء يصبرن على الحرارة والأمراض

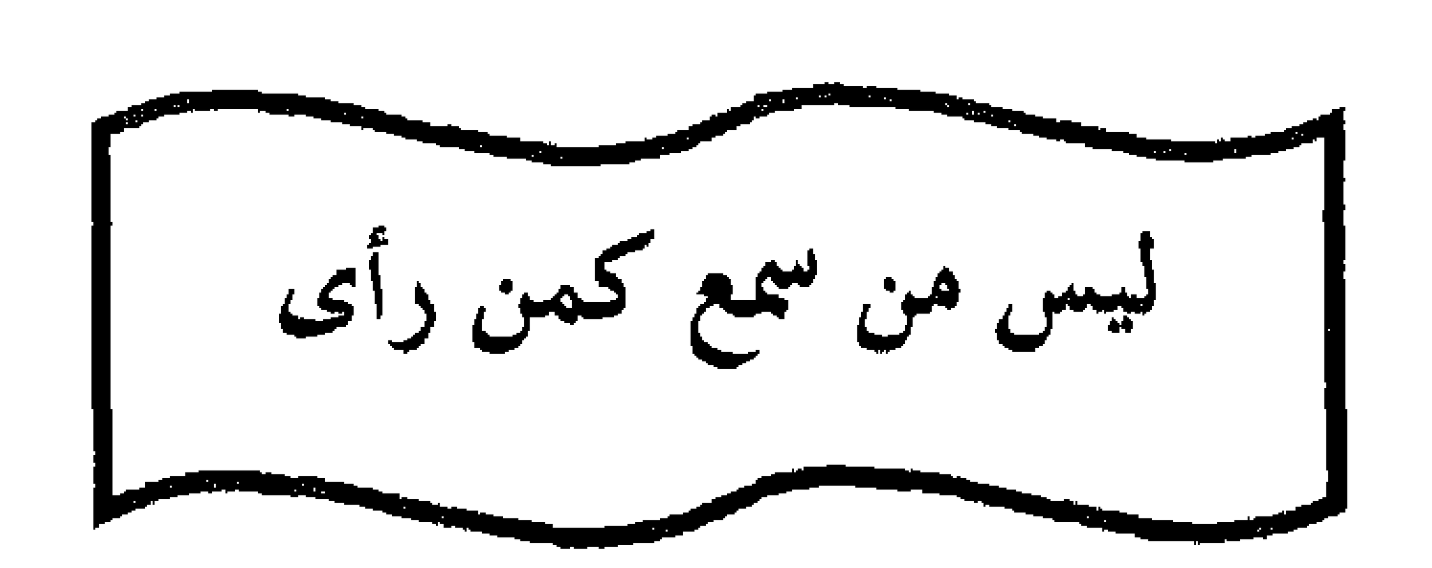
في أدغال أفريقيا

ونبحث عن الرجال

ولا رجال

إلا القليل

فيا له من دين لو كان له رجال



هذا بعض مما ما كتبه المذيع فهد السنيدي بعد مرافقة د.عبد الرحمن السميط لمدة شهر كامل حتى تم إعداد برنامج "القارة المنسية" لقناة المجد:

- **عندما زرتك يا دكتور**

سعادة الدكتور العزيز / **عبد الرحمن السميط** سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اسمح لي أن أسرد على كريم علمك جزءً من فصول الجمال والإبداع، ومشهداً من مشاهد الحب والوفاء، التي أنت فيها المعدّ والمقدم والمنتج والمخرج، وذلك فضل الله عليك .. إنها قصة زيارتنا لكم في مدغشقر لتصوير برنامج (القارة المنسية).

فبعد عزم فريق العمل السفر إلى القارة كانت المخذلات كثيرة بينما المحفزات واحدة.. المخذلات لا أريد أن أذكرها حتى لا يتشبث بها قارئ فأكون السبب في ثني عزمه عن المسير .. أما المحفزات فهي أن **الدكتور / عبد الرحمن السميط** الذي هو في سن آبائنا ترك حياة الراحة والدعة وأقام في بيت متواضع في قرية ماناكارا بجوار قبائل (الأنتيمور)، وقطع على نفسه العهد أن يمضي بقية عمره في الدعوة إلى الله هناك ..

ألا يكفي هذا أن يحفزنا؟

ألا يكون هذا درساً من دروس احتقار النفس أمام أمثال الدكتور حفظه الله؟

بلى والله، فلقد عزمنا على السفر لتحقيق أمور عديدة سائلين الله تعالى التوفيق والإخلاص.

حطت بنا ركاب السفر في العاصمة (أنتنانا ديقو) ليقول لنا الأخوة هناك:

إن خط سيركم سيكون عبر طريق وعر تقطعونه في أكثر من ثلاث عشرة ساعة، أو عبر طائرة صغيرة لا تقلع إلا أحياناً وبعدد لا يتجاوز العشرة أشخاص وهي أشبه بالباص (المكسر) .. وهنا سألنا الإخوة: كيف يتنقل الدكتور؟ فقالوا: الدكتور كثيرا ما يتنقل براً، وقد سافر بالقطار في أكثر من أربعين ساعة بفتات الخبز!

فقلنا لأنفسنا هذا الاختبار الأول رسبنا فيه جزماً حيث طلبنا السفر بالطائرة ؟! وعندما وصلنا إلى (ماناكارا) استقبلنا **الدكتور عبد الرحمن** بوجه مشرق ونفس راضية تحمل بين جنباهما همّاً عظيماً هو هذا الدين .. ليقول لنا: متى تريدون أن نبدأ العمل ونزور القبائل لتروا بأنفسكم أن الإسلام كان هنا ولكنه اندرس؟

لقد تعلمت في أول ساعة معكم يا دكتور أن العمل المتواصل والبذل الدائم هو طريق النجاح.. إن الأمثلة المحفوظة والأشعار المنثورة ليست في قاموسي بشيء لأنها كانت مادة جافة أرددها دائماً عن العزم والعمل والجهد والمثابرة.. لكنها أفلست مني أو أنا أفلست منها عند أول درس عملي من الدكتور؟

أعلم يا دكتور إني سأوقف قلمي قليلاً لأن الخطوط الحمراء التي لن ترض بخروجها.. والأعمال الكثيرة التي لا تقبل أن يعلم بها أحد لن أبوح بها..

ولكني كتبتها بقلم الذاكرة وحبر الزمن في مجلدات الوفاء.. إن لم أستطع قولها للناس تحقيقاً للأمر النبوي الكريم بذم المديح وحفظ حق الإخوان في عمل السر فإني سأقولها لهم

بدموع تنهمر بعد عودتي .. وعبارات أتنهد بها عندما يسألني أحد عن هذه الجهود؟!

ماذا عساي أن أكتب لكم عن رحلة استمرت قرابة الشهر في أفريقيا لتصوير البرنامج كان نصيب الأسد فيها للأسد **السميط** ..

لقد تعلمنا منك أن الحياة شباب وأن كنت كبير السن.. وهذه الحياة واحة فريدة في صحراء العمر .. ولست أعني الشباب الغض الناعم، الذي ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية. وتجمع له لذائذ الدنيا، في لحظة مسكرة، أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة، فيبدأ تاريخ حياته بالحاء فلا يلبث أن ينتهي بالباء. ديدن حياته يقوم على هذين الحرفين في غير مكانها الصحيح، بالطبع لست أعني هذا الشباب، وإنما أعني شبابك يا دكتور مع بياض شعرك وصعوبة حركتك .. وتثاقل أقدامك إنه الشباب الحي العامل، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش.

فهو في جهاد مع وقته ونفسه والهوى والشيطان.

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

تعلمت يا دكتور أن المال الصالح في يد العبد الصالح سلاح مضاء وعدة عتيدة وقوة مكينة لا يمكن معها التقاعس أو الكسل .. فهمت منك أن الأثرياء في الأمة كثيرون ولكن النافع منهم قليل .. أولئك الذين ضعف عندهم الخلق والدين، استخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، يأكلون كما تأكل الأنعام دون أن يؤدوا واجباً لدينهم أو مجتمعهم .. بل إنهم أصبحوا حرباً على أمتهم .. يسخّرون أموالهم في العفن والفن والفجور... يؤصلون للرذيلة .. ويقيمون لها المؤسسات والأندية .. لا يتوانى الواحد منهم أن يقدم المال لكسر فضيلة.. أو قتل خلق فاضل ..

بينما يستثقل أحدهم أن يبذل لعمل الخير.﴿ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٦] . لا يليق بالرجل القادر أن يرضى لنفسه أن يكون حملاً على كاهل المجتمع، ثقيلاً مرذولاً، وأن يقعد فارغاً من غير شغل، أو أن يشتغل بما لا يعنيه، إن هذا لمن سفه الرأي، وسذاجة العقل، والجهل بآداب الإسلام.

تعلمت يا دكتور: أن يكون هم الدعوة إلى الله شغلي الشاغل حتى في اللقمة التي آكلها.. أتذكر تلك الزيارات التي نقطع فيها الساعات بين طرق وعرة وغابات مظلمة مخيفة وأنهار موحشة في قوارب صغيرة ومستنقعات منتنة.. فإذا وصلنا إلى القرية واجتمع أهلها قال لهم الدكتور: ربي الله الواحد الأحد الذي خلقني ورزقني وهو الذي يميتني ويحييني.. كلمات يسيرة تدخل بها أعداد منهم إلى الإسلام..! أتذكر تلك الملابس التي تحملها معك. لماذا يا دكتور؟ إنها هدية لملوك القرى تأليفاً لقلوبهم إلى الإسلام! لماذا هذه الحلوى؟ لأطفال القرى من أجل إدخال السرور على نفوسهم.

ماذا عساي أن أقول؟ وبأي درس يمكن أن أتحدث؟

هل يمكن أن أسطر رحلة تعلمت فيها رغم قصر مدتها بقدر ما تعلمته من سني عمري الماضية؟ لقد نسيت معاناة السفر ومشقة الحياة وشظف العيش قهراً لنفسي لأني أرى شيخاً كبيراً مصاباً بالسكري و به آلام في قدمه وظهره.. يكسر كل حدود الترف والتأفف أمام ميدان الدعوة إلى الله! ألا يستحي الشباب مثلي وهم هناك من أن يتذمروا لعدم وجود الماء الصالح للشرب والاستحمام؟ أو عدم الحصول على المناديل المعطرة؟ أو النوم أحياناً دون عشاء؟ إيه أيتها النفس .. كم أنت مترفة .. ومنعمة .. وبعيدة عن ميدان العمل الحقيقي .. لقد تعلمت من لسع البعوض في تلك القرى دروساً في الصبر..

وتعلمت من شح الماء دروساً في اليقين و تعلمت من انقطاع الكهرباء أياماً دروساً في الطمأنينة...

يا دكتور لقد منحتني شهادة عليا في هذه الرحلة لم تستطع جامعات الدنيا أن تمنحني إياها.. لقد حصلت على الدكتوراه في احتقار النفس أمام العظماء .. وتجاوزت الماجستير في العمل الحقيقي الذي كنا نعتقد أنفسنا من رواده وبكالوريوس بامتياز في معرفة رجال الأمة الحقيقيين الذين يستحقون شهادات التقدير وجوائز الشكر.. لكنهم مع ذلك يقولون كما كنت تقول لي: يا أخي نحن لا ننتظر شهادات من أحد.. نحن عملنا في الميدان .. وننتظر من الله فقط أن يتقبل منا؟

لا زلت يا دكتور أتذكر تلك القرية التي أعلن أهلها إسلامهم وكيف كانت فرحتك العارمة.. كأننا خرجنا بأموال الدنيا. كنا نحن ننتظر مشاهد التصوير ونحسب إنجازنا بعدد ساعات التصوير كانت هذه ساحة سعينا...وميدان بصرنا.. بينما كنت تسبح هناك.. وتنظر هناك....... كنت أتعجب منك وأنت تحاسب من يعمل معك بكل دقة و تقف بنفسك حتى على طعام الأيتام.. وأقول في نفسي هو جهد زائد ينبغي أن يدفعه لغيره.. لكني فهمت متأخراً عندما قلت لي: أموال الناس التي دفعوها لعمل الخير لا يمكن أن أفرط في ريال واحد منها.

أتدري يا دكتور أن هذا البرنامج كتب سيناريو حلقاته وصمم فكرته وأخرج أطرافه عملكم المتوقد وسعيكم الدائب... أتدري أني قرأت كل ما كتبته في مجلتكم (الكوثر) قبل أن أصل إليك لأجد ما كتبته عن جهود العمل (غيض من فيض) وأكدت لنفسي (من شاهد الحقائق ضمن الوثائق)، كنت أتنقل معك بصحبة فريق البرنامج بين القرى و

القبائل لنجد منكم شخصاً ملماً بحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم.. هذا درس من دروس، فالداعية الحق هو الذي يعرف طبيعة من يدعوهم، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما أرسله لليمن (إنك تأتي قوماً أهل كتاب) إنها معلومة مهمة يراد من ورائها رسم منهج للدعوة .. فليس كل داعية يصلح للدعوة في كل مكان .. بل لابد من مواصفات معينة يسبقها العلم التام بطبيعة المدعوين وأحوالهم.

دكتور: أسعد الله مساءك بكل خير أينما كنت...

ذكرت ذلك المساء الحالم.. عندما أرخى علينا الليل سدوله بعد أن صلينا المغرب وانكمش المنعّمون مثلنا من آثار البرد .. فوقفت على تلك الحلقة المستديرة التي تجمع فيها أبناؤكم الأيتام يقرؤون القرآن .. وأنت تنتقل من حلقة إلى أخرى .. تطمئن على حفظهم للقرآن الكريم .. وتبتسم في وجوههم كل لحظة .. تذكرت خروجك بعد العشاء لتطمئن عليهم هل ناموا ؟ هل استقروا جميعاً في مهاجعهم؟

تذكرت سائقك الخاص وأنت تعامله بلطف ومحبة حتى أعلن إسلامه .. تذكرت أولئك الدعاة وهم يجيبون على سؤالي في كل لقاء .. من أي مدرسة تخرجتم في الدعوة ؟ فقالوا: من مدرسة **عبد الرحمن السميط** الدعوية!

تذكرت تلك الليلة الشاتية عندما عمدنا إلى جذوع الشجر لنوقد النار للتدفئة فجلست وقد أحطنا بك من كل ناحية .. تحكي لنا حكايات رائعة .. ليست عن حب وغزل .. ولا عن شعر وزجل .. بل عن دعوة وإغاثة .. عن إسلام وراحة .. عن أقوام كانوا في ضلال فأنقذهم الله بالإسلام:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أيها الفاضل / اسمح لي أن أزجي سراً.. هذه الصور المذكورة من الجهد المتواصل ليست حكراً عليك فقط.. بل هي ديدن أسرتكم الكريمة من زوجة وأبناء حفظكم الله بحفظه.

شكر الله لك أيها الدكتور الفاضل .. ورفع قدرك .. و جزاك عنا خير الجزاء وكثّر الله في الأمة من أمثالك إنه جواد كريم.. وإلى اللقاء على طريق الخير والمحبة....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم

فهد بن عبد العزيز السنيدي

مذيع إذاعة القرآن الكريم وقناة المجد الفضائية

المشرف العام على موقع المجلة الإسلامية

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحـــلُّ والحرمُ

من أقوال د. عبد الرحمن السميط

- أنا أبسط من أن أكون داعية فما زلت في بداية الدرب، والدعوة حقيقة أكبر مني.
- إنني شخص مثل الملايين ممن حولنا مسلمين أو كافرين، أبحث عن السعادة، و لم أجد السعادة في جيبي ولا في حساب بنكي، ولكني وجدتها في قلبي من خلال خدمتي في العمل الخير.
- نحن لا ننتظر شهادات من أحد.. نحن عملنا في الميدان ..وننتظر من الله فقط أن يتقبل منا؟
- إن الطريق طويل والعقبة كؤود والزاد قليل، فكيف ألقي عصا الترحال وهناك الملايين ممن يحتاجون إلى الهداية، وأنا بحاجة إليهم يوم القيامة ليشهدوا لي، لعلي أدخل الجنة بدعاء واحد منهم؟
- هل أبقى مع أولادي ورسولنا ﷺ يقول: "فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"(١).

وأدعو الله أن يكون ذلك الرجل من قبائل (الأنتيمور) التي أعمل وسطها

(١) أخرجه مسلم.

حالياً، والتي أسلم فيها عشرات الألوف وينقذني من النار، ويكون سبباً في دخولي الجنة.

- عندما بدأنا العمل في أفريقيا قبل حوالي ربع قرن، لم نكن نتوقع أننا سنواجه كل هذه الصعاب الكثيرة، لكن إرادة الله تعالى جعلت فيها لذة كلما تذكرنا الأجر العظيم الذي يدخره لنا المولى عز وجل.
- أعيش من أجل إنقاذ إخواني في القارة السمراء، وأموت من أجل ذلك. فما زال الهدف الأساسي بعيداً جداً، ولا وقت لدي الآن للتفكير في غير ذلك.
- أفكر بيني وبين نفسي لماذا أحب هؤلاء المسلمين الضعاف الفقراء الأفارقة السود من أعماق قلبي. يفترض ألاشيء مشترك بيني وبينهم سوى الدين.

إن الإسلام أزال كل الفوارق التي لم تستطع الحضارات الغربية والأفكار الشيوعية أن تزيلها من قلوب الناس.

فالولايات المتحدة كمثال أصدرت قوانين لمنع التفرقة العنصرية، ولكن لم تستطع أن تفرض على البيض أن يحبوا السود وتزيل منهم كراهيتهم لهم في الولايات المتحدة.

رحم الله سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو يقول: أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا يقصد بلال بن رباح العبد الحبشي.

- قد استقررت بينهم .. وبنيت بيتي هنا .. لكي أخدم الدعوة في هذه الأصقاع .. وأحمده عز وجل بأن وفقني لعمل أمور كثيرة في خدمة هذه القبيلة: من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار.. بما فيها إنشاء مقبرة للمسلمين حيث لا توجد واحدة هنا.. فلربما احتجت إليها يوماً ما .. !

- خلال سنوات عملي لأكثر من ربع قرن في أفريقيا كان أكثر ما يدخل السرور في قلبي، أن أرى شخصاً يرفع السبابة إلى أعلى ويعلن شهادة التوحيد.
- طوبى لمن تغلب على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ونصب راية الدعوة والمحبة في قلبه، واتبع كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، وطلق الدنيا طلقة لا رجعة فيها.
- إن العمر ليس عائقاً في وجه الدعوة إلى الله، وأن الفقر ليس عذراً مقنعاً للتقاعس عن أداء رسالة الإسلام.
- لابد على كل عامل في الخير أن يتوقع كل شيء، بل وعليه أن يكون مستعداً لدفع أي ثمن، ولو كان هذا الثمن هو حياته، مادام قد أخلص النية لله تعالى في هذا العمل.
- إن طريق الدعوة إلى الله ليست مفروشة بالورود، بل على كل سالك فيها أن يتوقع في كل خطوة شيطان يعترض طريقه.
- الطير لا يطير إلا بجناحين: جناح العلم وجناح التزكية وتقوية الرابطة بينك وبين الله عز وجل حتى تسهل عليك الكثير من المصاعب.
- إن الدعوة يا ولدي تحتاج إلى أفق واسع، أنصحك بالالتزام بكل تعاليم الإسلام، و احذر كل الحذر أن تنساق وراء عاطفة أو فورة غضب ضد أعداء الإسلام بسبب تصرفاهم التي قد لا يقرها دين، فاحذر أن تترل من سماء القيم الإسلامية إلى حضيضهم، وتستخدم الكذب أو الخداع أو أي أسلوب يتعارض مع عقيدتك وقيمك. فالغاية لا تبرر الوسيلة عندنا في الإسلام ....وإذا كانت غايتنا مرضاة الله فهذه الغاية لا يمكن أن تصل إليها بمعصية الله........

- إن العمل في خدمة الدعوة لذة لا يشعر بها إلا من جربها ...والله إنها لحلاوة ينسى معها الإنسان الأهل والولد، إنها جزء من تلك اللذة التي ذاقها صحابة رسول الله ﷺ، وسار ذلك الجمع الذي لم يكن له زاد أقوى من إيمان لا يتزعزع بعدالة قضيته ٠٠٠جمع لا يزيدون عن بضعة آلاف ملابسهم ممزقة..الكثير منهم حفاة جياع ولكنهم دكوا أعظم حضارتين في ذلك الزمن، وأقاموا حضارة لن تعرف لها الإنسانية مثيلاً، كلها عدل و نور و بركة، ونشروا العلم في كل مكان.
- المشكلة هي هبوط الهمم وضعف المسلمين إيمانياً مما يجعلهم يستسلمون للأمر الواقع، ولا يحاولون تغيير أمورهم إلى الأفضل، وأنا أثق أن كل فرد منا قادر على أن يغير العالم كله لو ارتبط بالله، وأخرج عبادة الدرهم والدينار وحب الدنيا من قلبه لاستطاع أن يغير الكثير. والله حتى أنا لم أكن أظن أنه بإمكاننا إدخال تسعة ونصف مليون شخص في أفريقيا إلى الإسلام خلال ٣٠ سنة من العمل هناك. وأتساءل لو أن كل مسلم سد ثغرة على الأمة هل كنا سنبقي على وضعنا الحالي؟.
- ما نحتاج إليه هو إيمان كإيمان محمد ﷺ وأصحابه وأنا متأكد أننا نستطيع تغيير الدنيا يوم أن نبيع أنفسنا وأموالنا لله رب العالمين.
- الكثير يتكلمون عن الدعوة في بلادنا، ولكن حينما يجد الجد نرى الكثير من قصور الأحلام تتهاوى، فالعشاق في بلادنا كثير، ولكن كم فيهم قيس بن الملوح....

- ما أسرع ما يتحمس شبابنا لسماع محاضرة أو شريط ولكن ما أسرع ما يفتـــر الحمّال، بل حتى أولئك الذين جاءوا وزاروا أفريقيا ورأوا بأم أعينهم ما يمكن أن يفعله الإنسان هنا، وعاهدوا الله أمامنا أن يجعلوا تحسين أحـــوال إخـــوانهم في أفريقيا همهم الأكبر، لم يستمروا في حمل هذا الهم سوى فترة قصـــيرة، فـــنحن شعوب عاطفية.
- أعتقد أنه يجب أن يتم إعداد الدعاة ليكونوا دعاة حقيقيين، الداعية الذي يتم إعداده الآن في جامعاتنا الإسلامية هو إنسان يعرف الوضوء، وأحكام الوضوء وأحكام الطهارة، وأحكام الصلاة، ويقف على المسجد ويصرخ ويقعد، يحرك الناس يجعلهم يبكون ويجعلهم يضحكون، هذا هو الداعية الناجح بالنسبة لنا الآن!..

لكن كيف يمكن للداعية أن يعمل مخطط لنشر الدعوة خلال خمس سنوات مثلاً ؟ كيف يمكن أن يدير مدرسة؟ كيف يطور نظم التعليم ونظم النشاطات الطلابية ؟ هذا لا يتدرب عليها ولا يدرسها في جامعاتنا.

- الحقيقة أن المطلوب هو دعاة ينذرون أنفسهم لله ويبيعون دنياهم بآخرتهم، وأن يتخذوا هذا القرار بتأن بعيداً عن العاطفة والحماس، وعندئذ نستطيع أن نحمل رسالة الإسلام إلى كل مكان.
- عندما أرى أحد الغربيين وقد هجر حياة الرفاهية في دياره، وجاء ليعيش في أفريقيا وأدغالها بعيداً عن الحياة المدنية والراحة، أحس بالغصة لأنني مع الأسف

أرى أحفاد حملة الرسالة الإسلامية يتمسكون بزخرف الدنيا، ويرفضون التفرغ لمساعدة إخوانهم.

- العرب مقصرون تجاه إخواننا في أفريقيا، فأفريقيا مستعدة لبيع نفسها للإسلام لو وجدت إنسان يعرض عليها الدعوة الإسلامية.
- لست نادماً على المضي قدماً في هذا الطريق! لأنني اخترته بقناعة تامة ورضاً بقضاء رب العالمين، ولكني أشفق على إخواني الذين اختاروا زينة الحياة الدنيا التي صرفت أبصارهم عن اللذة الحقيقة التي تحف بها المشاق و المكاره!
- أنا طلقت الطب منذ ٢٧ عام منذ بدأت العمل في أفريقيا، وأعتقد أن الأطباء أكثر الناس قرباً من العمل الخيري.
- قد عرض عليّ الزواج أكثر من مرة من بنات زعماء، إلا أنني مشغول بما هو أهم، وهو الدعوة، ومن تزوج بالدعوة لا وقت له للزواج من بنات الناس.

كن مقتنعاً بالنجاح، فأنك ستنجح إن شاء الله، ومن دون الإحساس بهذه القناعة، فمن المؤكد أنك لن تنجح النجاح المطلوب.

- تذكر أنه لولا همة الصقر والنسر العالية لماتا جوعاً في عشيهما.
- من يظن أن الدعوة ممكن أن تستمر بالعشوائية فهو مخطئ، ومن يظن أن الإسلام سينتشر بطريقة تخبط بعض الجمعيات الإسلامية فهو واهم.

- إن العالم مليء بالمتنافسين، وليس فيه مجال للمتخبطين الذين لا يعرفون أولهم من آخرهم، فغيرنا يعمل بأسلوب علمي مدروس ورزين، ويقيس نجاحه بشكل دوري وبطريقة علمية، وليس المال هو كل شيء في النجاح.
- أمتنا كانت دائماً تصحو من كبوتها... ويسخر الله لها من ينقذها من هزيمتها ويحولها إلى نصر.
- لا خير فينا إذا لم نتعظ بدروس الأمس، ولا خير فينا إذا لم نعد إلى قارب النجاة المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

- ستبقى هذه الدول الفقيرة في أسفل السلم الاقتصادي ما دامت القيم الفاضلة محجوبة، تردد على الألسنة فقط، وليس لها أثر في حياة الناس.
- إن النظام والحضارة الغربية تنتج المواطن الصالح الذي يعمل لصالح وطنه، أما الإسلام فإنه يعتني بالمسلم ليكون إنساناً صالحاً...

المواطن الصالح لا يعبر إشارة المرور الحمراء في بلده... ولا يرمي القاذورات في الشارع، ولكنه يقتل الأفارقة والهنود بدون محاكمة، ويفعل كل الموبقات من أجل بلده ويبقى مواطناً صالحاً.

أما الإنسان الصالح فهو الذي لا يعتدي على حقوق غيره أينما كان، سواء داخل بلده أو خارجها.

- إن المسلمين لم يكونوا مسؤولين عن إبادة حوالي ١٠ ملايين شخص في الحرب الصليبية، ولا عن مقتل ٧٠ مليون شخص في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولا عن إبادة ٥٠ مليون قتلوا عدواناً أثناء فترة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية...

لماذا لم تحدث مثل هذه الجرائم في بلاد الإسلام والمسلمين ؟! والجواب في كلمة واحدة، أن الإسلام يحرّم على أتباعه كل ما ينتهك الكرامة البشرية.

- علمتني الأيام: أن أسلوب الدعوة في بلادنا لا يصلح كأسلوب للدعوة في أفريقيا.
- علمتني الأيام: أن الابتسامة والمعاملة الحسنة هي أفضل الطرق لكسب القلوب.
- علمتني الأيام: أن تقديم الخدمات للآخرين أقصر طريقاً من محاولة النقاش معهم.
- علمتني الأيام: أن أسوأ وسيلة لإبعاد الناس عن الإسلام هو الدخول في الخلاف بين المسلمين.
- إن غفلتنا عما ذكر في كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ هو سبب البلاء والنكسات الدعوية التي نشهدها في كل مكان.

وأننا لو وضعنا حديث نبينا محمد ﷺ: إن المنبت (المستعجل) لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى "[1]. أقول لو وضعنا هذا الحديث أمام عيوننا لانتهى دور المتعجلين في قطف الثمار. ولو قرأنا الآية الكريمة:

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة :٢٦٩]

لوفرنا جهود الآلاف من إخواننا التي ضاعت بسبب التخبط.

(١) أخرجه البيهقي

- أنا أطالبكم بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. أطالبكم بالاعتدال. أطالبكم بالوسطية.
- يا شباب الإسلام! لا أوصيكم بشيء أكثر مما أوصيكم بالحكمة في الدعوة، وعدم التدخل في مشكلات مع المخالفين ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً.

وعليكم بالوسطية والاعتدال التي سار عليها نبي الرحمة، واقتفى أثرها جمهرة العلماء من سلف هذه الأمة.

- لنتذكر جميعاً: إن يوماً من الأيام سنموت، ويوماً من الأيام سندخل القبر، فماذا أعددنا لذلك اليوم؟.

حياة حافلة بالإنجازات

د.عبد الرحمن السميط: ذلك الرجل المريض الذي لم يثنه مرضه وتناوله لأكثر من عشرة أنواع من الأدوية يومياً عن عمله الجبار ومشروعه الضخم في تقديم الهداية، ودين الحق، والعيش الكريم، ومشاريع التنمية لأناس نسيهم العالم خلف الأدغال، فذكرهم **عبد الرحمن السميط**.

ولأن لغة الأرقام لغة يقرؤها العرب والأعاجم، الأثرياء والفقراء، السعداء والبؤساء، وهي خير دليل وبرهان على همم الأبطال وقمم الرجال، فلذلك نشير إلى مقتطفات من حياته العظيمة بالإنجازات والفتوحات والمفاجآت السارة واللافتة للنظر.

❖ **الدكتور عبد الرحمن:**

- طبيب ممارس في مستشفى مونتريال العام (٧٤-١٩٧٨ م).
- طبيب متخصص من — مستشفى كلية الملوك — لندن (٧٩-١٩٨٠ م).
- طبيب متخصص في أمراض الجهاز الهضمي - مستشفى الصباح (١٩٨٠-١٩٨٣م).
- منذ عام ١٩٨٣م متفرغ للعمل في لجنة مسلمي أفريقيا / جمعية العون المباشر كأمين عام ثم رئيس مجلس الإدارة حتى تأريخه.

❖ **أما أبحاثه العلمية الطبية فهي:**

- الفتحة بين البنكرياس والقولون. نشرت في مجلة الجمعية الطبية الكندية في ١/٠٤/١٩٧٨م.
- سرطان بقايا المعدة بعد جراحة القرحة الحميدة. بحث قدم في مؤتمر الكلية الملكية للأطباء في كندا ــ مدينة كويبك ــ فبراير ١٩٧٩م.
- الفحص بالمنظار للورم الأميي بالقولون. نشر في مجلة –منظار الجهاز الهضمي – عدد ٣/١٩٨٥م في الولايات المتحدة الأمريكية.
- دراسة أهمية المنظار الطارئ في حالات نزيف الجهاز الهضمي (تطبيقات في ١٥٠حالة). "بحث ألقي في مؤتمر الجهاز الهضمي في مستشفى مونتريال لعام ١٩٧٨م.
- فيتامين (B12) كعامل لعلاج سرطان الكبد (لم ينشر).

❖ **مؤلفاته:**

١- كتاب لبيك أفريقيا.

٢- كتاب دمعة على أفريقيا (مع آخرين).

٣- كتاب رحلة خير في أفريقيا " رسالة إلى ولدي".

٤- كتاب العرب والمسلمون في مدغشقر (في طور الإعداد).

٥- كتاب ملامح من التنصير دراسة علمية.

٦- إدارة الأزمات للعاملين في المنظمات الإسلامية (تحت الطبع).

٧- السلامة و الإخلاء في مناطق التراعات.

٨- كتاب قبائل البوران.

٩- حقيبة مسافر (تحت الطبع).

❖ مشاركاته العلمية والإسلامية:

١- دور الإعلام في العمل الخيري ــ بحث ألقي في ماليزيا ١٩٨٩م.

٢- الإدارة الحديثة في العمل الخيري ــ محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.

٣- الإسقاطات الأمنية للعمل الخيري محاضرة ألقيت في أكاديمية الأمير نايف ١٩٩٩م.

٤- بحث التنمية البشرية " تجربة جمعية العون المباشر " غرفة التجارة والصناعة في الدمام.

٥- مئات المقالات الإسلامية في صحف ومطبوعات مختلفة.

❖ عضويته في الهيئات والمؤسسات الأخرى:

١- عضو مؤسس ورئيس فرع لجمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ١٩٧٦م فرع شرق كندا.

٢- عضو مؤسس لفروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال و شيربروك و كويبك وغيرها ١٩٧٤م ــ ١٩٧٦م عضو مؤسس في لجنة مسلمي مالاوي في الكويت ١٩٨٠م.

٣- عضو مؤسس في لجنة الإغاثة الكويتية.

٤- عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ــ الكويت.

٥- عضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ــ ج. م. ع.

٦- عضو في جمعية النجاة الخيرية ــ الكويت.

٧- الأمين العام للجنة مسلمي أفريقيا منذ ١٩٨١م.

٨- رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر منذ ١٩٩٩م.

٩- عضو في جمعية الهلال الأحمر الكويتي ــ الكويت.

١٠- رئيس تحرير مجلة الكوثر الصادرة عن جمعية العون المباشر / لجنة مسلمي أفريقيا منذ عام ١٩٨٤م وحتى الآن.

١١- عضو في مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية.

١٢- عضو مجلس الأمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا ــ اليمن.

١٣- رئيس مجلس إدارة كلية التربية ــ زنجبار.

١٤- رئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ كينيا.

❖ الجوائز والشهادات التقديرية التي نالها:

وسام رؤساء دول مجلس التعاون الخليجي المنعقد في مسقط عن العمل الخيري عام ١٩٨٦م.

جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله لخدمة الإسلام والمسلمين عام ١٩٩٦م.

وسام مجلس التعاون الخليجي لخدمة الحركة الكشفية ١٩٩٩م.

وسام النيلين من الدرجة الأولى من جمهورية السودان.

الدكتوراه الفخرية في مجال العمل الدعوي من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان في مارس ٢٠٠٣م.

وسام فارس من رئيس جمهورية بنين عام ٢٠٠٤م.

- جائزة الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبية والإنسانية ــ دبي ــ الإمارات كانون الأول ٢٠٠٦م.

❖ أما ثمرات الدعوة في أفريقيا بعد ثلاثين سنة من العمل المتواصل:

في عام ٢٠٠٩ م يذكر الدكتور عبد الرحمن السميط بعض الإحصائيات الجديدة:

- لقد أسلم من خلال دعوته ثلاثين سنة في أفريقيا: عشرة ملايين أفريقي.
- وتم بناء ٥٩٠٠ مسجد وجامع.
- وتشييد ٨٦٠ مدرسة.
- وبناء ٤ جامعات والخامسة في طور الإنشاء.
- وبناء ١٧٨ مستشفى ومستوصف.
- وحفر ١٠١٠٠بئر ماء.
- وإنشاء ٧ محطات إذاعية.
- طبع وترجمة ١٤مليون كتيب.
- دفع رواتب أربعة آلاف داعية.
- بناء مئات مراكز الأيتام والتكفل برعاية ١٦٢٥٠ألف يتيم تخرج الآلاف، منهم من الجامعات وصار بعضهم اليوم سفراء أو وزراء أو خبراء في الأمم المتحدة أو ضباط في الجيوش الأفريقية.

كل المشاريع ماعدا المساجد تقدم الخدمات للمحتاجين بغض النظر عن دياناتهم استجابة لتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الأمل كبير والثقة بالله أكبر

❖ **يقول الدكتور عبد الرحمن السميط:**

أنا أعتقد أن المستقبل طيب جدًّا، أنا ثقتي بالله - سبحانه وتعالى- كبيرة، والله سبحانه وتعالى- وعدني كما وعد كل مسلم في الدنيا:

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

نعم الواقع مرير، أنا أتكلم من خبرة ٣٠ سنة قضيتها في أفريقيا، قد بدأت العمل في أفريقيا عام ١٩٨٠م، والآن نحن في عام ٢٠٠٩م، فخلال الثلاثين سنة الماضية.. رأيت معجزات الله - سبحانه وتعالى- والله لا أصدق أن هذا تم خلال ثلاثين سنة الماضية.

- **مثال:** في بلد من البلدان (مالاوي) لم يكن فيها خريج واحد من المسلمين، كانت نسبة المسلمين في بداية القرن ٦٦٪ و وصلت في عام ١٩٨٠م إلى ١٧٪، الغالبية العظمى من أئمة المساجد لم يكونوا يعرفون أن الزنا حرام، لم يكن هناك طالب واحد في الصفين المنتهيين من الثانوية..لقد ارتفعت نسبة المسلمين في مالاوي خلال ٣٠ سنة من ١٧٪ إلى أكثر من ٥١٪.
- وفي رواندا نجد اليوم أكثر من ٣٠٠ طالب مسلم يتابعون دراستهم في الجامعة، ولأول مرة يعين وزيران مسلمان في الحكومة وأربع مدراء مسلمين للبلديات.

نعم: الآن في السنة يتخرج ٣٠ طبيب من المسلمين، ١٢ مهندس، ٦ محاسبين، ٦ دكتوراه، عدد من المسلمين صاروا وزراء، و لم يصبحوا وزراءً بأعمال إرهابية ولا بدبابة، وإنما بانتخابات حرة تشرف عليها الدول الغربية، رئيس الجمهورية صار مسلم الآن

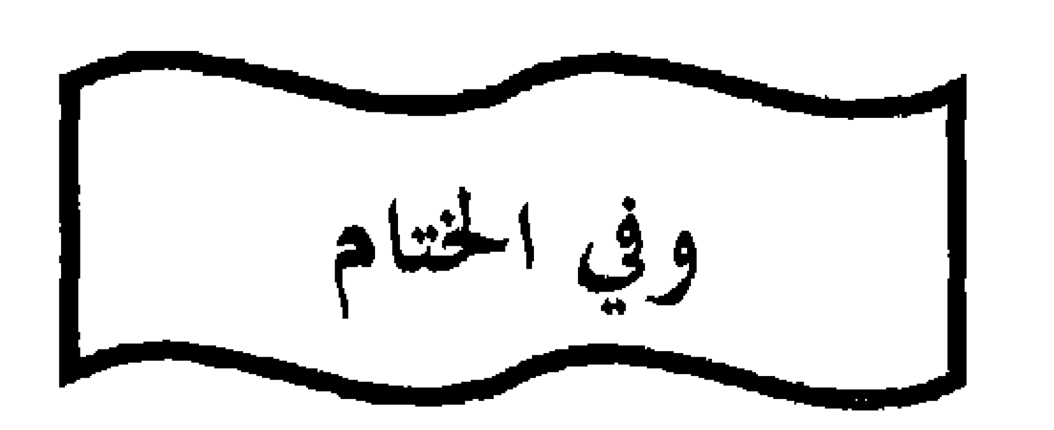
وبانتخابات حرة، الكثير من المسلمين وصل إلى مراتب عليا ليس في مالاوي وحدها، ولكن في أماكن كثيرة جدًّا..

- في (موزمبيق) ذهبت إلى قرى – والله– ما كانت تعرف (لا إله إلا الله)، ما كانت تعرف (السلام عليكم)، لمّا كنت أدخل القرية وأقول: السلام عليكم.. لا يعرفوا أن يردوا علي، وعندما أقول لهم بالبرتغالي (أوبريجاردو) Obrigardo يقولون لي: (أوبريجاردو).. الآن تذهب إلى هذه القرى تجد ٤٠٠ - ٥٠٠ طفل يخرجون لاستقبالك (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)، وهذا حافظ جزء عم، وهذا حافظ ٣ أجزاء وهذا..
- لقد عملت في أغلب الدول الأفريقية: في غرب أفريقيا وشرق أفريقيا، ورأيت كيف الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، في جنوب تشاد ثمانين ألف دخلوا الإسلام خلال سنتين، في أثيوبيا خمسين ألف من قبائل بورانا، في شمال كينيا ستين ألف من قبائل الغبرا، من قبائل المساي ثلاثين قرية أسلمت عن طريق أيتامنا والأمثلة كثيرة جداً.

- **أعود وأقول: أنا لا أشك أن القارة ستعلن كلها:**

شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله

إذا كان قد أسلم خلال شهرين مائة وثلاثين ألف شخص، ما الذي يمنع أن القارة كلها أن تسلم؟



وفي الختام

ها نحن نودع بإجلالٍ وانبهارٍ سيرة هذا الرجل الداعي، الذي عشنا معه أروع نماذج البشرية الفاضلة، رأينا كيف تسمو نفسه شوقاً إلى الله، كيف يطوي البطن جائعاً والزاد يُشتهى، كيف حسا الماء الملوث والماء شفاء، كيف وزع جسمه في أجسام كثيرة والجسم يئن من الآلام، وكل ذلك مخافة الحساب يوم القيامة.

رأينا تحت الأسمال المتواضعة، أسمى ما عرف جيلنا من عظمة وتضحية.

لقد عشنا حقائق تسمو وتتألق، لا بقدر ما أردنا لها. بل بقدر ما أراد لها **الدكتور عبد الرحمن**، بقدر ما بذل في سبيل الله من جهد خارق مبرور.

لقد عشنا في هذا الكتاب حياة رجل عظيم شاهق.

لا ندري: هل استطال رأسه إلى السماء فلامسها...أم اقتربت السماء من رأسه فتوجته...؟!

هذا هو د. عبد الرحمن السميط:

إنه رجل بأمة – بل أمة في رجل. وحال لسانه يقول:

على شفرات السيف مزقت مهجتي   لترضى وأن ترضى عليّ كفاني

فلو كتبتْ منّا الدماء رسالةً   لخطّت بحب الله كل جناني.

وختاماً، نقول لك سيدي د. عبد الرحمن:

أعلمُ أن الأيام القادمة لك لا عليك..

وأن المستقبل لدينك لا لدين غيرك..

وأن العاقبة للمتقين..

وأعلمُ أيضاً أن مع الصبر نصراً..

وأن مع العسر يسراً..

وأن أنوار الفجر لا تأتي إلا بعد أحلك ساعات الليل..

وأن الله ناصرك ما دمت ناصره..

ومعك ما دمت معه..

وهاديك إلى سبيله، ما دمت مجاهداً في سبيله..

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فجزاك الله عما أعطيت، وهديت، وضحيت، خير الجزاء.

وسلامٌ، أزجيناه لك-بالاحترام والتقدير- عند البدء..

ونزجيه لك-بالشكر والعرفان والدعاء - عند الختام..

فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

د. رسمية شمسو

المراجع

❖ المصادر:

١-القرآن الكريم

٢-سنن ابن ماجه

٣-سنن الترمذي

٤-السنن الكبرى للبيهقي

٥-صحيح البخاري

٦-صحيح مسلم

٧-المعجم الكبير للطبراني

٨-موطأ الإمام مالك

❖ المراجع:

١- أسماء البلدان-ديكارت وفانتار-١٩٨١

٢- أطلس العالم- الناشر مكتبة لبنان- بيروت

٣- أطلس العالم الإسلامي _ شوقي أبو خليل

٤- الأقليات المسلمة في أفريقيا – سيد عبد المجيد بكر

٥- أمة لن تموت – د. راغب السرجاني

٦- حقيبة مسافر _ د. عبد الرحمن السميط

٧- رجال حول الرسول _ خالد محمد خالد

٨- رسالة إلى ولدي _ د. عبد الرحمن السميط

٩- طريق الدعوة _ أحمد فائز

١٠- مجلة الكوثر: الأعداد ١١٣-١١٥-١١٦-١١٧-١٢٠-١٢١

١١- مفتاح النجاح _ عائض القرني

١٢- من صبر العلماء – عبد الفتاح أبو غدة

١٣- مواقف في الدعوة والتربية _ الأستاذ عباس السيسي

١٤- موسوعة حضارة العالم _ أحمد محمد عوف

❖ **البرامج الفضائية:**

- برنامج بلا حدود:

واقع المسلمين في أدغال أفريقيا، ٥ تشرين الأول٢٠٠٥م.

- برنامج تحت المجهر:

قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر، ٢٣شباط ٢٠٠٦م.

- برنامج زيارة خاصة:

عبد الرحمن السميط. مساعدة الفقراء ونشر الإسلام، ٢حزيران ٢٠٠٧م.

- برنامج ساعة صراحة:

أفريقيا المجاعة المهلكة، ٢٩تموز ٢٠٠٨م.

- برنامج مباشر مع:

مساعدة الفقراء ونشر الإسلام في أفريقيا، ١٣كانون الثاني ٢٠١٠م

❖ محاضرات للدكتور عبد الرحمن السميط:

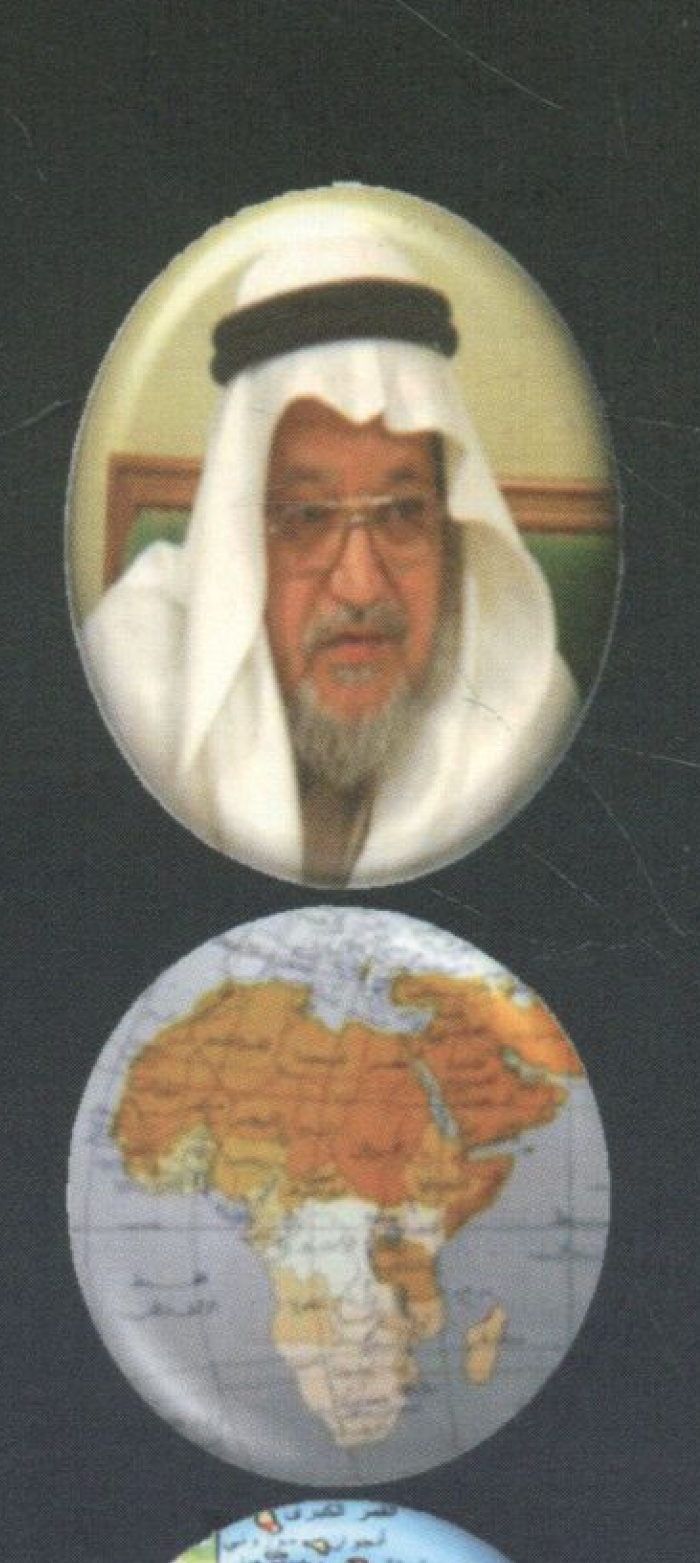
١- أبصروا النور
٢- أفطرت معهم
٣- بعد الأوثان سجدوا للرحمن
٤- حجوا فأسلمت قريتهم
٥- حقيقة المأساة
٦- رأيت فرحتهم بالأضاحي أفطرت معهم
٧- لقاء اللجنة الطبية
٨- ماتوا بين يدي

❖ وصلات الترنيت:

- موقع إسلام أون لاين: عبد الرحمن السميط..خادم فقراء أفريقيا، ٢أيلول٢٠٠٣م.
- موقع جمعية العون المباشر.
- موقع صيد الفوائد.
- موقع طريق الإسلام.
- موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: أفريقيا.

الفهرس

هذا الكتاب



❖ إن العظمة الباهرة التي سترونها على صفحات هذا الكتاب لهذا الرجل الشاهق، الذي جاءنا ليعيد تاريخ الصحابة، ليست أساطير، وإن بدت من فرط إعجازها كالأساطير!!!

❖ في هذا الكتاب سوف ترون البذل الذي بذل، والهول الذي احتمل، والفوز الذي أحرز... سوف ترون الدور الجليل الذي نهض به لتحرير أفريقيا من وثنية الضمير، وضياع المصير.

❖ ما يقارب من عشرة ملايين من البشر أعلنوا إسلامهم على يد **د. السميط**، بفضل الله ونعمته.

❖ لقد آتاه الله من أنعمه بالقدر الذي جعله أهلاً لحمل راية هذا الدين بعد أن تخاذل الكثير من المسلمين عن نصرته، وتآمر المتآمرون للقضاء عليه.

❖ إنه إنسان نذر حياته للدعوة إلى الله. إنسان يقضي عمره من الطفولة إلى الشيخوخة في عبادة وعطاء وتضحيات.

❖ تفتح له الدنيا أبوابها، فيركل كل أمجادها الباطلة، ويظل لائذاً بمسلكه وعبادته ورسالته.

❖ هو رجل من الذين:

في الأرض مجدهم ولكن قلبهم ... لجنة الفردوس رام رحيلا

